

ريتا مرهج

# أولادنا

من الولادة حتى المراهقة



تلفزيون  
المستقبل



أكاديمية

إن النجاح الباهر الذي حققته فقرة  
أولادنا في عالم الصباح على تلفزيون  
المستقبل، من إعداد وتقديم السيدة ريتا  
مرهج، كان حافزاً مهماً لنشر هذا  
الكتاب الذي يرمي الى وضع المعلومات  
حول المبادئ الحديثة في تربية  
الأطفال والأولاد في متناول الجميع  
بأسلوب علمي وسهل ورضين.



# أولادنا

من الولادة حتى المراهقة

## مرشد شامل لتطور الأولاد

- يصدر بالتعاون بين تلفزيون المستقبل وأكاديمية أنترناشيونال.
- يعتبر مرجعاً مثالياً في الإرشاد التربوي الأسري ويركز على الأساليب التربوية الحديثة.
- فيه قدر كبير من المعلومات حول جوانب تطور الأولاد من الولادة حتى المراهقة.



ISBN 9953-3-0026-7



9789953300269

# أولادنا

من الولادة حتى المراهقة



ريتا مرهج

# أولادنا

من الولادة حتى المراهقة

مرشد شامل في تطور الأولاد



تلفزيون  
المستقبل

**أكاديميا** هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال للنشر والطباعة

**ACADEMIA** is the Trade Mark of Academia International for  
Publishing and Printing

أولادنا من الولادة حتى المراهقة  
© أكاديميا إنترناشيونال - تلفزيون المستقبل، 2001

ISBN: 9953-3-0026-7

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزال مادته بطريقة  
الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة، سواء كانت إلكترونية  
أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك،  
إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة ومقدا.

نشر وتوزيع by **Published and distributed by**

**أكاديميا إنترناشيونال Academia International**  
شارع فردان، بناية بنك بيبلس. Verdun st. Byblos Bank Bldg.  
ص.ب. 113-6669 P.O.Box  
بيروت، لبنان Beirut, Lebanon  
هاتف 862905 - 800811 - 800832 Tel  
فاكس 805478 (009611) Fax  
بريد إلكتروني E-mail academia@dm.net.lb

بالاشتراك مع **In collaboration with**

**تلفزيون المستقبل Future Television**  
البيت الأبيض، شارع سبيرز. White House, Spears st.  
ص.ب. 136052 P.O.Box  
بيروت، لبنان Beirut, Lebanon  
هاتف 355355 (009611) Tel  
Home Page: www.Future.com.lb

## إهداء

---

إلى ذكرى والدي،  
إسكندر مفرج،  
الذي ما زال يواكبني،  
حتى اليوم، بتفاؤله المنير  
وطرافته المميّزة وإيمانه الخلاق..  
ريتا

لكل الذين ساهموا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في جعل هذا الكتاب واقعاً من خلال تشجيعهم المستمر وثقتهم بي...

فلمشاهدي فقرة «أولادنا» على شاشة تلفزيون «المستقبل»، في لبنان وكل أنحاء العالم، قسط كبير من تقديري العميق للالتزامهم وتفاعلهم من خلال أسئلتهم ومشاكلهم التي أصبحت منبع الوحي الأساسي لإعداد الفقرة، ومن ثم تأليف هذا الكتاب...

أشكر كل الزملاء في مجال الصحة العقلية في لبنان وخارجه، من أطباء واختصاصيين نفسيين، دون استثناء لتلبية ندائي عندما احتجت لمساندتهم في جعل مادة علم النفس مادة قريبة من الناس، كل الناس، ونشر التوعية لأمر عديدة في علم النفس وعلم التربية. أشكر زملائي في التعليم في الجامعة الأميركية في بيروت على آرائهم النيرة ونقدمهم البناء، وجميع التلاميذ الذين كان لي شرف تعريفهم على مادة علم النفس، فاستجابوا وسألوا وانتقدوا وقيّموا، وكان كل ذلك دافعاً قوياً بالنسبة لي في تطوير أسلوبي التعليمي والإرشادي.

أشكر تلفزيون «المستقبل» لمنحي هذه الفرصة المميّزة لكي أطلّ على الشاشة الصغيرة يومياً، منذ أكثر من عامين، لأوصل رسالتي التربوية، مساهمة مني، ولو بشكل متواضع، في بناء جيل مميّز في عالمنا العربي... فللدكتور نديم المنلا، رئيس مجلس الإدارة، تحية امتنان لإطلاقه فكرة جمع كل حلقات فقرة «أولادنا» ضمن كتاب، وكذلك للسيد إيهاب حمود، مدير الإنتاج، الذي وثق بي منذ لحظة تعارفنا، والسيد رمزي الجبيلي لمواكبته ودعمه كل مراحل الكتاب. شكري الجزيل أيضاً لكل الزملاء العاملين في «عالم الصباح» من منتجين ومخرجين ومساعديهم، والمذيعات والمذيعين وكافة العاملين فيه من دون استثناء.

كما أسجل تقديري لأسرة «أكاديميا إنترناشيونال» على ما بذلته من عناية في تصحيح الكتاب وإخراجه بهذا الشكل. وأخص بالذكر السيد محمد إيراني الذي كان منذ بداية انطلاق هذا المشروع دافعاً أساسياً بالنسبة لي من خلال تشجيعه المستمر وثقته بي وبأهمية هذا الكتاب، كذلك أخص بالذكر الدكتور محمد دبس على العناية التي أولاهها لهذا المشروع، والسيد زهير دبس على المجهود الكبير الذي بذله في الإخراج الفني للكتاب.

أشكر والدي، كاتيا مفرج، التي كانت الجدة المثالية لأولادي، فلولا تواجدها الرقيق في حياتي وحياتهم، لما كنت وصلت إلى ما أنا عليه اليوم، فشكراً لك يا أمي لكل تضحياتك من أجلنا، ولكل التسهيلات التي وفرتها لي لكي أستطيع أن أحقق كل طموحاتي الشخصية...

شكراً لكم، لورا وجوزف وكريم، أكبادي ومنبع قوتي في الحياة، لتفهمكم، رغم صغر سنكم، لوضعي وانهماكي المهني، فكنتم في كل لحظة، ولا تزالون حقاً هدية من الجنة... وأخيراً وليس آخراً، إلى كمال مرهج، شريك في الحياة، لتفاؤله في أوقات اليأس واستقراره في أوقات الاضطراب، ولثقته الدائمة بقدراتي وتقديره الفائق لكل ما أقوم به في البيت وخارجه، شكراً...

بيروت في 2001/2/10



- ريتا مرهج أستاذة مادة علم النفس في الجامعة الأميركية في بيروت.
- حازت على شهادتي البكالوريوس (1977) والماجستير في علم النفس (1981) من الجامعة الأميركية في بيروت، ودبلوم الدراسات العليا في علم النفس العيادي من جامعة السوربون في باريس (1985).
- عملت مديرة لجمعية أصدقاء المعاقين في بيروت لفترة سبع سنوات (1988-1993) وقبلها في مؤسسة «الأمل» للمعوقين في برمانا.
- عملت مستشارة لدى منظمة الأمم المتحدة للبرامج الإنمائية (UNDP) في مجال برامج تأهيل المتخلفين عقلياً في الكويت (1989). عملت أيضاً مستشارة لصندوق التأهيل الدولي (WRF) ضمن سلسلة ندوات ومحاضرات حول المشاكل التعليمية في المرحلة الابتدائية في لبنان.
- شاركت في العديد من المؤتمرات والندوات حول موضوع تطور الأولاد ودمج الأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة ضمن المدارس الاعتيادية. وهي تعمل الآن مستشارة لبعض المؤسسات غير الحكومية في هذا المجال.
- تقوم بإعداد وتقديم فقرة «أولادنا» في عالم الصباح، التي يبثها تلفزيون «المستقبل» في لبنان منذ عام 1998، وهي فقرة صباحية يومية هدفها الإرشاد والتوعية في مجال علم نفس الأطفال.
- متزوجة من كمال مرهج، وأمّ لثلاثة أولاد: لورا وجوزيف وكريم.

10	تقديم
12	تمهيد
13	مقدمة
16	القسم الأول: لمحة تاريخية حول تطور الأولاد
26	القسم الثاني: طفلك من الولادة حتى السنتين
28	الفصل 1 : التطور الجسدي والحركي
44	الفصل 2 : التطور الحسي
54	الفصل 3 : تطور النطق
62	الفصل 4 : التطور الذهني
74	الفصل 5 : التطور العاطفي والاجتماعي
88	القسم الثالث : طفلك بين الثانية والسادسة
90	الفصل 1 : التطور الجسدي والحركي
110	الفصل 2 : تطور النطق
118	الفصل 3 : التطور الذهني
130	الفصل 4 : التطور العاطفي والاجتماعي
166	القسم الرابع : طفلك بين السادسة والحادية عشرة
168	الفصل 1 : التطور الجسدي والحركي
176	الفصل 2 : التطور الذهني
192	الفصل 3 : التطور العاطفي والاجتماعي

---

208	.....	القسم الخامس : مرحلة المراهقة
210	.....	الفصل 1 : التطور الجسدي
218	.....	الفصل 2 : التطور الذهني
230	.....	الفصل 3 : التطور العاطفي والاجتماعي
242	.....	القسم السادس : نصائح للأهل
244	.....	الفصل 1 : إسألني نفسك
250	.....	الفصل 2 : أسرار العائلة السعيدة
260	.....	الفصل 3 : إرشادات عملية في مراحل النمو
266	.....	القسم السابع : مواضيع ذات أهمية بالغة
268	.....	الفصل 1 : الطفل الخجول
274	.....	الفصل 2 : النشاط المفرط والنقص في الإنتباه
280	.....	الفصل 3 : التوعية الجنسية
286	.....	الفصل 4 : اضطرابات النوم
290	.....	الفصل 5 : ماذا عن التوأم؟
294	.....	الفصل 6 : الأولاد ذوو الاحتياجات الخاصة
298	.....	الخاتمة : المعلمة المعالجة
302	.....	المراجع

«أولادنا من الولادة حتى المراهقة» مرشد شامل للأهل والعائلات، بل هو أكثر من مرشد إذ أنه يضم كما كبيراً من المعلومات التي يستفيد منها الطالب والمختص المهتم في تطور الأولاد على السواء.

إن هذا الكتاب يعكس عمق المعرفة عند المؤلفة وثناء تجربتها الميدانية في تثقيف الجمهور الاعتيادي والتعاطي معه.

هذا وإن تنظيم الكتاب يتلاءم تماماً مع احتياجات الأهل إذ إنه قسّم السنوات التكوينية للطفولة إلى مراحل واضحة مستنداً إلى هيكلية علمية. فلقد قسمت المؤلفة كل مرحلة إلى أجزاء متكاملة مثل التطور الجسدي والحركي وتطور النطق والقدرات الذهنية والمهارات الاجتماعية والعاطفية. ولقد أعطت وصفاً معمقاً لكل مرحلة حسب معالمها البارزة، بالإشارة إلى دور الوراثة والبيئة والأساليب التربوية وأهمية اللعب. إضافة إلى ذلك، هناك معالجة لمواضيع مهمة مثل العدوانية والغيرة والكذب والسرقة والمخاوف، والأهم من ذلك هناك إرشادات مفيدة للأهل تساعد على التفاعل مع هذه المراحل والتعامل مع هذه السلوكيات.

يركز هذا الكتاب على تطور الطفل الطبيعي، ومع ذلك يجد القارئ نصائح حول تفهم بعض السلوكيات المنحرفة عند أولادهم والتعامل معها لإزالتها. ويعالج البابان الأخيران من الكتاب مواضيع مهمة في مجال الاضطرابات النفسية عند الأولاد.

أما هدف الكتاب العام فهو وصف التطور السوي بلغة سهلة تسمح للأهل بأن يتفهموا أولادهم وتساعدهم على استخدام وسائل تربوية تضمن تطورهم الطبيعي والسليم.

مما لا شك به، علينا أن نفهم الطفل السوي قبل أن نفهم الاضطرابات النفسية عند الأطفال، بعبارة أخرى، لفهم المرض العقلي عند الأولاد يجب أن نفهم الصحة العقلية عند الولد السوي.

نحن نتطلع إلى قيام المؤلفة بوضع كتاب آخر متمم تطرح فيه مواضيع خاصة بالمشاكل العاطفية والنفسية عند الأطفال والمراهقين ويكون، كما الكتاب الحالي، موجهاً بالدرجة الأولى إلى الأهل.

**الدكتور وليد شكيم**

مدير معهد علم النفس الصيدلي

استاذ فخري في كلية الطب النفسي والعلوم السلوكية البيولوجية

جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس، الولايات المتحدة

"Our Children, from Birth to Adolescence" is a timely comprehensive guide for parents and families. It is more than a guide to parents and families, it is extremely informative and useful to any student or professional interested in child development.

The book is well written. The author's depth of knowledge and wealth of experience in teaching and dealing with the lay public is clearly evident. The book is well organized: it skillfully divided the formative years of youth in useful stages scientifically-based yet well suited for parents and families. The author divides each part into discussion of physical and motor development, speech, cognitive, social, emotional, and adaptive behaviors. Each developmental stage is described with emphasis on the salient features of the period; the effects of heredity, environment, rearing practices, play, and attachment are successfully discussed. Important variations in behavior like aggression, jealousy, lying, theft, and fears are described and, most importantly, useful advice to parents is given to allow them to deal with these phases and variations in behavior.

Even though the emphasis of the book is on the development of the normal child and adolescent, all through the book, the reader finds advice how to understand certain deviant behaviors in their children and how to deal with that behavior to eradicate it. The last two sections of the book, sixth and seventh, cover some important areas of child psychopathology. The target of the book is to describe normal development in a simple language that enables parents to understand their child and allows them to adopt healthy rearing practices that ensure normal and healthy development of their youngsters.

It is a known fact that before we can understand psychopathology in children and adolescents, we have to understand the normal child. In other words, before we can talk and understand mental illness in youth, we need to understand child and adolescent development and mental health. This book clearly achieves its objective.

We are ready for a sequel from the author where she hopefully will describe emotional problems that children and youth experience in a book directed toward parents and families. This is work that needs to be completed.

## **Dr. Walid Shekim**

Director of the ADHD and Psychopharmacology Institute  
Professor Emeritus in the Department of Psychiatry and Biobehavioral Sciences, University of California (UCLA), Los Angeles, USA

جاءت السيدة ريتا مرهج إلينا في مؤسّسة «الأمل» سنة 1984 للعمل كأخصائية في علم النفس العيادي مع المعوقين خلال أيام الحرب السوداء...

وكانت تحمل كتب تزكية من هيئة الأمم المتحدة في نيويورك وجامعة السوربون في فرنسا حيث كانت تحضّر بحثها لنيل شهادة الدراسات العليا المتخصصة في علم النفس.

ولقد أثبتت قدراً عالياً من الكفاءة لأنها لم تعمل حسب النظريات من وراء مكتبها فقط، بل عملت مع المعاقين والمشرّفين عليهم بنفسها بكل تواضع واحترام.

لقد استطاعت هذه السيدة المحبّة أن تزرع الأمل في نفوس المعوقين كما في أهاليهم والمشرّفين عليهم، عندما أثبتت بأن هناك مجالاً للتحمّس من خلال التدريب حتّى في أصعب وأشدّ حالات الإعاقة.

إنني لم أتفاجأ البتة بقدرتها على تأليف هذا الكتاب الذي قرأت ولمست فيه الأسلوب السهل الذي يعجب القارئ العادي، فيما يلاحظ أهل الاختصاص على الفور العمق وراء هذا الأسلوب السهل.

إن هذا الكتاب يعكس فهمها العميق لتطور الأولاد ومشاكلهم مما يضعها على مستوى القياديين القلائل القادرين على خدمة الانسانية بتواضع كلي.

يشرفني ان أكتب التمهيد لهذا الكتاب وأودّ أن أهنيء مجتمعنا بهذه الشخصية الصادقة التي تسعى دوماً لتحسين حياة معوقينا الأعزاء في الشرق الأوسط.

منيرة الصلح

رئيسة مؤسسة الأمل للمعوقين

حائزة على جائزة

«روز فتزجيرالد كندي للأمهات» 2005-2000

إن الفكرة وراء وضع هذا الكتاب حول تطور الطفل بكل جوانبه نابغة من خبرتي في تعليم مادة علم النفس لأكثر من عشر سنوات، ومشاركتي في العديد من المؤتمرات والندوات التربوية المحلية الهادفة لتوعية المجتمع اللبناني (مربيات وحاضنات أطفال، وطلاب في علم التربية وعلم النفس، وأمهات ضمن لجان الأهالي المرتبطة بمدارس عديدة) حول مسائل تربوية وعبادية واجتماعية تصب كلها في خانة واحدة هي المساهمة في تأمين الجو النفسي التربوي الملائم من أجل طفولة سعيدة ومستقبل أفضل لأجيالنا الصاعدة.

أما المحرك الأساسي الذي جعلني أنكبّ على مثل هذا المشروع فكان ظرفاً مهنيّاً تيسر لي من خلال قناة تلفزيونية محلية، وهي «تلفزيون المستقبل»، حيث طلب مني أن أعد وأقدم فقرة يومية بعنوان «أولادنا»، على أن تكون فقرة تثقيفية تهدف إلى إرشاد وتوعية الأهالي، وبالدرجة الأولى الأمهات، حول سير المسائل المتعلقة بتربية أولادهم.....

ولقد شكل هذا الظرف المهني بالنسبة لي فرصة نوعية لكي أوصل رسالتي لشريحة أكبر من المجتمع اللبناني وشريحة اجتماعية تختلف عن الشريحة التي اعتدت مواجهتها سابقاً ضمن خبرتي الأكاديمية والاستشارية، إذ كانت هذه الشريحة محصورة بالطلاب والزملاء العاملين في مجالي التربية وعلم النفس وبعض الأهالي الناشطين في مجال الخدمة الاجتماعية..... فها أنا، منذ أكثر من سنتين أواجه يومياً «جمهوراً واسعاً» يتكون بمعظمه من ربّات بيوت في القرى كما في المدن، في لبنان كما في العالم العربي، يعملن يومياً على تأمين تربية صالحة لأولادهنّ ويواجهن المشاكل والصعوبات التي تواجه عادة مثل هذه العملية، منها اليسيرة التي هي جزء من التطور الطبيعي للإنسان، ومنها الشديدة التي تحتاج إلى تدخل ومعالجة.

أقول إنها فرصة نوعية لتوجيه رسالتي وذلك لسببين:

فالسبب الأول هو أن معظم المصادر والمراجع التربوية التي قد تساعدنا على تربية أولادنا ومعالجة بعض الأمور التربوية والسلوكية هي باللغة الأجنبية، وبالتالي لا تطالها الشريحة الأكبر من المجتمع اللبناني أو العربي عامة، فكانت فقرة «أولادنا» فرصة لي لكي أوصل كل المعلومات من مفاهيم ونظريات وأبحاث متعلقة بعلم نفس الأولاد وتربيتهم بشكل مبسط من خلال أمثلة وشرح مفصل ومقابلات، وحتى اتصالات مباشرة مع المشاهدين.

أما السبب الثاني فهو يتعلق بمضمون الرسالة التي أناضل من أجلها منذ أكثر من عشرين سنة من خلال خبرتي كمديرة سابقة لجمعية تعتنى بالأولاد المعاقين، وعملي

الاستشاري للعديد من المؤسسات التي ترعى الأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة، وممارستي العيادية مع الطفل وعائلته، وهذه الرسالة تتضمن بعض النقاط الجوهرية بالنسبة لي وأهمها:

- العمل المستمر لمكافحة العنف الجسدي والمعنوي الممارس ضد الأولاد من خلال المناشدة باتباع تربية سليمة تركز على احترام حقوق الطفل، وتفهم مبادئ تطور الإنسان بكل جوانبه في مرحلة الطفولة.
- مكافحة الجهل السائد في مجتمعنا تجاه مسألة الإعاقة والعمل على التوعية الشاملة من أجل الوقاية والتدخل المبكر وصولاً إلى موضوع دمج الإنسان المعاق في المجتمع، وهو محط اهتمامي الأكبر حالياً.

إن الهدف الأساسي من هذا الكتاب هو توفير القدر الأكبر من المعلومات حول كل جوانب تطور الإنسان منذ الولادة حتى المراهقة، مع التركيز على الأساليب التربوية الملائمة لكل مرحلة تطورية في حياة أولادنا. من أجل ذلك اعتمدنا على جمع عدد كبير من النظريات التقليدية والحديثة، وعلى الأبحاث العلمية الجارية، كما أننا حرصنا على تأمين الناحية التطبيقية في فن التربية باعتمادنا أمثلة حية ناجمة من خلال عملنا مع الولد وعائلته ومدرسته.

يتكون هذا الكتاب من سبعة أقسام على الشكل التالي:

في القسم الأول، لمحة تاريخية حول دراسة تطور الأولاد، مع التركيز على أهم النظريات، وشرح للأساليب والوسائل المتبعة من قبل أهل الاختصاص والتي أدت إلى ثورة في نظرنا للطفل ولعالم التربية.

أما القسم الثاني، فيتناول كل جوانب التطور عند الرضيع حتى عمر السنتين، وينقسم هذا القسم إلى خمسة فصول، يركز كل فصل منها على إحدى نواحي التطور ابتداءً من النمو الجسدي، فالحسي، فتطور النطق والتطور الذهني وصولاً إلى التطور الاجتماعي والعاطفي.

يتبع القسم الثالث، وهو تطور الطفل من عمر السنتين حتى الست سنوات، التقسيم نفسه، فيعالج كل ناحية من نواحي التطور في فصل مخصص ضمن تحليل شامل، مرفق بعدد من الإرشادات العملية للأهالي في إطار التطور الجسدي والحسي وتطور النطق والتطور الذهني والاجتماعي. ومن الجدير بالذكر أن هذا الباب يحتوي على معالجة لمواضيع مهمة جداً في مجال تربية الأطفال، مثل موضوع العدوانية، والغيرة، والمشاكل الشائعة في الطفولة كالكذب والسرقة والمخاوف عند الأولاد في هذه المرحلة الدقيقة من النمو.

أما القسم الرابع وهو حول تطور الطفل بين السادسة والحادية عشرة، فإنه مكوّن من ثلاثة فصول هي التطور الجسدي والحركي، والتطور الذهني فالتطور النفسي



والاجتماعي، وفي كل فصل بحث شامل لهذه الجوانب مع مجموعة نصائح تربية وإرشادات عملية حول كيفية التعامل مع الولد.

القسم الخامس يتناول موضوع المراهقة بكل جوانبها، مع شرح معمق للتحويلات البيولوجية، وتأثير العوامل العديدة التي تميز حياة المراهق في هذه المرحلة الحساسة جداً من نموه (دور الهرمونات، نوعية التغذية، عمر البلوغ وتأثيره على السلوك الاجتماعي، الخ...). يعالج هذا القسم في فصوله الثلاثة كل خصائص التطور عند المراهق من النواحي الجسدية والفكرية والاجتماعية، إضافة إلى تحليل لأهم المشاكل التي قد تنشأ في هذه المرحلة مثل الرسوب المدرسي، وتأثير الأصدقاء، والاكتئاب والانتحار.

في القسم السادس، وهو بمثابة ملحق، نقدم للأهالي نصائح مختلفة تصب جميعها في مجال التربية السالحة، وتجييب على أسئلة مهمة تشكل هاجساً كبيراً عند الأهال: كيف نكون أهلاً أفضل؟ ما هي التربية السليمة؟ هل من وسائل محددة لتربية أولاد سعداء؟ إلخ...

أما القسم السابع والأخير فهو مقسم إلى سبعة فصول مستقلة، يعالج كل منها موضوعاً معيناً، تلبية لحاجة العديد من الأهالي الذين أبدوا قلقهم حيال مواضيع عديدة أهمها: الطفل الخجول، والنشاط المفرط والنقص في الانتباه، والتوعية الجنسية، واضطرابات النوم عند الأولاد، و الأولاد ذوو الاحتياجات الخاصة...

نأمل أن نكون من خلال هذا الكتاب قد حققنا هدفنا الأساسي، وهو وضع المعلومات العلمية حول المبادئ الحديثة في تربية الأطفال في متناول الجميع، مساهمة منا في إنشاء جيل من الشباب الواثقين من أنفسهم، والقادرين على الإبداع، وعلى مواجهة كل الضغوطات والتحديات التي يفرضها أمامهم القرن الحادي والعشرين...

القسم



1

مدخل الى

تطور الأولاد

## 1 - لحة تاريخية حول دراسة تطور الأولاد



هل طريقة إدراك الأولاد الصغار للعالم حولهم مشابهة لطريقة الإنسان الراشد أم إنها تختلف بشكل جذري عنها؟ لماذا البعض منا يحتفظ بنفس نمط السلوك الذي تميز به كطفل، والبعض الآخر يتحول إلى «شخص آخر» يختلف كلياً عما كان عليه في طفولته؟ إلى أي مدى تشبه خبرات أولاد اليوم في البيت والمدرسة والشارع خبرات أولاد الأجيال السابقة، وإلى أي مدى تختلف عنها؟ ما هو تأثير التغيرات عبر الأجيال - مثل عمل الأم، تكاثر الحضانات، الطلاق، العائلة المصغرة والتكنولوجيا - على شخصية الأولاد ونمو قدراتهم؟

هذه هي باختصار بعض الأسئلة التي تتوجه إليها دراسة تطور الأطفال بتناولها كل مجالات النمو عند الإنسان منذ الولادة حتى سنّ المراهقة.

إن دراسة تطور الأولاد حديثة نوعاً ما إذ إنها لم تأخذ منحها العلمي إلا في بدء القرن العشرين، فأخذت النظريات تنتشر حول مفهوم التطور. وكلمة نظرية تعني هنا مجموعة أفكار هدفها وصف وتحليل ووضع توقعات أو تنبؤ للسلوك.

فمثلاً، نظرية حول تعلق الطفل بأمه تعطي وصفاً لسلوك الرضيع الذي يؤدي إلى بحثه عن حنان أمه في الشهر السابع، كذلك تحلل

النظرية سبب هذا البحث عند الولد، وأخيراً تحاول النظرية التنبؤ حول ماذا قد ينتج عن فقدان هذا الحنان وتأثيره على علاقة الولد بأمه.

فالنظرية مهمة لسببين: السبب الأول هو أنها توفر إطاراً منتظماً لمراقبتنا للولد في تصرفاته وانفعالاته، أي إنها تحلل ماذا نرى، والسبب الثاني هو أن النظرية تعطينا ركيزة متينة للعمل التطبيقي، فإذا فهمنا عملية التطور، نكون في موقع أفضل لكي نقوم بمجهود عملي لتحسين الظروف المحيطة بأولادنا وتأمين العلاج المناسب لمشاكلهم.

لكننا نرى أنه في مجال تطور الأولاد هناك نظريات عديدة مع أفكار تختلف كثيراً من نظرية إلى أخرى، فليس هناك حقيقة واحدة في علم تطور الأولاد، وأصحاب النظريات لا يتفوقون دائماً مع بعضهم البعض، ولا يوجد نظرية واحدة حتى الآن استطاعت أن تفسر كل نواحي التطور عند الإنسان (الجسدي، الفكري، العاطفي والاجتماعي).

إنما توجد كل هذه النظريات بالرغم من أوجه الاختلاف العديدة بينها يساعداً على زيادة معرفتنا في الحقل التطوري.

وبما أن كتابنا هذا موجه بالدرجة الأولى للأمهات والآباء الذين يتوقعون الإرشاد العملي من خلال قراءتهم، فلن نتعمق بعرض كل المحطات البارزة في تاريخ دراسة تطور الأولاد، إنما سوف نكتفي بتلخيص أهم هذه المحطات بالنسبة لتأثيرها على تفهم نمو الطفل.

تقليدياً كانت معظم نظريات تطور الأولاد تتمحور حول ثلاث مسائل أساسية نلخصها فيما يلي:

يعرض المحور الأول وجهات النظر بالنسبة لدور الإنسان في عملية النمو، فهناك العديد من النظريات التي ترى أن النمو عند الإنسان عملية طبيعية تنبثق من داخله، بمعنى أن هناك أنظمة نفسية داخلية تقود وتضبط عملية التطور، مما يجعلها ديناميكية ذات هدف ومتفاعلة مع المحيط وما يقدمه من مثيرات للولد، إنما يبقى دور الولد هو الدور الأساسي والأهم. بالمقابل هناك مجموعة أخرى من النظريات تقع تحت عنوان النظرة «الميكانيكية» التي تعتبر أن التغيير عند الإنسان هو مسألة تفاعل مستمر مع المحيط، وأن المحيط هو الذي يوجه ويرسم السلوك عند الولد، والتطور ليس هو إلا نتيجة للخبرات والأحداث التي يتعرض إليها الطفل في حياته.

ويتناول المحور الثاني وصفاً لعملية التطور، فترى بعض النظريات أن الإنسان يأتي إلى العالم مع مجموعة قدرات ومهارات جوهرية تزداد تعقيداً كلما كبر، وهكذا يكون النمو عملية متراكمة ومتدرجة من حالة عدم النضوج إلى حالة النضوج الكلي لهذه القدرات. بالمقابل، هناك مجموعة أخرى من النظريات التي تعتبر أن لكل مرحلة من مراحل النمو خصائص مميزة وخاصة بها، وتختلف عن خصائص المراحل الأخرى، مما يناقض مفهوم تراكم الخبرات وتدرجها إلى حالة نضوج كما ورد أعلاه، فالنمو هنا يبدو كعملية متقطعة مجزأة تتميز بسلوكيات خاصة لكل جزء من أجزاء هذه العملية.

أما المحور الثالث لنظريات النمو عند الإنسان فيتناول الجدل التقليدي القائم بين دور الوراثة ودور المحيط في تكوين وتطوير شخصية الإنسان وسلوكه. فبينما ترى النظرة الأولى أن المعطيات التي يرثها الإنسان من والديه هي التي تقود تطوره وتؤثر على كل خصائصه ومهاراته، تعتبر النظرة الثانية بالمقابل، أن المحيط الذي يعيش فيه الإنسان في البيت والمدرسة فمكان عمله وصولاً إلى المجتمع ككل وما يوفره من خبرات وظروف ومثيرات هو المسؤول الأكبر في عملية النمو والشكل والمنحى الذي تتخذه شخصية الإنسان.

أما اليوم، فإننا نرى أن هذه المحاور الثلاثة قد اضمحلت بعض الشيء، وقد خفت التناقضات الحادة التي سردناها أعلاه لتحل محلها النظرة الحديثة لتطور الإنسان، وهي نظرة قائمة على الدمج بين الفريقين، وهذه هي وجهة نظرنا الخاصة بالنسبة لتفهم النمو عند الأولاد، إذ إننا نرى أنه في بعض المجالات يتميز النمو بالميكانيكية في طريقة تفاعله مع مثيرات المحيط، بينما تلمس فاعلية الإنسان القاطعة في مجالات أخرى، كذلك نرى أهمية المحطات التطورية في حياة الإنسان. إنما لا نؤمن بتجزئة التطور إلى أجزاء متقطعة عن بعضها البعض، بل نتطلع إلى التطور كعملية مستمرة متجانسة بكل مراحلها. وأخيراً، إذا عدنا إلى الجدل السائد بين الوراثة والمحيط، نعتقد أنه من الأفضل عدم الخوض في مناقشة ما هو الأهم (الدور الوراثي أو دور البيئة) والتركييز على كيفية تفاعل الطبيعة والمحيط في التأثير على خصائص الطفل وقدراته.

## 2 - وسائل دراسة تطور الأولاد

كل الأبحاث التي تتناول موضوع تطور الإنسان قائمة على وسائل علمية تتضمن خطوات وخيارات مهمة. فعلى الباحث أن يقرر من هم الأفراد الذين يود إجراء

البحث عليهم، وما هو عددهم، وما هي السلوكيات التي يود دراستها، ومتى وأين وما هو مدى متابعة البحث على هؤلاء الأفراد. وأخيراً يجب على الباحث أن يدرس العلاقات بين كل المعطيات التي يحصل عليها، وأن يستنتج بعض المفاهيم من هذه المعطيات. فما هي إذن الوسائل التي يتبعها الباحث لدراسة تطور الأبناء؟ قد يتساءل القارئ ما هي أهمية الاطلاع على هذه الوسائل في هذا الكتاب؟ ولماذا لا يترك هذا الموضوع للعلماء وأهل الاختصاص؟

فالجواب هو أننا عندما نتعرض لأي نوع من المعلومات يجب أن نتلقاها بالعقل والنقد وليس بالسذاجة التي تجعل الفرد يمتص المعلومات من دون تساؤلات. لذلك يجب علينا أن نقدر مواطن القوة ونقاط الضعف في كل بحث من الأبحاث التي نتعرض إليها قبل أن نفر مصداقية هذا البحث، وطبعاً قبل أن نهب لتطبيق المعطيات الواردة فيه. وفيما يلي عرض سريع للوسائل المستخدمة في الأبحاث العلمية لدراسة تطور الأبناء:

مراقبة السلوك: وهي مراقبة وتسجيل السلوك عند حصوله. هناك عدة طرق لتنفيذ مثل هذه المراقبة، وإحدى هذه الطرق هي المراقبة الطبيعية، حيث يمضي الباحث وقتاً وثيراً في موقع حدوث السلوك الذي يهتم به في بحثه، مثل مراقبة وتسجيل حدوث السلوك العدواني ضمن مجموعة من الأطفال في مرحلة الروضات. إنما هناك نقطة ضعف في هذه الوسيلة، إذ إن الظرف الملائم لحدوث سلوك معين قد لا يكون متوفراً لكل الأبناء في حياتهم اليومية.

لذلك فقد يلجأ الباحثون لنوع آخر من المراقبة، وهي المراقبة المنهجية. حيث يقوم الباحث عمداً بخلق الظرف المناسب لحدوث سلوك معين يرغب في دراسته. وتجري إجمالاً مثل هذه المراقبة في «المختبر» حيث يكون كل الأفراد المشاركين في البحث معرضين بشكل متساو لنفس الظروف، وبالتالي لتنفيذ السلوك المرغوب في بحثه. إن مثل هذه المراقبة تسمح للباحث أن يضبط بشكل فعال ظرف البحث لكن يبقى هناك أن الأبناء لا يتصرفون دائماً في إطار المختبر مثلما يتصرفون خارجه، أي في حياتهم اليومية. أما الطريقة المتبعة في المراقبة المنهجية لجمع المعلومات حول سلوك معين فهي تختلف حسب الموضوع الذي يجري البحث فيه. فنرى أحياناً أنه يجب مراقبة المجموعة ووصف كل المنحى السلوكي عند الفرد أو المجموعة (الأقوال والأفعال) خلال فترة محددة من الزمن، وأحياناً أخرى يكون التركيز على وجه واحد من أوجه السلوك العديدة ويسجل كل ما يتعلق بهذا السلوك بدقة كبيرة، واستخدام استمارات مفصلة حول هذا السلوك.

التقرير الذاتي: وهو تقنية تطلب من الفرد أن يجيب على أسئلة حول قدراته، ومشاعره، واعتقاداته، وخبراته الماضية. ويتخذ التقرير الذاتي عدة أشكال أهمها: الاستجابات العيادي حيث يقوم الباحث باستجواب الفرد من خلال حوار مرن مسلطاً الضوء على بعض نقاط ذات علاقة مباشرة بموضوع البحث.

والجدير بالذكر هو أن العالم السويسري الشهير «جان بياجيه» ارتكز على العديد من الاستجابات العيادية مع الأطفال لبناء نظريته الشاملة حول تطور القدرات الفكرية عند الأولاد. قوة الاستجابات العيادي تكمن في أنه يسمح للفرد أن يعبر عن أفكاره بشكل قريب جداً من طريقة تفكيره في حياته اليومية. كما أنه يقدم ثروة كبيرة من المعلومات خلال فترة زمنية قصيرة نسبياً.

لكن هناك نقطة ضعف أساسية في استخدام مثل هذه الوسيلة، وهي تكمن في مدى صحة ما يعبر عنه الفرد من أفكار ومشاعر، إذ إن البعض قد يميل إلى إرضاء الباحث بإعطائه أجوبة لا تتلائم مع اعتقاداتهم أو خبراتهم الحقيقية. كذلك وبما أن الاستجابات العيادي يعتمد على القدرة اللغوية وقوة التعبير عند الإنسان فقد لا يكون الوسيلة المناسبة لهؤلاء الأفراد الذين لا يبرعون في ترجمة أفكارهم إلى كلمات .

المأخذ الأخير يتعلق بمرونة الاستجابات العيادي، إذ إن طريقة طرح السؤال تختلف من فرد إلى آخر، وقد يؤدي ذلك إلى أن تكون الأجوبة متلائمة مع طريقة طرح السؤال أكثر من كونها معبرة عن حقيقة مشاعر الفرد حول موضوع معين. لهذه الأسباب وضع الباحثون الاستجابات المنتظم الذي يهدف إلى طرح نفس الأسئلة على كل الأفراد، مبتعدين عن النمط الحوارية الذي وصفناه سابقاً، ومركزين على الاستمارات والاختبارات التي تستعمل مع مجموعة كبيرة من الأفراد من خلال الإجابة الخطية على أسئلة معينة.

إنما يجب أن نتذكر أنه باعتماد مثل هذه التقنيات المنتظمة يفقد الاستجابات العيادي الكثير من عفوية التعبير الشخصي، وأيضاً من عمق المعلومات التي يحصل عليها الباحث من الاستجابات العيادي التقليدي.

الوسيلة العيادية (أو دراسة الحالة): هي منبثقة عن مدرسة التحليل النفسي التي تركز على أهمية دراسة الطفل الفرد. فالوسيلة العيادية تعتمد على معلومات من مصادر مختلفة مثل الاستجابات العيادي، والمراقبة، وحتى معطيات من اختبارات خضع لها الفرد. هذا وتكون دراسة الحالة غنية في وصف التفاصيل وتؤدي إلى توفير احتمالات مهمة للباحث حول عملية التطور عند الطفل.

هناك نقطتا ضعف أساسيتان في الوسيلة العيادية، الأولى: إن تحليل المعلومات



حول الفرد قد يكون متأثراً بالإطار النظري الذي ينتمي إليه الباحث. والثانية: لا يستطيع الباحث أن يعمم ما استخلصه من دراسة حالة فردية على المجموعة.

نظراً إلى النواقص العديدة التي قد لمسها القارئ بعد هذه اللحمة السريعة للوسائل المتبعة في دراسة تطور الأبناء، نرى أنه من الضروري تزويده بالمزيد من المعلومات حول وسائل بحث من نوع آخر تعتمد على مبادئ البحث العلمي المحض، وفيما يلي نعرض بشكل مبسط أهم هذه الوسائل.

التصميم الاختباري: حيث يعتمد الباحث على تصميم اختبار للتحقيق في سلوكيات أو أحداث معينة باختبار عوامل منها المستقلة ومنها المتأثرة، بمعنى أن بعض العوامل قد تثير تغييراً في العوامل الأخرى، أي في السلوك. فمثلاً، إذا كان الباحث يريد التحقيق في مدى تأثير مشاهدة أفلام العنف التلفزيونية على درجة العدوانية عند الأبناء، فقد يلجأ إلى تصميم اختبار باعتماد أفلام عنف كعامل مستقل، ومراقبة سلوك الأبناء، كعامل متأثر. وهنا يستطيع الباحث أن يتلاعب بالعامل المستقل (نوع الفيلم، مدة الفيلم، درجة العنف في الفيلم... الخ) وتسجيل أي تأثير لهذا التلاعب على سلوك الأبناء. الميزة الأساسية في التصميم الاختباري هي أنها تسمح للباحث أن يضبط بشكل موضوعي جداً كل العوامل الجانبية التي قد تؤثر على نوعية نتائج البحث، والوصول إلى خلاصة يستطيع تعميمها، من خلال إحصاءات دقيقة جداً، على شريحة أكبر من المجتمع تتعدى نموذج الأفراد الذين تم استخدامهم في دراسته.

التصميم الزمني (الطويل المدى): هناك اهتمام كبير جداً عند العلماء حول عملية التغيير عند الإنسان عبر الزمن، فيأتي التصميم الزمني لتلبية هذا الاهتمام، وهو وسيلة علمية تدرس مجموعة من الأفراد بشكل يتكرر في فترات زمنية مختلفة، وهذه الفترات قد تكون بضعة أشهر، أو بضع سنوات، أو قد تتناول أجيالاً من المتابعة الدقيقة المنتظمة.

فمثلاً، إذا أراد الباحث أن يدرس موضوع الخجل عند الإنسان، فإنه يلجأ إلى اتخاذ مجموعة معينة من الأفراد في عمر مبكر (أطفال في عمر السنتين) وتسجيل المعلومات الدقيقة حول مستوى الخجل ونوعية الاتصال والتأقلم الاجتماعي عند هؤلاء الأفراد، ومن ثم إعادة الدراسة عند دخول هؤلاء الأفراد المرحلة الابتدائية مع المقارنة الإحصائية للسلوك وربط التغييرات الحاصلة بالعوامل والظروف المستجدة في حياتهم، ومن ثم إعادة الدراسة، بعد بضعة أعوام، مثلاً عند دخولهم مرحلة المراهقة، .... الخ.

بالرغم من مواطن القوة العديدة التي نجدها في مثل هذه الوسيلة لدراسة التطور عند الإنسان، لا بد من أن نذكر بعض المشاكل التي نواجهها، وأهمها أن بعض أفراد المجموعة التي اعتمدت عليهم الدراسة بالأساس قد يكون هناك صعوبة في متابعتهم لأسباب عديدة (السفر، الوفاة، ظروف عائلية قاهرة، الخ....).

كما أنه لا يجب أن ننكر أهمية تأثير البيئة التاريخية والحضارية التي ينتمي إليها أفراد مجموعة البحث الأساسية، فهؤلاء الأولاد الذين تم اختيارهم لدراسة معينة ينتمون إلي ظروف تاريخية وحضارية خاصة بهم، ولا نستطيع تعميم النتائج المنبثقة من هذه الدراسة على أولاد نشأوا وترعرعوا في بيئة تاريخية وحضارية مختلفة، فالقيم الاجتماعية تتغير باستمرار، وما كان يعتبر عاملاً مؤثراً على أولاد الستينيات، لا نستطيع أن نطبقه على أولاد التسعينيات.

التصميم عبر المجموعات: وهي الوسيلة التي يعتمدها الباحثون لحل المشاكل الناجمة عن التصميم الزمني باتخاذهم مجموعات مختلفة من الأفراد في أعمار مختلفة، ودراستهم ضمن فترة زمنية واحدة. إن مثل هذه الوسيلة فعالة جداً في وصف وتحليل التيارات السلوكية التي تميز عمراً عن آخر، إنما تشكو من نقص كبير في المعلومات حول كيفية التطور الفردي، إذ إنها تعطي وصفاً إجمالياً لتطور السلوك ولا تأخذ بعين الاعتبار الفروقات الفردية التي قد تؤثر على هذا التطور عند الفرد الواحد.

مع ختام هذه اللمحة الموجزة حول أهم الأطر النظرية ووسائل البحث العلمية، أصبح القارئ جاهزاً لتفهم عملية التطور عند الأولاد. وسوف نتبع في الأقسام القادمة تسلسلاً زمنياً لشرح هذا التطور ابتداء من الولادة حتى سن المراهقة، مع التركيز في كل قسم على ناحية من نواحي التطور العديدة (التطور الحركي، ثم الذهني، تطور النطق فالتطور العاطفي والاجتماعي).

إنما المهم ذكره هو أن القارئ أصبح مدركاً أن هذه الجوانب المختلفة من تطور الإنسان متجانسة ومتراصلة بين بعضها، ولا نستطيع فصل بعضها عن بعض فصلاً قاطعاً، إذ إننا ننظر للولد نظرة شمولية، وهذه هي بالضبط نظرة هذا الكتاب تجاه تربية الأولاد ومساعدتهم على بناء شخصية قادرة على التفاعل المرن مع إيجابيات وسلبيات هذا العصر على السواء، والتعامل السليم مع الضغوطات والتحديات التي لا شك أنهم سيواجهونها بشكل أو آخر في حياتهم اليومية في المنزل، وفي المدرسة، وفي المجتمع ككل.

## فن التربية

إن تربية الأطفال فن، فمثل الرسام الذي يسعى بشتى الطرق إلى إبراز جمال لوحته، أنت الأم الفنانة، يتوجب عليك إبراز جمال أولادك بكل ما تملكينه من وسائل وأفكار وإبداع وخيال... فالجمال الذي أحدث عنه هنا هو الجمال النابع من التجانس الداخلي والثقة بالنفس، الجمال المنبثق من شعور الولد بأننا نحبه كما هو وليس كما نريده أن يكون.

إن خبرة الأمومة هي أجمل وأسمى الخبرات التي يمر بها الإنسان في حياته، فلا تدعي هذه الخبرة تقتصر على الواجبات الحياتية الأساسية: مهمتك ليست فقط إطعام الطفل وتأمين الدفء له عند البرد وتنظيفه عند اللزوم ومساعدته في دروسه والتخفيف من ألمه عند المرض... لا... مهمتك الجوهرية هي تأمين الأرض الخصبة لكي تتبلور عليها قدراته ومهاراته على أكمل وجه، وتقديم الدعم الكافي لكي يواجه تحديات الحياة بالطريقة الملائمة، وهذه التحديات قد تكون ناتجة من المشاكل الخاصة به (نقاط ضعفه التي هي من خصائص طبيعه الشخصي) ومن عوائق المحيط الذي يحثك به يومياً (علاقته مع اخوته، مع رفاقه، خبراته المدرسية، ضغوطات المجتمع...).

المبدأ الأساسي في فن تربية الأولاد هو تقبل الولد في فرديته واختلافه: عندما يشعر الولد أننا نقبله كما هو وأننا نسمح له بأن يكون مختلفاً، يبرز عنده حب الاستكشاف ويتعلم كيف يقدر قدراته الشخصية وكيف يطورها إلى أكمل وجه دون أن نضغط عليه لكي يكون «أفضل» فهو ينمو عارفاً ما هو الأفضل بالنسبة له! هذا التقبل يعني أنه يتوجب علينا أن نسمح للولد بأن يقوم بأخطاء، مما يجعله يسعى لتصحيح نفسه والتعلم من أخطائه ويخلق عنده الدافع الداخلي للإنجاز والنجاح.

## 28 ..... الفصل 1 : التطور الجسدي والحركي

اولا : قدرات المولود الجديد

ثانياً : التطور الجسدي

ثالثاً : تسلسل التطور الحركي

رابعا : دور النضوج البيولوجي ودور الخبرة في المحيط

خامسا : التدريب على النظافة

## 44 ..... الفصل 2 : التطور الحسي

اولا : حاسة اللمس

ثانياً : حاسة التذوق

ثالثاً : حاسة الشم

رابعا : حاسة البصر

خامساً : حاسة السمع

## 54 ..... الفصل 3 : تطور النطق

اولا : كيف تتم عملية اكتساب النطق خلال السنتين

الاولتين من حياة الطفل

ثانياً : النطق والاستيعاب

ثالثاً : الفروقات الفردية

رابعا : تأثير تعدد اللغات على اكتساب النطق

# طفلك

## من الولادة حتى السنتين

### الفصل 4 : التطور الذهني ..... 62

- اولاً : المصطلحات في نظرية « بياجيه »
- ثانياً : المرحلة الحسية الحركية
- ثالثاً : ميزات المرحلة الحسية الحركية
- رابعاً : تأثير البيئة المنزلية على حياة الطفل
- خامساً : تأثير الحضانة على تطور القدرات الفكرية
- سادساً : الالعاب التي تساهم في تنمية القدرات الفكرية

### الفصل 5 : التطور العاطفي والاجتماعي ..... 74

- اولاً : نظرية « أريكسون » في التطور الاجتماعي
- ثانياً : التعلق بالأم والانفصال عنها
- ثالثاً : أنواع التعلق بالأم
- رابعاً : ماذا عن طبع الولد
- خامساً : تسلسل التطور العاطفي من الولادة حتى السنتين
- سادساً : نظريات في حفز التطور العاطفي الاجتماعي
- سابعاً : تقنيات فعالة

## التطور الجسدي والحركي



### التطور الجسدي والحركي

يتناول القسم الثاني من هذا الكتاب تطور الطفل منذ الولادة حتى عمر السنتين بكل جوانبه، ابتداء من التطور الجسدي الحركي مروراً بالقدرات الحسية، فتطور المهارات الفكرية، مع التفاتة مفصلة لتطور النطق، وصولاً إلى التطور العاطفي والاجتماعي عند الإنسان في أول سنتين من حياته، ولقد كرسنا فصلاً كاملاً لدراسة كل مجال على حدة.



## أولاً - قدرات المولود الجديد

أما بالنسبة للتطور الجسدي والحركي عند المولود الجديد، فتبدأ الحكاية عند الولادة حيث يكون همّ الوالدين الأكبر متعلقاً بصحة المولود، والسؤال الأول هو "هل كل شيء على ما يرام؟"

لمعرفة إذا ما كان كل شيء على ما يرام، وضع الطب مقياساً لتقييم حالة الطفل عند الولادة هو "مقياس أبغار" للتقييم (APGAR Scoring Method) الذي يكشف عن صحة المولود في الدقيقة الأولى من الحياة وخلال الدقائق الخمس التالية عبر خمسة مؤشرات هي:

- دقات القلب
- المجهود التنفسي
- قوة الانعكاسات
- قوة العضل
- اللون

### جدول تقييم حالة الرضيع حسب "مقياس أبغار APGAR"

التقييم				
المؤشرات	حالة خطر	تدخل ضروري	طبيعي	
دقات القلب	لا يوجد دقات قلب	أقل من 100 دقة بالدقيقة	بين 100 و 150 دقة بالدقيقة	1
المجهود التنفسي	لا يتنفس خلال 60 ثانية	التنفس غير منتظم وضعيف	التنفس قوي مع بكاء	2
قوة الانعكاسات	لا استجابة	استجابة ضعيفة	استجابة قوية (عطس، سعال، حركات بالوجه)	3
قوة العضل	خمول تام	حركة ضعيفة في الذراعين والساقين	حركة قوية في الذراعين والساقين	4
اللون	ازرقاق الجسد والذراعين والساقين	الجسد زهري اللون مع ازرقاق في الذراعين والساقين	لون زهري للجسد والذراعين والساقين	5

في سنته الأولى يتمتع المولود الجديد بمجموعة مميزة من القدرات الأساسية للعيش والمهمة جدا لإثارة اهتمام ورعاية والديه، فالمولود، منذ اللحظات الأولى، ناشط في علاقته مع العالم الخارجي وفي بناء اتصاله الاجتماعي الأول.

من أهم هذه القدرات ما نسميه بالانعكاسات العصبية البدائية، وهي استجابات حركية لا إرادية لمحيطه تلمد معه وتتفاعل بشكل تلقائي مع الإثارات التي يتعرض لها. وهذه الانعكاسات تبقى مخزنة في المراكز الدنيا من الجهاز العصبي المركزي، ويأتي انحسارها التدريجي خلال السنة الأولى من الحياة نتيجة لسيطرة المراكز العليا والقشرة الدماغية على المراكز الدنيا. كما أننا نتطلع إلى هذه الانعكاسات كأول سلوك واضح ومنتظم يقوم به الإنسان، ويهتم الأطباء كثيراً بفحص هذه الانعكاسات لأنها الدليل على صحة الجهاز العصبي المركزي عند المولود. فعند الأوالاد الذين يعانون من خلل ما في الدماغ، تكون الانعكاسات ضعيفة أو حتى غير موجودة، وفي بعض الحالات، تكون طاغية بشكل مبالغ ومتشعبة. كما أن الخلل الدماغية قد يكشف عندما تبقى هذه الانعكاسات لمدة تتجاوز الفترة التطورية حيث يجب أن تختفي.

يأتي الرضيع إلى العالم مع العديد من هذه الانعكاسات، وفيما يلي عرض لأهمها:

إغلاق العين: عند توجيه ضوء قوي أو عند التصفيق قرب الرأس يغلق المولود عينيه. هذا الانعكاس لا يزول، ووظيفته الحماية ضد الإثارة الشديدة أو المؤذية .

حركة القبض باليد (**palmar grasp**): عند وضع الإصبع في يد الرضيع تنكمش يده حول الإصبع بشدة، وتكون يدا المولود الجديد خلال الأشهر الثلاثة الأولى أسيرتين لحالة الانقباض الغريزية، ويتعذر فتح كفيه أحياناً، وإذا فتحت كفاه سرعان ما يطبقهما حتى أنه يمكن رفع الطفل من الوضعية الأفقية إلى الوضعية العمودية عن طريق شده بإصبعين بعد أن يقبضهما بكفيه. ونلاحظ أنه عند بلوغ الثلاثة أو أربعة أشهر تبدأ عملية فتح الكفين، إذ تتطور عند المولود حركات مرنة شبيه إرادية.

انعكاس بابنسكي (**Babinski**): عند لمس أسفل القدم من الأظافر حتى الكاحل تنفتح الأصابع إلى الخارج لتعود وتنكمش، بينما تندفع القدم إلى الداخل، وهذا الانعكاس يزول بين الشهر الثامن والعام الأول.

انعكاس الرأس نحو مصدر اللمس (**rooting**): عند لمس الوجه في جانب معين قرب طرف الفم، يدير المولود رأسه نحو مصدر اللمس. يزول هذا الانعكاس بعد



ثلاثة أسابيع حيث تصبح الحركة إرادية، ويساعد هذا الانعكاس المولود الجديد على البحث عن الحلمة للرضاعة.

الرضاعة: عند وضع الإصبع في فم المولود يبدأ بالرضاعة الإيقاعية، وهذا الانعكاس لا يزول.

التحكّم في حركة الرأس: عند دفع المولود بالأيدي إلى وضعية الجلوس من وضعية الاستلقاء، يستطيع في أسبوعه الخامس أو السادس أن يسيطر على حركة رأسه بحفظه مستقيماً. إذا لم يستطع المولود في أسبوعه السادس أن يقوم بهذه السيطرة، قد يوحي ذلك باضطراب دماغي، كحالة خمول قصوى، أو تأثير عوامل أخرى مثل مفعول بعض الأدوية، أو حالة مرضية شديدة.

انعكاس «مورو» العصبي (Moro reflex): للتحقق من وجود هذا الانعكاس، يمكننا استعمال إحدى هاتين الطريقتين:

1 - نمسك الوليد من كلا ساعديه وهو مستلق على السرير ثم نرفعه قليلاً عن السرير ونتركه يقع فجأة عليه.

2 - أو عند استلقاء المولود على السرير نحدث ارتجاجاً خفيفاً قريباً على السرير. عندئذ يبسط الوليد ساعديه بشكل متساوٍ إلى كلا الجانبين لمدة ثانية واحدة ثم يقوم بثنيهما إلى فوق وإلى الأمام ويفتح أصابعه.

إن هذا الانعكاس يختفي عند عمر الستة أشهر. أما إذا استمر بالوجود، فقد يستلزم ذلك استشارة طبية للكشف عن أي اضطراب دماغي، خاصة إذا عاد الانعكاس إلى الظهور مجدداً بعد اختفائه. كذلك إذا كانت استجابة المولود ضعيفة وغير متساوية يجب ملاحظة الساعد الذي لم يتحرك على النحو المرغوب. ففشل المولود قد يشير إلى ضعف ما أو كسر أو تشوه. وإذا كان المولود مريضاً، قد تكون استجابته ضعيفة إنما متساوية.

انعكاس الخطو (stepping): عند حمل الوليد من تحت إبطيه وتقفيزه على سطح السرير لثلاث أو أربع مرات، نرى أنه يرفع القدم بعد الأخرى وكأنه يخطو إلى الأمام. إن هذا الانعكاس يزول في عمر الشهرين، ووظيفته تحضير الولد للمشي الإرادي.

انعكاس الوقوف: في شهره السادس، إذا لم يستطع المولود أن يتكئ بكل ثقله على قدميه عندما نحمله في وضعية عامودية فوق السرير ونجعل قدميه يلمسان سطح السرير، قد يعني ذلك أن هناك ضعفاً ما من نوع الخمول. كذلك تشبيك الساقين

الواحد فوق الآخر نادر جداً في هذا العمر، وقد يشير إلى تشنّج في حالة المولود. الفشل التام في هذا الانعكاس قد يكون نتيجة تأخر تطوري: شلل دماغي أو حتى حرمان اجتماعي، حيث لم يتعرض المولود لتمارين جسدية وحركية مناسبة. أما الأولاد المصابون بالشلل الدماغي، فلا يتمكنون من بسط الساقين فيجلسون في الهواء.

الانعكاس الرقبى: عندما ندير رأس المولود إلى جانب معين وهو مستلق على ظهره، يتخذ المولود وضعية المقاتل (fencing position) وهي انبساط الساعد والساق في محاذاة الوجه، وانقباض الساعد والساق في محاذاة قفا الرأس. إن هذا الانعكاس يزول في حدود العام الأول فيستحيل على الولد أن يسيطر على أي حركة



في جسمه دون انحسار ذلك الانعكاس، أي إنه لا يستطيع الانقلاب من وضع إلى آخر، أو تناول الأشياء أو الجلوس، أو الحبو، أو الوقوف، إذا لم تتم السيطرة الإرادية على الانعكاس الرقبى.

## ثانياً - التطور الجسدي

عندما نتكلم عن النمو الجسدي عند الإنسان نتكلم عن التغيرات الحاصلة في الطول والوزن وفي اكتساب القدرات الحركية، فبالنسبة للأم والأب اللذان يقفان مندهشين أمام مولودهما الجديد يبقى السؤال الأساسي، وهو هل ينمو ابني بشكل سليم؟ وأهم مقاييس النمو السليم هما ازدياد الوزن والطول عند المولود.

وبالفعل نلاحظ أن خلال السنتين الأوليين من الحياة، تحدث هذه التغيرات الجسدية بشكل سريع، ففي نهاية العام الأول يكون طول الولد 50% أكثر مما كان عليه عند الولادة، وفي عامه الثاني تعلق هذه النسبة حتى 75% كذلك فإن الوزن يزداد بسرعة هائلة، ففي شهره الخامس يزن المولود ضعف وزنه عند الولادة، وفي عامه الأول يكون وزنه ثلاثة أضعاف الوزن الأساسي، وفي العام الثاني يكون وزنه أربعة أضعاف الوزن الأساسي.

إنما هناك فروقات عديدة بين ولد وولد. فمثلاً، خلال الطفولة المبكرة تبدو الأنثى أقصر وأخف من الذكر، وهذا الفرق الجنسي سوف يستمر طوال فترات الطفولة، ويبلغ ذروته في مرحلة المراهقة. كذلك هناك فروقات تعود إلى العرق، كما أن هناك دوراً مهماً للعامل الوراثي الذي يؤثر بشكل أساسي على النمو الجسدي للولد.

أما بالنسبة للتغذية فنرى في مرحلة الطفولة الأولى خاصة، أن للتغذية إيقاعاً مهماً جداً على عملية النمو، وإذا كان نمط تغذية المولود غير سليم فهذا سوف يؤثر بشكل فادح على نموه. فالمولود الجديد لا يحتاج فقط إلى الطعام بل هو يحتاج إلى النوعية الصالحة من الطعام، وعند الولادة يأتي حليب الأم متلائماً كلياً مع حاجاته، فالإرضاع من الثدي، بعدما شهد تدهوراً منذ الأربعينيات حتى مطلع السبعينيات (حيث تشير الإحصاءات أن 75% من المواليد في الولايات المتحدة أَرْضَعُوا من الزجاجة) عاد ليصبح شائعاً خاصة في الأوساط الاجتماعية المثقفة، فنرى اليوم مثلاً أن 60% من المواليد في الولايات المتحدة يرضعون من الثدي.

هناك عوامل كثيرة تؤثر على قرار الأم بإرضاع مولودها، ونذكر فيما يلي أهمها: اقتناع الأم بأن الرضاعة من الثدي أفضل للنمو وصحة المولود من الحليب

المصنَّع، وسهولة عملية الإرضاع مقارنة بعملية تحضير الزجاجاة، والروابط العاطفية التي تنشأ بين الأم والمولود.

أخيراً فالحديث عن النمو الجسدي عند المولود لا يكتمل إذا لم نتحدث عن دور العاطفة والإثارة اللتين تعتبران، لدى جميع الاختصاصيين النفسيين، من الركائز الحيوية في تأمين تطور سليم عند المولود على جميع الأصعدة. وفي هذا الإطار نود التركيز على تأثير المحيط الذي ينشأ ويتعرع فيه المولود الجديد، وفي الوقت نفسه على التفاعل المستمر بين المحيط والعوامل الوراثية، إذ إن هناك العديد من خصائص شخصية الإنسان التي تأتي نتيجة هذا التفاعل، مثل الاستقرار العاطفي، والخلل، والشخصية الاجتماعية، وبعض الأمراض العقلية والنفسية. ومن الجدير ذكره هنا هو أن ضمن عملية النمو عند الإنسان، هناك نواح من التطور تبدو لنا وكأنها بيولوجية محضة، أي إنها تخضع لروزنامة بيولوجية منتظمة، ولتنظيم وراثي محدد (مثل البرنامج الجيني الذي نلد معه والذي يقرر جنسنا ولون بشرتنا ونوعية شعرنا ولون عيوننا). ويعتقد الباحثون أن هناك عملية نضوج أساسية تبرمج مراحل النمو والتغيرات عند الإنسان بغض النظر عن الظروف المحيطة الخارجية (مثلاً: نمو الجنين داخل الرحم الذي يخضع لبرنامج تطور ثابت ومنتظم). لكن يضيف الباحثون أن هذه العملية الأساسية قد تتزعزع إذا كان المحيط الخارجي غير سليم (مثلاً: إصابة الأم خلال الفصل الأول من حملها بالحصبة الألمانية قد يؤدي إلى إعاقات حسية وعقلية عند المولود).

وتأتي عملية التطور الحركي بعد الولادة كأفضل مثل عن هذا التفاعل بين البرنامج البيولوجي وتأثير المحيط الخارجي، فكل الأولاد، في كل أنحاء العالم، يخضعون لنفس التسلسل الزمني في اكتساب المهارات الحركية، كما هو ملاحظ في الرسم.

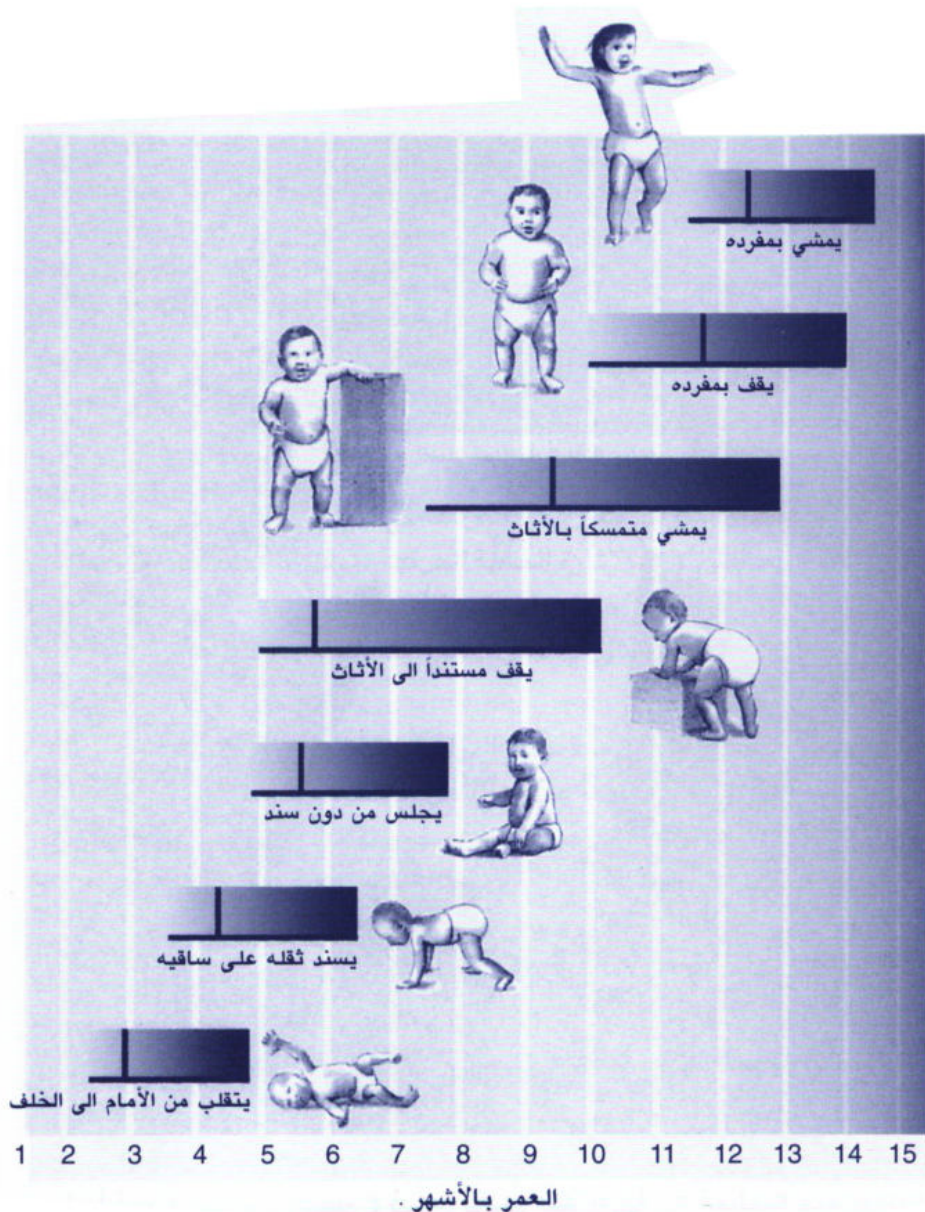
لكن يلاحظ الباحثون أنه حتى ضمن هذا النمط المنتظم من النمو الحركي، هناك الكثير من الفروقات بين الأولاد في اكتساب بعض المهارات، إذ إن النمط قد يختلف من ولد إلى آخر، وهنا يركز علماء التطور على أهمية التفاعل بين العامل البيولوجي وعامل الخبرة والتعلم.

لنأخذ مهارة الوقوف مستنداً إلى الأثاث مثلاً، نرى أن 25% من الأولاد ينجزونها في عمر الخمسة أشهر والنصف، و 90% من الأولاد يتقنونها في عمر العشرة أشهر.

ولتفسير مثل هذه الفروقات بين الأولاد، لا بد من الالتفات إلى بعض الدراسات التي أجريت في مجتمعات مختلفة تتميز بتقاليدها وطقوسها الخاصة وكذلك بنظرة معينة لتربية الأولاد، ومقارنة هذه المجتمعات بعضها ببعض الآخر

بالتركيز على مدى تأثير هذه البيئات المختلفة على نمط تطور الأولاد الذين ينشؤون ضمنها.

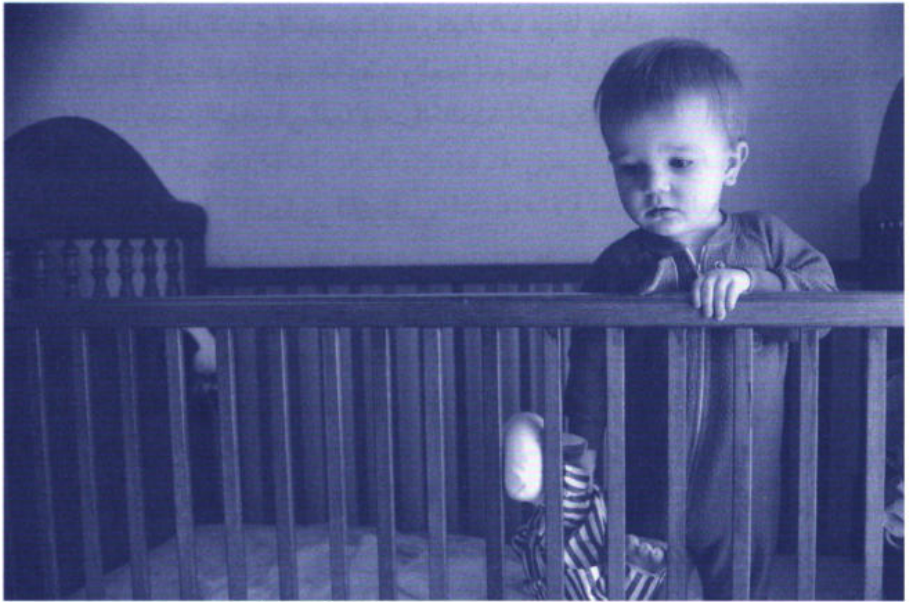
من أهم هذه الأبحاث دراسة العلاقة بين التقليد السائد في بعض المجتمعات بما



يخص لف المولود الجديد بالقمط لفترة قد تمتد من شهر إلى ستة أو سبعة أشهر بعد الولادة، ونمط تطور الولد من الناحية الحركية. فقد أشارت النتائج الأولية في مثل هذه الأبحاث التي أجريت منذ أكثر من خمسين عاماً أن النمو الحركي عند الإنسان لا يتأثر بمثل هذه العوامل (القمط)، فالولد الذي خضع لاستخدام القمط في الشهور الأولى من حياته يستطيع أن يمشي في نفس العمر مثل الأولاد الذين لم يخضعوا لمثل هذه الممارسة.



لحظات لا تنسى : خطوات الطفل الأولى ...



يجب توفير الاثارة الملائمة للطفل منذ الأشهر الأولى.

في دراسات أخرى تناولت تطور التوأم، وذلك في مطلع السبعينيات، تبين أنه في حال إشباع أحد التوأمين بالإثارة الحسية الحركية وتوفير التدريب الحركي المكثف له خلال الأشهر الأولى من حياته، لم يؤثر ذلك على عمر اكتساب بعض المهارات الحركية الأساسية (مثل المشي أو صعود الأدرج)، فالتوأمين اكتسبا هذه المهارات بالعمر نفسه.

إنما الصورة تختلف اليوم، فمعظم الدراسات حول هذا الموضوع تشير إلى أن، التدريب وتوفير الإثارة الملائمة على يد الأهل قد يسرعان اكتساب بعض المهارات الحركية: في إحدى هذه الدراسات، طلب من مجموعة من الأهل أن يدرّبوا مولودهم على انعكاس الخطو إلى الأمام (مراجعة الجزء السابق) وذلك لمدة شهرين بعد الولادة لعدة مرات خلال النهار، وقد تبين أن هؤلاء الأولاد استطاعوا أن يمشوا من خمسة إلى سبعة أسابيع قبل الأولاد الذين لم يخضعوا لمثل هذا التدريب.

بالعودة للدراسات التي قارنت المجتمعات المختلفة، فأحدثها يشير إلى أهمية توفير التدريب الحركي في الأشهر الأولى من الحياة. إحدى هذه الأبحاث تابعت نمو مجموعة من المواليد الجدد في قبيلة «الكيسيجي» في كينيا، حيث يقوم الأهل بتدريب المولود على الجلوس والوقوف والمشي خلال فترة وجيزة بعد الولادة. وقد أشارت هذه المتابعة إلى أن هؤلاء الأولاد يجلسون ويمشون بمعدل أربعة أسابيع

قبل الأولاد في الولايات المتحدة الأمريكية. أما فيما يتعلق بمهارات حركية أخرى حيث لم يتم تدريبهم (مثل الزحف والحبو) فيبدو أن أولاد «الكيبسجي» أبطأ من زملائهم من نفس العمر في الولايات المتحدة الأمريكية.

### ثالثاً - تسلسل التطور الحركي

إن للإنجازات الحركية لدى المولود الجديد خلال السنتين الأوليين من حياته أهمية كبرى في تطوير قدرات أخرى، مثل المهارات الاجتماعية والكفاءات الفكرية والنطق، فكل هذه القدرات مربوطة ببعضها البعض في عملية تطويرية شاملة.

عندما نتكلم عن التطور الحركي، نقسمه إلى قسمين: التطور الحركي الرئيسي، والتطور الحركي الدقيق.

نلاحظ من خلال نمط التطور الحركي، أن هناك تنظيماً معيناً وتوجهاً محدداً للتطور الحركي عند الولد، فالتحكم بحركات الرأس يأتي قبل التحكم بحركات الذراعين والساقين، والتحكم بالأعضاء العليا يحصل قبل التحكم بالأعضاء السفلى، مما يعني أن هناك توجهاً من الأعلى إلى الأسفل في عملية التطور هذه. كذلك، نلاحظ أن التطور الحركي يحصل دائماً من الداخل إلى الخارج، بمعنى أن الولد يستطيع التحكم بالحركات الرئيسية التي تتطلب تحريك الجسد ككل (مثل الجلوس أو الحبو) قبل التحكم بالحركات الدقيقة لدى الأطراف (مثل التصفيق أو تركيب المكعبات). إنما الذي يجب أن نتذكره في هذا الإطار هو أن جميع هذه القدرات (الرئيسية والدقيقة) متعلقة ببعضها البعض. ولحصول أي إنجاز حركي مهم (مثل المشي) نرى أن هناك تنسيقاً بين قدرات مسبقة مثل الزحف والوقوف والخطو إلى الأمام. كذلك فلكي يستطيع الولد أن يطعم نفسه مستخدماً الملعقة، يتطلب ذلك تطوير القدرة على التقاط الأشياء، والتنسيق البصري الحركي، وتحريك الساعدين بطريقة غير عشوائية للحصول على شيء معين.

### رابعاً - دور النضوج البيولوجي ودور الخبرة في المحيط

هناك علاقة معقدة بين تأثير العوامل الوراثية والبيولوجية والعوامل البيئية التي يتعرض لها الإنسان، فالخلاصة التي توصلت إليها معظم الأبحاث اليوم هي أن التسلسل الزمني للتطور الحركي يخضع لتأثير مزدوج: نعرف مثلاً اليوم أن الجنين داخل رحم أمه ينمو حسب روتنامة ثابتة، وإن التصرفات الجنينية (مثل الرفض) تتبع أيضاً تسلسلاً زمنياً واضحاً وثابتاً. لكن هذا النمو البيولوجي قد يتأثر بالجو



المحيط به، فإذا كان هناك خللٌ ما داخل الرحم، تزعزع هذا التسلسل الزمني البيولوجي مما يؤثر سلباً على عملية النمو عند الجنين (مثلاً، إذا أصيبت الأم الحامل بالحصبة الألمانية خلال الفصل الأول من حملها وهي الفترة التي تتكوّن فيها الأجهزة الأساسية لدى الجنين، قد يؤدي ذلك إلى إعاقة بصرية أو سمعية، عند المولود، أو حتى عطب بالدماغ فتخلف عقلي شديد).

من العوامل الأخرى التي قد تؤثر سلباً على نمو الجنين نذكر سوء التغذية عند الأم الحامل، والتدخين واستهلاك الكحول والمخدرات أو أي نوع من الأدوية من دون استشارة طبية.

إن التطور الحركي بعد الولادة يؤكد هذا التأثير المزدوج: فمع أن كل أولاد العالم يخضعون لنفس التسلسل الزمني في اكتساب المهارات الحركية، وكان هناك رزمات داخلية للنضوج البيولوجي، نرى أن الأولاد يختلفون عن بعضهم البعض في نمط اكتساب هذه المهارات، وهذا يعود إلى كمية ونوعية التدريب الذي يتلقاه الولد خلال الأشهر الأولى من حياته. لذلك فإننا نحث الأهل على توفير الوقت المميّز للمولود الجديد يتم خلاله تدليك جسده بشكل ملطّف وبرقّة، وحتى القيام ببعض التمارين الرياضية الخفيفة لساقيه وذراعيه، مما يعزّز التواصل والرابط العاطفي بين المولود ووالديه من ناحية، وينمّي، من ناحية أخرى، الاستعداد الحركي عنده لاكتساب المهارات الحركية الرئيسية الضرورية في هذه المرحلة من عمره بغية الوصول إلى مهارة المشي ابتداءً من الشهر الثاني عشر.

### خامساً - التدريب على النظافة

يتحدّث الجميع عن جهوزية الطفل للتدرّب على النظافة، لكن الذي يجب أن نتحدّث عنه هو جهوزية الأهل لذلك! هناك قلق كبير حيال موضوع التدريب على النظافة، خاصة عند الأم، بسبب ضغط داخلي يدفعها لتنظيف ابنها بالطريقة الملائمة في الوقت المناسب، وإذا كانت الأم تعمل خارج البيت، فهناك ضغط خارجي لتنظيف الأطفال في أقرب وقت ممكن لتسهيل عملية إدخالهم في دور الحضانة.

تختلف طرق التدريب على النظافة اليوم عما كانت عليه في الماضي: أمهاتنا وجداتنا اعتمدن بمعظمهنّ على القسوة والتأنيب وحتى الضرب لكي ينظف الطفل بأسرع وقت ممكن. أما اليوم فنرى أن نظريات علم النفس والطرق الحديثة في علم التربية ساهمت في تبديل هذا الأسلوب خاصة بين الأهالي من الجيل الجديد والأمهات الشابات اللواتي يقرأن الكثير حول أساليب التربية الحديثة، ويتأثرن

بمطالعاتهن في هذا المجال. وفيما يلي الخطوات التي نطرحها على الأهل لمساعدة ولدهم على اكتساب النظافة، وطرحنا هذا مبني على نظرية «الدكتور سيوك»، طبيب الأطفال الشهير الذي أصبح من أبرز المرجعيات في علم تربية الأطفال.

### البعد النفسي للتدرب على النظافة

إن التدرب على النظافة يشكّل أول نوع من التأديب الذي يتعرّض له الطفل الصغير، أول ضغط خارجي يفرض عليه الاستجابة من خلال تحكّمه بوظائفه الجسدية الطبيعية. لكن هناك بُعداً نفسياً مهماً لعملية التدرب على النظافة إضافة إلى كونها عملية فيزيولوجية، وهو أن هذا التدرب هو القاعدة الأساسية في حياة الإنسان التي يتركز عليها تفضيله للنظافة عامة (من تفضيل الأيدي النظيفة على الأيدي الدبقة اللزجة، إلى الميل لاقتناء ملابس جديدة ونظيفة، والميل إلى المحافظة على بيت نظيف ومرتب، وصولاً إلى الميل لحياة مهنية منتظمة...).

من عملية التدرب على النظافة، ينبثق الشعور عند الطفل أن هناك طريقة صحيحة للقيام بالأشياء وطريقة أخرى غير صحيحة ... هذا ما يساعده على تطوير الشعور بالمسؤولية وعلى أن يصبح إنساناً منتظماً.

### ضبط التبرّز

إننا لا ننصح بالقيام بأي خطوات لتدريب الطفل على التحكم ببرازه خلال السنة الأولى من حياته، فهو غير جاهز بيولوجياً لمثل هذا التحكم. بعد الشهر الثاني عشر وحتى الشهر الثامن عشر، يبدأ الطفل بإدراك حركة الصمامات العضلية الخاصة بعملية التبرّز، ويشعر بهذه الحركة فيتوقف عن النشاط الذي يقوم به وتتغير تعابير وجهه مؤقتاً، ولكنه لا يشير لأحد بأنه يتبرّز، وغالباً ما نلمس عند الطفل في هذا العمر، عندما يرى برازه على الأرض أو في الحفاض، شعوراً بالاعتزاز بهذا الإنتاج الشخصي، حتى إن بعض الأطفال يستمتعون باللعب ببرازهم! إن هذا التصرف الشائع جداً في هذا العمر قد يتحول خلال بضعة أشهر، أي عند اقتراب الطفل من عامه الثاني، إلى العكس تماماً، أي إن الطفل يفضّل أن يكون نظيفاً... عندما يحصل ذلك، يشعر الأهل بأن طفلهم أصبح الآن جاهزاً لعملية التدريب. وفي هذا العمر أيضاً، تزداد عند الطفل رغبته بتقليد تصرفات الآخرين، وهذا التقليد قد يلعب دوراً كبيراً في تدريبه على النظافة خاصة عندما يشاهد إخوته الأكبر سناً منه يرتادون المراض بالشكل الصحيح.

## نصائح عامة للتدريب على النظافة

- عدم ممارسة القسوة أو الضغط أو الانتقاد خلال عملية التدريب على النظافة.
- يجب الاعتماد على الحفز والمديح عند المحاولة والنجاح، بدلاً من إبداء خيبة الأمل عند الفشل.
- عدم إرغام الطفل على الجلوس على مقعد المرحاض إذا كان لا يرغب بذلك، وعدم إرغامه على البقاء عليه، حتى ولو لثانية واحدة، إذا أراد النهوض.
- من الأفضل وضع مسند صغير للقدمين لكي يشعر الطفل بأمان وارتياح خلال عملية الجلوس على المقعد.
- إن مراقبة الإخوة الكبار في الحمام قد تحثُ الطفل الصغير على تقليدهم.
- عدم اليأس من المحاولات الفاشلة الأولى وعدم الضغط على الطفل، بل المثابرة بالأسلوب اللطيف الذي يركز على المديح والتشجيع.
- عندما يبدي الطفل شيئاً من التجاوب مع أمه في هذا الاتجاه، باستطاعتها أن تضعه على مقعد المرحاض مرتين أو ثلاث مرات يومياً، خاصة إذا أشار لها أنه بحاجة لارتياح المرحاض، أو اعتماد روتين معين (مثلاً، بعد كل وجبة طعام).
- إذا كان التدريب خلال فصل الصيف، باستطاعة الأم أن تدع الطفل عارياً من الخصر إلى الأسفل وتركه يلعب على راحته، وعليها تذكيره من وقت إلى آخر أن يذهب إلى الحمام.
- إن هذه الأساليب المقترحة تضمن نجاح عملية التدريب على النظافة من ناحية التبرز والتبول في نفس الوقت.

إضافة إلى ذلك، لا ننسى أن هذا العمر هو عمر اكتساب الاستقلالية عند الأولاد، وهم يبتهجون بكل نشاط يستطيعون القيام به بمفردهم، وفي هذا الإطار يتخذ سلوك ارتياح المرحاض عند الطفل معنى مهماً على طريق الاستقلالية.

لكن يجب أن نعلم أيضاً أن الطفل في هذه المرحلة من نموه، وبالرغم من كل ما ورد أعلاه، قد يبدي شيئاً من المقاومة خلال عملية التدريب على النظافة، فيجلس لبعض الوقت على مقعد المرحاض ثم ينهض دون أن يتبرز، ثم يعود وينثر برازه في المكان غير المناسب! عندما يحدث ذلك باستمرار، على الأهل أن يدركوا إذن أن هذا التصرف هو إشارة لهم أن طفلهم غير جاهز للتدريب على التحكم ببرازهم بعد!

إن جهوزية الولد لهذا التحكم تظهر فعلياً وبشكل واضح في الشهر الثامن عشر

وعمر السنتين: ففي هذا العمر، يكتمل إدراك الطفل لاستقلاليتته عن أهله معتبراً نفسه كياناً منفصلاً عن والدته. ويشكل هذا الإدراك عنده حافزاً لكي يكتسب مهارات جديدة يقوم بها بمفرده، ويحب كثيراً أن يمدحه والداه على هذه الإنجازات. في هذا العمر، يلاحظ الأهل أن الطفل يبدأ بإرسال إشارات معينة لهم (مثلاً يعبر عن انزعاجه من الحفاض المتسخ) وهكذا يكون هذا الإدراك الجسدي الخطوة الأولى والأساسية للتدريب على النظافة.

نضيف إلى ذلك أن الطفل في هذا العمر أصبح يستطيع التنقل بمهارة من مكان إلى مكان، وهذا التطور الحركي يساعده على الوصول إلى مقعد المراض والجلوس عليه بارتياح.

وأخيراً، يجب أن نتذكر أن التطور الفكري في هذه المرحلة يسمح للولد أن يفهم

### نصائح عامة خلال مرحلة التدريب

- من الأفضل اختيار سراويل سهلة الارتداء حيث يسهل على الطفل إنزالها أو رفعها للقيام بعملية التبول.
- من الأفضل تدريب الطفل على التبول في أماكن مختلفة وليس فقط في مكان واحد (بعض الأطفال يرتعبون من فكرة التبول في مكان غير مألوف، خارج المنزل، إلخ... مما يسبب مشكلة عندما تكون العائلة مثلاً في نزهة أو زيارة خارج البيت، وينزعج الطفل ويحتفظ ببوله لمدة طويلة رافضاً استخدام مراض غريب).
- ليس من الضروري الإصرار على تدريب الطفل الذكر على التبول واقفاً، إذ إنه سوف يقوم بذلك تلقائياً من جراء تقليد والده أو أخيه الكبير.
- معظم الأطفال يبقون جافين خلال الليل خلال العام الثالث (مع تأخير عند الذكور عن الإناث)، وإن التبول اللاإرادي ليلاً هو في معظم الأحيان حالة عائلية وراثية.
- هناك عوامل كثيرة تؤثر على عملية التحكم بالتبول، فمثلاً ولادة أخ جديد، انتقال العائلة إلى منزل جديد، حالة مرضية معينة، أزمة عاطفية حادة، كل هذه الأمور قد تسبب للطفل فقدان السيطرة على ضبط التبول. في هذه الظروف، لا يجب أبداً تأنيب الطفل أو معاقبته، بل العكس، يجب طمأننته أن كل شيء سوف يكون على ما يرام حتى يعود ويكتسب هذه السيطرة مجدداً.

ما يتوقع والداه منه، وأن يرغب بالتعاون مع هذه التوقعات لكي يصبح «كبيراً» مثل إخوته!

### ضبط التبول

إن التدريب على ضبط التبول يأتي إجمالاً بعد التدريب على ضبط التبرز، وهذا ربما يعود إلى أن نظرة الطفل نفسه حيال التبول تختلف عن نظره حيال البراز.

هذا وإن وظيفة المثانة تنضج تلقائياً من دون أي مجهود تدريبي من قبل الطفل. إذ نلاحظ مثلاً أنه ابتداءً من العام الثاني أو قبله ببضعة أشهر، تصبح المثانة قادرة على حفظ البول لبضع ساعات حتى من دون المباشرة بأي تدريب. وبالفعل نرى أن الطفل قد يبقى جافاً طوال الليل ابتداءً من عامه الأول (فالمثانة تحفظ البول لفترة أطول خلال الليل مقارنة بالنهار). كما يجب أن نذكر أنه حتى بعد ما يكون التدريب على التحكم بالتبول قد تم بشكل كامل، قد يتبول الطفل في ملابسه لبضع مرّات، وذلك خلال أشهر بعد التدريب. إن ذلك يحدث في معظم الأحيان عندما يكون الطفل منهمكاً في لعبه ولا يريد أن يقطعه من أجل ارتياد المراض.

### تذكري ...

لا تتوقعي أن تكوني الأم المثالية ولا تياسي من نفسك إذا أخطأت في أمور عديدة، فالأخطاء جزء مهم جداً من النمو الشخصي خلال خبرة الأمومة! تذكري أن الولد لن يكون قوياً إذا كان كل شيء مسهلاً أمامه وموئناً له... تذكري أن نمو الشخصية بشكل سليم يتطلب أن يتقبل الولد نقاط ضعفه لكي يتعلم التكيف معها ويتم ذلك عندما تتقبلين أنت نقاط ضعفك وتسامحين نفسك على الأخطاء التي قمت بها...

إن العدو الأساسي للثقة بالنفس هو عقدة النقص، وتكون هذه العقدة عند الولد عندما يشعر بأننا نقارنه دوماً بالآخرين بشكل مباشر أو غير مباشر. إن مقارنة الاخوة ببعض البعض ضمن العائلة الواحدة هي السبب الرئيسي لخلق جو منافسة سلبية داخل البيت، منافسة قد تتطور لاحقاً لتصبح عدوانية تجاه النفس وتجاه الغير.

## التطوّر الحسي



يتناول هذا الفصل موضوع القدرات الحسية عند المولود، والسؤال هو التالي: ماذا يستطيع المولود الجديد أن يدرك من خلال حواسه عند الولادة؟ في الصفحات التالية سوف نستكشف قدراته المميزة في هذا المجال .

## أولاً - حاسة اللمس

إن حاسة اللمس مهمة جداً في تأثيرها على النمو الجسدي، إذ إن الدراسات التي أجريت على الأطفال الخدج (الذين يلدون قبل الأوان) تشير إلى أن التدليك اللطيف لمرات عديدة يومياً يؤدي إلى تزايد أسرع في الوزن عند هؤلاء الأطفال مقارنة مع أطفال لم يخضعوا إلى مثل هذه التدابير. وبالفعل فإن تعريض هؤلاء الأطفال للإثارات الحسية المتنوعة (سماع الموسيقى الناعمة أو تسجيل لدقات القلب أو لصوت الأم وحتى الاستلقاء على فراش مائي) له تأثير إيجابي على نمو الأطفال الخدج، بمعنى أن مثل هذه الخبرات أدت حسب الدراسات إلى

زيادة في الوزن، وتنظيم في نمط النوم، ومستوى أعلى من الإدراك، خلال الأسابيع الأولى بعد الولادة. هذا وإن حاسة اللمس متطورة جداً عند الولادة. ولقد رأينا في حديثنا حول الانعكاسات كيف يستجيب المولود الجديد للمس، خاصة في المنطقة القريبة من الفم، وفي الكف وأسفل القدم. كذلك فإن استجابة المولود الجديد للحرارة المحيطة قوية عند الولادة، ويبدو أنه حساس للمثيرات التي تكون أبرد من حرارة جسمه، كما أن استجاباته واضحة جداً لأي تغير في الحرارة. أما بالنسبة للشعور بالألم، فالدراسات تشير إلى أن المولود الجديد يشعر بالألم بشكل حاد، فنرى مثلاً أن عملية التطهير (الختان) عند المولود الذكر، التي تجري حتى دون تخدير نظراً لخطورة إعطاء مواد مخدرة في هذا العمر المبكر جداً، تؤدي إلى ارتفاع في دقات القلب وضغط الدم وهيجان في حالة المولود وخلل في نمط نومه لساعات بعد العملية، إضافة إلى الصراخ خلال العملية.

### ثانياً - حاسة التذوق

يأتي المولود إلى العالم مع قدرة للتعبير عن «ذوقه»، فإذا أعطيناه ماءً محلي نرى أن نمط رضاعته يبطؤ مع توقعات قليلة، مما يشير إلى أنه يفضل الماء المحلى، وكأنه يحاول التمتع بطعم الماء. أما إذا وضعنا ملحاً في الماء فسنلاحظ أن نمط الرضاعة يصبح متقطعاً، وكأنه يحاول تجنب هذا الطعم. كذلك فإن أسارير الوجه تتخذ تعابير معينة مما يدل على أن الرضيع يميز بين المذاقات المختلفة، فنرى ارتياحاً على وجه المولود استجابة للطعم الحلو، وتجعداً في الشفتين فوراً من الطعم الحامض، وتقوساً في الفم نحو الأسفل استمزازاً من الطعم المر.

### ثالثاً - حاسة الشم

كما عند الحيوان، فإن حاسة الشم تلعب دوراً مهماً عند الإنسان، وعند المولود الجديد، في

يستطيع الرضيع التمييز بين الأطعمة المختلفة.



يأتي الرضيع الى العالم مع العديد من الانعكاسات أهمها الرضاعة.



عملية تناول الطعام بالرغم من أن هذه الحاسة تكون أقل تطوراً إجمالاً عند الإنسان مما عند الحيوان.

تشير الدراسات إلى أن الرضيع الذي يبلغ ستة أيام من العمر مثلاً يدير رأسه نحو قطعة قطنية مبللة بحليب أمه، ولا يقوم بهذا التصرف تجاه قطعة قطنية مبللة بحليب أم غريبة عنه. إن هذه القدرة على تمييز رائحة الأم تحصل فقط عند الأولاد الذين يرضعون من ثدي أمهم. هذا وإن الأولاد الذين يرضعون من الرضاعة لديهم القدرة على التمييز بين رائحة امرأة ترضع ورائحة امرأة لا ترضع ويفضلون رائحة الأولى على الثانية. إن استجابة المولود لرائحة بعض الأطعمة تشبه بشكل مدهش استجابة الإنسان الراشد، مما يشير إلى أن هناك تفضيلاً غريزياً لبعض الروائح، فنرى مثلاً أن رائحة الموز والشوكولا تولد ارتياحاً على وجه الرضيع، بينما رائحة البيض المعفن تجعله يعبس، كذلك إذا قربنا رائحة «الأمونياك» من أنف مولود يبلغ من العمر ستة أيام نرى أنه يدير رأسه بعيداً عن مصدر الرائحة.



خلال سنته الأولى، يضع الرضيع كل شيء في فمه.

## رابعاً - حاسة البصر

مقارنة بالحواس التي ورد عرضها سابقاً فإن حاسة البصر تعتبر أقل الحواس نضوجاً عند الولادة، لأن المراكز البصرية في الدماغ، وكذلك العين نفسها تتابع تطورها بعد الولادة. لذلك فإن المولود الجديد لا يستطيع التركيز بواسطة عينيه كالإنسان الراشد، وتكون الدقة البصرية محدودة جداً عند الولادة، والأشياء تبدو مغبشة له، وكلما كان الشيء قريباً منه استطاع رؤيته بشكل أفضل.

نورد فيما يلي عرضاً لأهم القدرات البصرية عند الولادة، وذلك تبعاً لدراسات عديدة أجريت على عدد من المواليد الجدد باستخدام مؤشر الفترة الزمنية التي يمضيها المولود في التحديق بمثير معين، كدليل على أنه يعير انتباهه إلى شيء محدد ويميزه عن غيره:

نعرف مثلاً أن المولود الجديد يفضل المثيرات ذات الفروقات الحادة الواضحة مثل زوايا الشيء بدلاً من الشيء نفسه، ولهذا السبب نرى أن مفروشات وبياضات الأطفال وألعابهم، اليوم، تركز على استخدام ألوان حادة وأساسية والأبيض والأسود بدلاً من الألوان الباهتة التقليدية التي كانت تستخدم في الأجيال السابقة. فبالرغم من أن للمولود الجديد قدرة بصرية محدودة عند الولادة، فهذا لا يمنعه من استكشاف محيطه، فتراه يحاول التقاط المثيرات الجذابة بعينه أو متابعة الأشياء المتحركة مع أن حركة العيون بطيئة وغير دقيقة.

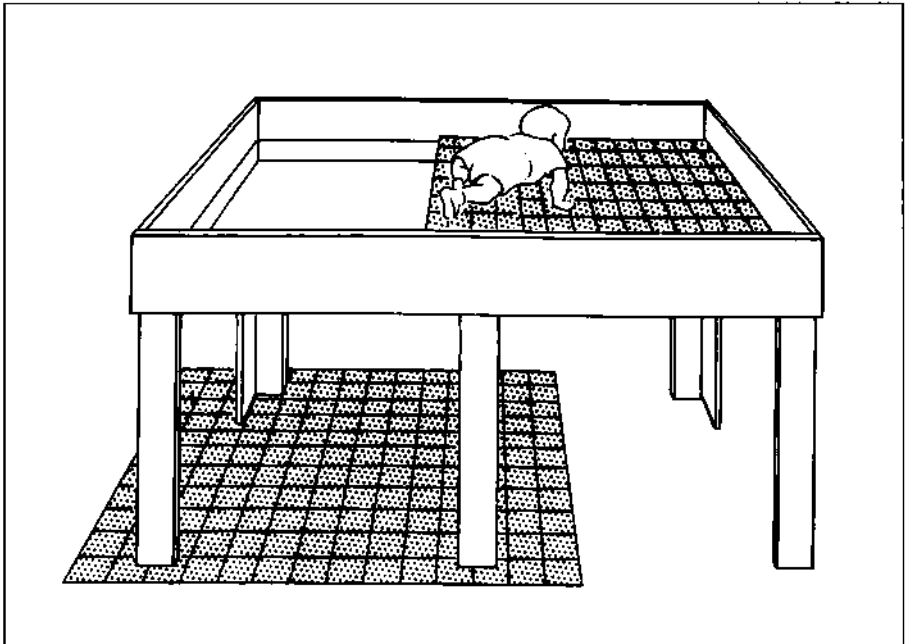
هذا وقد تبين من خلال الدراسات أن المولود الجديد يفضل الرسومات المعقدة على الرسومات البسيطة، ويفضل الخطوط الملتوية على الخطوط المستقيمة، ويهتم كثيراً بوجه الإنسان، إنما يجب أن نذكر أن هذا الاهتمام بوجه الإنسان ما هو إلا اهتمام بتكاوين الوجه التي تحتوي على الالتواءات والفروقات والحركة، وكلها خصائص بصرية تثير انتباه المولود الجديد كما أشرنا إليه سابقاً، فمثلاً ترى المولود يحدق بالأنف أو بحركة الشفاه وليس بالوجه ككل، إذ إنه لا يكتشف أمه بصرياً ويحدق بعينها مباشرة إلا عند بلوغه الشهرين من العمر.

إن تطور البصر عند المولود يخضع لعملية نضوج سريعة، إذ في الشهر السابع أو الثامن تكتمل القدرة البصرية عنده، لتصبح كاملة النضوج في الشهر الحادي عشر من الحياة. وكلما تطورت قدرته البصرية كلما ازداد عنده حب الاستكشاف لمحيطه، وأصبح خبيراً في اختبار خصائص الأشياء من حوله وتحديد أماكنها.

ومن المفاهيم التي أثارت اهتمام الاختصاصيين مفهوم إدراك العمق والبعد

عند الولد، أي القدرة على إدراك المسافة بينه وبين الأشياء، وبين بعض الأشياء وبعضها الآخر. إن مثل هذه القدرة مهمة لتفهم الترتيب المكاني للمحيط ولإرشاد النشاط الحركي عند الولد، ف للوصول إلى شيء معين يجب على الولد أن يكون لديه قدرة على تقدير بعده من هذا الشيء. ولاحقاً سنرى أن مثل هذه القدرة تسمح للولد أن يزحف ويتنقل في محيطه دون أن يؤدي نفسه بالأشياء المحيطة به أو الوقوع على الدرج.

ولدراسة هذه القدرة عند المولود الجديد صمم الاختصاصيون اختبار «الجرف البصري» (visual cliff)، وتعطينا الصورة الواردة أدناه فكرة واضحة حول هذا الاختبار، حيث يضع الباحث الولد بعمر الستة أشهر على الجانب المسطح من الطاولة ويطلب من الوالدة أن تقف عند الطرف الآخر من القطعة الزجاجية التي تغطي الطاولة حيث تبدو القماشة من خلال الزجاج، مما يعطي بعد العمق كما هو مبين في الرسم، هذا وقد بينت هذه الاختبارات التي أجريت على عدد كبير من الأولاد في عمر الستة أو السبعة أشهر، أي العمر الذي يبدأ الولد فيه بالزحف والحبو أن للأولاد قدرة على إدراك العمق، إذ إنهم عندما وصلوا إلى طرف الطاولة المسطح توقفوا ولم ينتقلوا إلى الناحية الزجاجية.



بالرغم من أهمية هذه الدراسات، لا تزال بعض الأسئلة غامضة بالنسبة لتطور الولد البصري في هذا الإطار، فمثلاً نلاحظ أن اختبار الجرف البصري استخدم أولاداً في عمر معين وليس قبل، وبالتالي لا ندري إذا ما كانت هذه القدرة على إدراك العمق والبعد موجودة عند الإنسان قبل الستة أشهر. وهناك دراسات أخرى أخذت بعين الاعتبار عامل العمر وركزت على أولاد تتراوح أعمارهم ما بين الثلاثة أسابيع والثلاثة أشهر. وبصورة موجزة نسرده فيما يلي أهم الملاحظات التي نتجت عن هذه الدراسات:

- إن المولود الجديد في أسابيعه الأولى يستجيب لعنصر الحركة، فإذا قربنا شيئاً من عينيه أغلقهما بطريقة دفاعية.

- إن المولود الجديد يتعلم كثيراً عن عمق وبعد الأشياء عندما نحمله وننتقل به في الغرفة، فهو يتبع الأشياء بعينه ويبتهج لكل ما يراه.

- يستطيع الولد في شهره السابع أن يميز بين الأشياء القريبة والأشياء البعيدة على الصور، فتراه يحاول التقاط شيء يبدو قريباً على الصورة ويتجاهل الشيء الذي يبدو بعيداً. إن هذا النوع من الإدراك يكتسبه في الشهر السابع.

- إن القدرة على إدراك العمق والبعد تتطور مع تطور قدرة الولد على التنقل المستقل، فهناك علاقة قوية جداً بين هاتين القدرتين، إذ إنه في بدء مرحلة الزحف والحبو عند الولد، أي في حوالي الستة أشهر الأولى، نرى أن الولد يقع ضحية الكثير من الحوادث وهو ينتقل من مكان إلى آخر، ولكن هذه الحوادث ما تلبث أن تزول تدريجياً مع ازدياد الكفاءة عند الولد، وكلما أصبح خبيراً في الزحف والحبو تجنب الزوايا والأطراف والمواقع الخطرة. إن أهمية التنقل المستقل لا تقتصر على القدرة على إدراك العمق والبعد عند الولد، بل نلمسها في مجالات أخرى مثل تطوير التحديد المكاني والذاكرة، فنرى مثلاً أن الأولاد الذين يزحفون ويحبون لديهم قدرة على تذكر مواقع الأشياء والعثور على الأشياء المفقودة بصورة متفوقة على زملائهم من نفس العمر الذين لا يزحفون ولا يحبون.

ومن الجدير ذكره في ختام هذا الموضوع أن الأولاد الذين يتنقلون بواسطة جهاز المساعدة على المشي (walker) يطورون نفس القدرات التي تحدثنا عنها آنفاً إنما هناك أخطار مقرونة باستعمال مثل هذا الجهاز، إذ إنه يمنح الولد شعوراً مغلوطاً بالأمان فتراه يهرول مبتهجاً من دون اعتبار للمواقع الخطرة، فالحوادث الناتجة عن استعمال هذا الجهاز تبلغ حوالي الـ 2300 حادثة سنوياً في الولايات المتحدة الأميركية.

## خامساً - حاسة السمع

يستطيع المولود الجديد أن يسمع العديد من الأصوات لكن هناك بعض الأصوات التي تثير اهتمامه أكثر من غيرها، فنراه مثلاً يفضل الأصوات المعقدة مثل صوت الإنسان على الأصوات البسيطة الفارغة. فصوت الإنسان مليء بالتغيرات والتموجات، خاصة عندما نتكلم مع المولود، إذ إن الأم تلاعب وتمازح وتداعب مولودها بصوتها مما يثير عنده ردة فعل مميزة.

تكون حاسة السمع متطورة جداً عند الولادة، وتشير الدراسات إلى أن المولود الجديد يدير رأسه نحو مصدر الصوت، والجدير ذكره هنا هو أن هذه الاستجابة تختفي عند الأسبوع السادس لتعود وتظهر في الشهر الثالث أو الرابع حيث يبدأ المولود بالبحث بعينه عن مصدر الصوت. هذا ويشكل اختفاء الاستجابة في الأسبوع السادس مرحلة انتقالية في عملية النضوج من العملية الانعكاسية للإلارادية إلى محاولة إرادية ناشطة من قبل المولود لتحديد مصادر الأصوات في محيطه. وهكذا نرى أن للمولود في شهره السادس مستوى عال من الإدراك والاستجابة للأصوات المقرونة بمثيرات بصرية جذابة.

بالعودة للحديث عن القدرات السمعية لدى المولود الجديد، تؤكد الدراسات أن المولود الجديد يستطيع التمييز بين صوتين متشابهين جداً، بين صوت الإنسان وأصوات أخرى، وإنه يستطيع التمييز بين عدة خصائص من كلام الإنسان، فمثلاً عند الشهر الأول تكون لديه القدرة على التفرقة بين لفظي الميم والنون والآ والإي حسبما تشير إليه إحدى الدراسات في هذا الإطار، وكأن المولود يلد مع قدرات إدراكية متعلقة بخصائص النطق التي تساعده على إتقان اللغة، بل بجهوية بيولوجية لاستقبال ألفاظ كل لغة من لغات الإنسان.

لقد قلنا سابقاً إن المولود يستطيع التمييز بين صوت الإنسان وأصوات أخرى كما أنه يفضل على غيره من الأصوات، وهذا ينطبق خاصة على صوت الأم. فالاختبارات التي أجريت على مواليد من بضعة أيام تشير إلى أن نمط رضاعتهم يبطؤ عند سماع تسجيل صوت إنسان أو أغنية، مما يعني أن التسجيل لفت انتباههم، بينما سماع أي صوت آخر لا يؤثر على نمط الرضاعة. كذلك فإن المولود يفضل صوت دقات القلب وأصوات الأنثى على أصوات الذكور، ويفضل صوت أمه على أصوات نساء أخريات، لكنه لا يفضل صوت أبيه على أصوات الرجال الآخرين. المهم ذكره هنا هو أنه يبدو أن هذه التفضيلات تنبع من خبرات الجنين مع

الأصوات في مرحلة ما قبل الولادة: هناك العديد من الدراسات التي أجريت في هذا الإطار لمعرفة نوعية الأصوات التي يتعرض لها الجنين في الرحم، وتبين من هذه الدراسات أن أبرز الأصوات التي يسمعها الجنين هو صوت دقات قلب أمه. وكان اهتمام الباحثين هو معرفة إذا ما كان لسماع مثل هذا الصوت تأثير إيجابي على المولود الجديد. للتأكد من هذا الطرح، أُجري اختبار على مجموعات من المواليد الجدد بتعريض كل مجموعة منها إلى تسجيل لدقات القلب بسرعات مختلفة، فالمجموعة الأولى سمعت لدقات القلب بسرعة 80 دقة بالدقيقة، وهو الإيقاع الطبيعي الذي يحتمل أن يكونوا قد تعرضوا له داخل الرحم، والمجموعة الثانية تعرضت لتسجيل لدقات القلب بسرعة 120 دقة بالدقيقة، أما المجموعة الثالثة فلم تخضع لأي نوع من الاختبار الصوتي. أشارت نتائج هذه الدراسة أنه بالنسبة للمواليد في المجموعة الأولى قد ازداد وزنهم خلال الأيام الأربعة، وهي مدة الاختبار، وكان بكائهم أقل من بكاء المواليد في المجموعة الثالثة. أما بالنسبة للمواليد في المجموعة الثانية فقد اضطر الباحث أن يوقف الاختبار بسبب مستوى الانزعاج الكبير الذي أبداه المواليد عند سماع التسجيل.

بالعودة للحديث عن أهمية صوت الأم في حياة المولود الجديد، نرى أن الدراسات تفسر هذه الأهمية نظراً لتعرض المولود لصوت أمه وهو جنين داخل الرحم، والمثير جداً في هذا التحليل هو أن الجنين يتعلم فعلياً التمييز بين الألفاظ المختلفة من الكلمات التي يتعرض لها قبل الولادة! في اختبار استثنائي، طلب من نساء حوامل أن يقرأن المقاطع الأولى من حكاية للأطفال كل يوم خلال الستة أسابيع الأخيرة من فترة حملهن، وطلب من نساء حوامل في مجموعة ثانية أن يقرأن لنفس الفترة الزمنية المقاطع الأخيرة من نفس الحكاية، ولكن مع تعديل للكلمتين الأساسيتين في الحكاية، وهما الكلمتان اللتان تردان باستمرار خلال سرد القصة. بعد ثلاثة أيام من الولادة تم تصميم وسيلة خاصة لمراقبة نمط رضاعة المواليد عند سماعهم المقاطع التي تم تسجيلها باستخدام أصوات الأمهات وأصوات نساء أخريات، فمثلاً كل مولود تعرض لسماع المقاطع مع الكلمات الأصلية بصوت الأم وبصوت امرأة غريبة، والمقاطع مع الكلمات المستبدلة بصوت الأم وبصوت امرأة أخرى. هذا وقد أشارت نتائج هذه الدراسة أن المولود يفضل سماع القصة المألوفة له (أي التي سمعها وهو جنين) على القصة غير المألوفة، حتى ولو كان التسجيل من قبل نساء غريبات وليس بصوت أمه.

في ختام حديثنا عن حاسة السمع، لا بد من الإشارة إلى أن لدى المولود جهازاً

سمعيّاً متطوّراً عند الولادة. وتتطور هذه القدرة الحسية عنده لتصبح قدرة إدراكية بالغة الأهمية في تطوير القدرات الأخرى عنده، مثل النطق والاستيعاب والتطور الذهني إجمالاً، فينتقل المولود تدريجياً من كائن يسمع ويستقبل الأصوات والمثيرات إلى كائن نشيط ينظم هذه الأصوات في أطر معقدة متطورة تؤكد لنا جهوزيته للنطق. ومع أننا ذكرنا آنفاً أن المولود الجديد يلد مع جهاز بيولوجي يؤهله لاكتساب أي لغة إنسانية، فهذه الجهوزية تضمحل مع الوقت ونرى أنه في عمر التسعة أشهر لا يعود يميز بين الألفاظ المختلفة، بل يتجاهل كلياً الألفاظ التي لا تستخدم في اللغة المحكية في بيئته الخاصة به والتي بالنسبة له، ليس لديها أي معنى في لغته الأم. وهكذا يصبح الولد منتبهاً فقط لتلك الألفاظ التي تؤدي لتغيرات معنوية في لغته وذلك لتأمين عملية الاتصال بينه وبين محيطه.

## تطور النطق



مع تطور الإدراك الحسي ومعه القدرات الذهنية الأساسية، هناك إنجاز مهم جداً يتحضر عند المولود، وهو النطق. ينطق المولود الجديد كلمته الأولى بين الشهر الثامن والشهر الثاني عشر، وفور ظهور الكلمات، يتطور النطق بسرعة حيث أنه في عمر الست سنوات يستطيع الولد أن يكون جُملاً معقدة ويصبح محاوراً ماهراً!

**أولاً - كيف تتم عملية اكتساب النطق خلال  
السننتين الأولتين من حياة الطفل.**

**1- من الشهر الثاني حتى الشهر الثامن**

قبل أن ينطق المولود كلمته الأولى يشعر الأهل بأنه يتجهز بشتى الطرق لهذا الإنجاز، فهو يتسمع بانتباه للغة المحكية حوله ويردد بعض الأصوات التي تشبه النطق، وبالطبع، عند صدور مثل هذه الأصوات، يهب الأهل للاستجابة بطرق عديدة ومتنوعة هدفها تشجيع الولد على تكرار هذه الأصوات. ففي شهره الثاني، يبدأ المولود



بإصدار أصوات ناعمة نسميها المناغاة، ويرى علماء النفس أن للمناغاة قيمة شبه اتصالية مع المحيط، إذ إن المولود يناغي عندما يكون مرتاحاً وكأنه يريد أن يعبر من خلال هذه الأصوات عن مدى ارتياحه وسعادته!

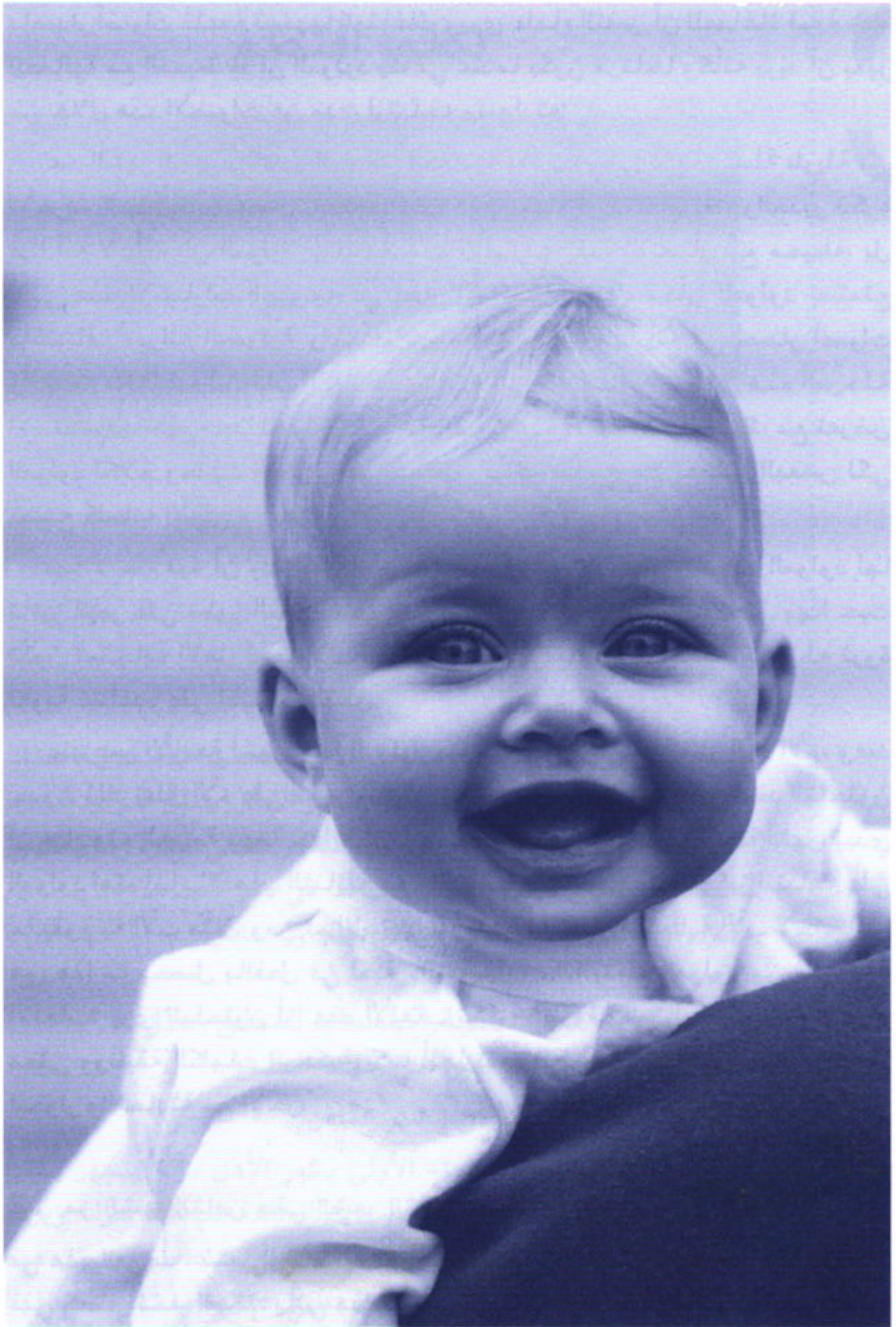
عند الشهر السادس تظهر المقاطع الكلامية الأولى، وهي تشبه سلسلة طويلة من الأحرف الملتصقة ببعضها البعض مثل «بابابابا» أو «تاتاتاتا»، والجدير ذكره هنا أنه لا يبدو أن المولود يستخدم هذه الأصوات بغية الاتصال مع محيطه، بل تأتي هذه الإنجازات الصوتية في إطار الاختبار الذاتي، وكأن المولود يستمتع باكتشاف قدراته الصوتية واختبار نبراته وإيقاعه ومهاراته في إصدار أصوات وألفاظ مختلفة تتطلب التلاعب بالشففتين واللسان. إن مثل هذه المرحلة الاستكشافية مهمة جداً للمولود، لأن العديد من هذه الأصوات والألفاظ، مع تعرض المولود لكلام وحديث الآخرين في محيطه، سوف تندمج مع بعضها البعض لكي تصبح كلماته الأولى.

مما لا شك فيه أن ردة فعل المحيط لهذه الإصدارات الصوتية عند المولود لها تأثير كبير على تطور النطق عنده، فالبيئة الاجتماعية الغنية، وتعني بهذا حيث تكون استجابة الأهل لمحاولات المولود النطقية متنوعة وواضحة، توفر له ثروة لغوية تساعده على اكتساب النطق.

عند عمر الأربعة أشهر، يبدأ المولود بتوجيه نظره إلى ما تنظر إليه الأم، وعند حدوث ذلك تعلق الأم على ما يراه، هكذا يتخذ محيط الولد أسماء. ويعتقد الباحثون أن مثل هذه العملية مهمة جداً لاكتساب النطق باكراً. عند بلوغه الستة أشهر، يبدي المولود اهتماماً بالألعاب الثنائية مع والديه حيث يتوجب عليه تركيز انتباهه على ما يقوم به الأب مثلاً، ومن ثم الاستجابة، وأخيراً انتظار استجابة الأب لاستجابته هو. هذا ما يحصل بالفعل في لعبة «البقوسة»! ماذا يتعلم المولود من مثل هذه الألعاب؟ يرى الباحثون أن هذه الألعاب تشكل الظروف المثالية لكي يتعلم الولد معنى ووظيفة الكلمات المحكية، كما أنها تمهد الطريق لاكتساب النمط الطبيعي للحوار والمحادثة مع الآخر.

## 2 - من الشهر الثامن حتى الشهر الثاني عشر

في هذه المرحلة، نشير إلى أهمية نوعية الكلام الذي يستعمله الكبار مع المولود، ففي معظم أنحاء العالم، يأتي هذا الكلام على شكل جمل قصيرة مكونة من كلمات بسيطة مع لفظ واضح وتعابير بالوجه.



يستمتع المولود باختبار مهاراته في إصدار أصوات مختلفة.

كذلك فإن الأمهات إجمالاً عندما يتكلمن مع أولادهن الصغار يرددن الجمل، ويسألن الأسئلة، ويعطين تأشيرات سهلة، وكأنهن يختبرن ما إذا وصل المعنى بالشكل المناسب إلى الولد. ولا يبدو من خلال هذا النوع من الكلام وكأن الأم تحاول تعليم الولد النطق، إذ إن نوع الكلام نفسه نستعمله عندما نحاول التواصل مع أشخاص غرباء لا يفهمون لغتنا ولا نتقن لغتهم.

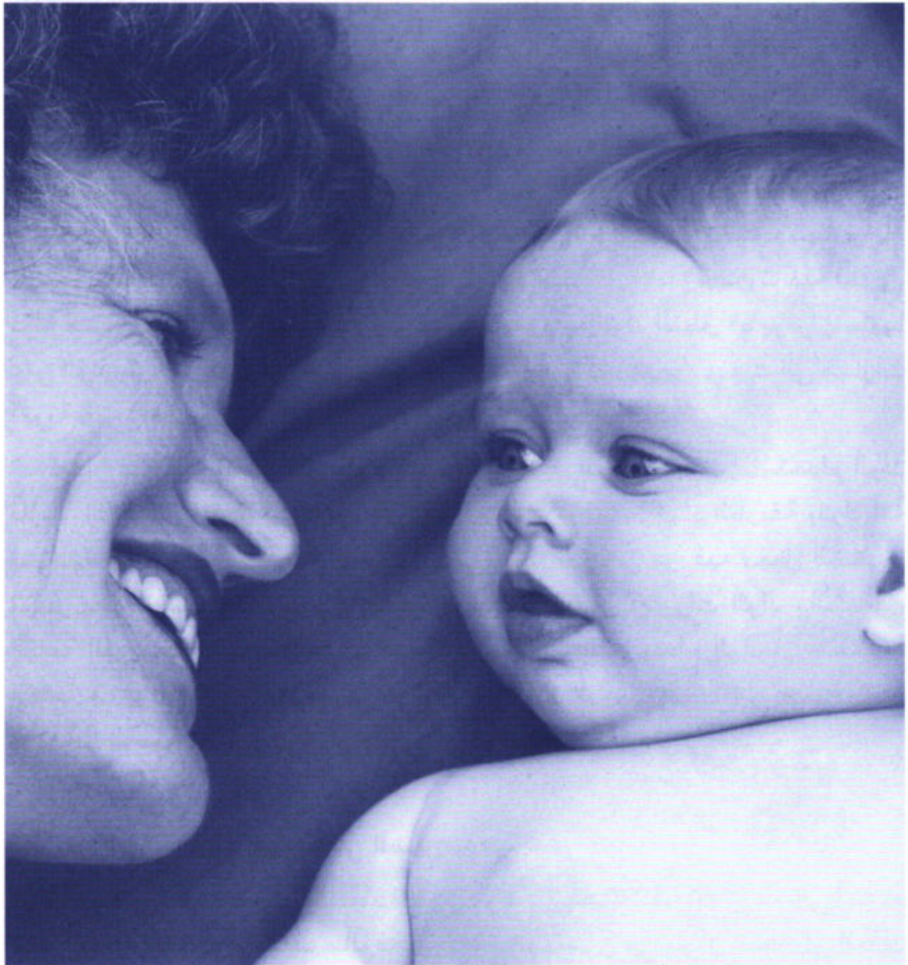
وتشير دراسات عديدة في هذا الإطار إلى أن الأولاد يفضلون هذا النوع من الكلام على الأنواع الأخرى من حديث الكبار، إذ إنه يتلاءم مع احتياجاتهم وقدراتهم الاتصالية، كما أن هناك بعض الأبحاث الحديثة التي أكدت أن استخدام مثل هذا النوع من الكلام مع الأولاد الصغار (أي قبل السنتين) يؤدي إلى تطور سريع في النطق. ومن الجدير ذكره أن كمية المحادثة التي تجري بين الأهلين والولد تعتبر مؤشراً ممتازاً للتطور المبكر للنطق، لأن هذا النوع من الكلام بالذات يوفر للولد نماذج نطق تتلائم مع مستواه، إضافة إلى جو مريح حيث يختبر ويستكشف مهارات جديدة. وبالفعل نرى أن السبب الرئيسي لبطء اكتساب النطق عند التوائم هو أنهما غير معرضين لظروف المحادثة مع الأم التي تكلمنا عنها، وذلك لاضطرابها إلى تقسيم وقتها بين الولدين أو عدد كبير من الأخوة. من ناحية أخرى، فقلة الصبر عند الأهل وإحباطهم لأي مجهود يقوم به الولد للنطق قد يؤثران سلبياً على الولد، فيخف عنده الحماس والاندفاع للتواصل، كما قد يؤدي ذلك إلى مهارات لغوية غير ناضجة.

تمتاز هذه المرحلة - بين الشهر الثامن والشهر الثاني عشر - باستخدام الولد للإشارات بشكل إرادي لكي يدل على الشيء الذي يرغبه، وبهذه الطريقة يدرك أنه يستطيع التأثير على محيطه (الحصول على الشيء) وعلى من فيه (جعل الشخص الآخر يعطيه الشيء المرغوب). عندما يستجيب الكبار لإشارات الولد باستعمال الكلمة المربوطة بالشيء الذي يرغب في الحصول عليه، يتعلم الولد أن استخدام الكلمة قد يؤدي إلى تنفيذ سريع لرغباته! وهكذا، تدريجياً يبدأ ابن السنة بلفظ الكلمة المناسبة مقرونة بالإشارة، إلى أن تختفي الإشارة وتبقى الكلمة.

### 3 - من الشهر الثاني عشر حتى الشهر الثامن عشر

في هذه المرحلة تظهر الكلمات الأولى، وهي إجمالاً كلمات ترمز إلى أشياء متحركة، أو أفعال وأوصاف مألوفة. ويلاحظ الباحثون في مجال النطق أن العديد من الكلمات الأولى التي تظهر عند الولد تكون مربوطة باكتسابات ذهنية معينة،

وكأنه يتحمس لاكتساب الكلمة المتلائمة مع العملية الفكرية التي تتبلور في ذهنه. ومن الجدير ذكره أن الولد لا يستعمل كلماته الأولى بنفس الطريقة التي نستعملها نحن، فيكون أحياناً استعمال الكلمة محدوداً جداً ومقتصراً على شيء معين (مثلاً كلمة «يارا» تعني سيارة والده فقط وليس بقية السيارات) أو يكون معمماً بمعنى أن الولد يستخدم نفس الكلمة للإشارة إلى عدد كبير من الأشياء (مثلاً كلمة «عوعو» تعني كل الحيوانات ذات الأقدام الأربعة). كلما تطورت المفردات في لغة الولد، استطاع أن يقوم بالتمييز الدقيق وتخف مثل هذه الأخطاء اللغوية عنده.



كلام الأم يوفر الجو الملائم لكي يختبر الطفل ويستكشف مهارات جديدة.

#### 4 - من الشهر الثامن عشر حتى السنتين

في البدء يكون اكتساب المفردات بطيئاً، بمعدل كلمة واحدة إلى ثلاث كلمات جديدة بالشهر، ولكن تشهد المرحلة الممتدة من الشهر الثامن عشر حتى السنتين تطوراً سريعاً في هذا الإطار، حيث إن معظم الأولاد يكتسبون بين عشر وعشرين كلمة جديدة كل أسبوع، وبالفعل عند عمر السنتين نلاحظ أن الولد يمتلك حوالي مئتي كلمة في قاموسه الخاص. كذلك فإن العام الثاني يشهد تطوراً لغوياً مهماً جداً وهو محاولة الولد تكوين الجمل، وهنا يتحدث الإختصاصيون عن «اللغة التلغرافية» حيث يدمج الولد كلمتين يستطيع من خلالهما إيصال ثروة من المعاني إلى أهله؛ وبالرغم من محدودية هذه الجمل من الناحية اللغوية، نلمس دهشة الأهالي أمام إبداع ابن السنتين في اختيار الكلمات ودمج بعضها ببعض الآخر للتعبير عن احتياجاته ومشاعره، ولعل أكثر الجمل شيوعاً عند الأولاد في هذا العمر تتكون من «بدي...» أو «بعد...» أو «بح.....» .

في ختام حديثنا عن تطور النطق في السنتين الأوليين، نود لفت انتباه القراء إلى بعض الملاحظات المهمة المتعلقة بعلاقة النطق مع القدرات الفكرية، والفروقات الفردية التي يلاحظها جميع الأهالي بين ولد وأخيه أو أخته في الأسرة نفسها.

#### ثانياً - النطق والاستيعاب

يؤكد الباحثون أن الفهم في كل المراحل التطورية يسبق النطق، فترى مثلاً ابن الثمانية أشهر يذهب ويبحث عن الكرة الحمراء عندما تسأله والدته «أين الكرة الحمراء؟» كذلك فإن ابن السنتين يليبي العديد من التأشيريات مثل «إجلب زجاجة العصير إلى هنا» أو «لا تلمس النبات»، بالرغم من أنه لا يستطيع التعبير عن كل هذه الكلمات بلغته هو.

ويفسر الباحثون هذا الأمر بأن استيعاب مفهوم معين يتطلب أن يتعرف الولد إلى معنى الكلمة، بينما يتطلب النطق أن يتذكر الولد أو أن يستخرج الكلمة من ذاكرته بالإضافة إلى المفهوم الذي ترمز إليه هذه الكلمة. هكذا يتبين أن نطق الكلمة أصعب من فهمها، وفشل ابن السنتين في قول الكلمة لا يعني أنه لا يفهمها. لذلك فعندما نريد تقييم تطور النطق عند الولد يجب أن نأخذ هذه النقطة بعين الاعتبار، وإذا اعتمدنا فقط على ما يقوله الأولاد، قللنا كثير من تقديرنا لمعرفة اللغوية.

### ثالثاً - الفروقات الفردية

إن تطوّر النطق عند الولد هو نتيجة مزيج معقد بين العوامل الوراثية، والبيولوجية والبيئية. نعرف مثلاً أن الإناث يتفوقن على الذكور في اكتساب المفردات في عمر مبكر. إضافة إلى عامل الجنس، هناك شخصية الولد التي تلعب دوراً مهماً في هذا الإطار، إذ نرى أن الولد الخجول والمتحفظ ينتظر أن يستكمل فهمه للكلمات قبل أن يحاول النطق، والجدير بالذكر هو أنه عندما ينطق، ينمو قاموس مفرداته بسرعة هائلة، ويقوم بدمج الكلمات بعضها مع البعض الآخر بشكل شبه تلقائي.

كما أن لكل ولد أسلوب نطق مختلف، فبعض الأولاد يفضلون الأسلوب الوظيفي الذي يحتوي بمعظمه على كلمات ترمز إلى أسماء الأشياء والأشخاص في محيطهم، بينما البعض الآخر يفضل الأسلوب التعبيري المكون بمجمله من تعابير اجتماعية وألفاظ تعبر عن احتياجات ومشاعر الولد. وتشير بعض الدراسات إلى أن الأولاد الذين يتميزون بالأسلوب الوظيفي ينطقون قبل رفاقهم من نفس العمر الذين يستخدمون الأسلوب التعبيري، وذلك لأن اللغة، إجمالاً، تحتوي على كلمات وظيفية (أسماء الأشياء والأشخاص) بنسبة أعلى من الكلمات التعبيرية. لكن من الجدير ذكره هنا هو أن هذا الفرق في نمط اكتساب النطق بين الأسلوبين غالباً ما يزول مع تفاعل الولد المستمر في بيئات لغوية متنوّعة.

### رابعاً - تأثير تعدد اللغات على اكتساب النطق

هناك قلق كبير عند الأهالي يتعلق بتأثير تعدد اللغات في محيط الطفل اليومي على اكتسابه للنطق، خاصة في المجتمع اللبناني حيث يتعرض الطفل لأكثر من لغة منذ سنواته الأولى، أكان ذلك في المنزل حيث الأب يخاطبه بلغة والأم بلغة ثانية والخادمة بلغة ثالثة، أو في دور الحضانة على يد الحادقات والمشرفات وحتى بقية الأولاد في الصف.

فالسؤال الذي يرد إلى ذهن الأهالي هو التالي: إذا تعرض الولد لأكثر من لغة في محيطه منذ الطفولة المبكرة، فهل أن ذلك سوف يؤثر سلباً على اكتساب النطق عنده؟

هناك العديد من الدراسات منها القديم ومنها الحديث، التي تؤكد أن لا آثار سلبية لتعرض الطفل ولو في سن مبكر لأكثر من لغة على شرط أن تكون كل واحدة

من هذه اللغات محكية بشكل سليم وشبه راق، وأن لا يمزج مصدر اللغة نفسه بين لغتين أو أكثر عندما يتخاطب مع الطفل، إذ إنه يجب على الطفل أن يدرك أن لكل واحدة من اللغات المحكية أمامه قواعدها وأسسها، وهي مستقلة كلياً عن اللغة الأخرى.

حتى إن بعض الإختصاصيين ينصحون بأن تتركس أوقات مختلفة من النهار للتخاطب بلغة ما، كذلك أن تخصص لغة واحدة لظروف حوارية معينة مع الولد. كما يوصي الإختصاصيون بالاستعمال المتوازن للغتين في الحياة اليومية، فعندما يستجيب الوالدان إلى لغة واحدة أكثر من لغة ثانية، قد يؤدي ذلك عند الولد إلى عدم استعمال اللغة الثانية وفقدانها تدريجياً.

## التطور الذهني



يعتقد معظم الأهالي أننا لا نستطيع التحدث عن ذكاء الطفل قبل بلوغه السنتين، أي عندما يبدأ باستعمال الكلام للتعبير عن حاجاته ومشاعره بشكل مفهوم لدى الكبار، وبالتالي لا نستطيع أن ندرك مستوى ذكائه قبل ذلك الحين.

مما لا شك فيه هو أن اختبار ذكاء المولود مهمة صعبة وفيه الكثير من التحديات: فهو لا يستطيع أن يجيب على الأسئلة أو أن يتبع التآشيرات. كل ما علينا إذن فعله هو تقديم المثيرات له، وحثه على الاستجابة ومراقبة سلوكه. لذلك فإن معظم اختبارات الأطفال تتكون من وظائف إدراكية، حسية وحركية، بالإضافة إلى بعض الوظائف التي تتعلق بتطور النطق المبكر والقدرة على إيجاد حلول لبعض الظروف الغامضة (مثلاً: قدرة الطفل على اكتشاف مكعب مخبأ تحت كوب).

والجدير ذكره هو أن كل ما نملكه من معلومات حول تطور القدرات الفكرية عند المولود بين الولادة والمراهقة يعود إلى الأبحاث والاختبارات التي قام بها العالم السويسري الشهير، عملاق التطور



الذهني، «جان بياجيه»، إذ إن أعماله في هذا المجال دفعت الباحثين في كل أنحاء العالم، إلى النظر إلى الطفل وكأنه عالم مستكشف، منهمك، متحمس، فعال ومتفاعل مع المحيط.

## أولاً - المصطلحات في نظرية «بياجييه»

رأى «بياجييه» أن الولد، بين الولادة والمراهقة، يمر بأربعة مراحل من التطور الفكري، وفي فصلنا هذا سوف نتحدث عن المرحلة الأولى، الممتدة من الولادة حتى عمر السنتين، وهي مرحلة التطور الحسي الحركي.

فالطفل في هذه المرحلة يفكر بعينيّه، وأذنيه، ويديه، ويكل ما لديه من مهارات حسية وحركية، أي إنه يستكشف العالم حوله من خلال هذه المهارات. فكل ما يقوم به الطفل من حركات وسلوكيات في الأشهر الأولى من الحياة يأتي عشوائياً، وتصبح هذه السلوكيات تدريجياً أكثر انضباطاً وإبداعاً إذ إن الولد، في عمر الخمسة عشر شهراً مثلاً، يدرك أن هناك بعض القواعد الثابتة لهذه السلوكيات، فتنتقل من كونها حركة محضة إلى مستوى ذهني، ونلاحظ أن الطفل بدأ يفكر قبل أن يفعل. لنأخذ مثلاً سلوكاً مميزاً عند الأطفال في سنتهم الأولى، كرمي الأشياء أرضاً، فنحن نعرف أن كل الأولاد ابتداءً من عمر الستة أشهر يمضون الكثير من وقتهم في رمي أي شيء أمامهم إلى الأرض، وينظرون باهتمام إليه وهو يقع، ونلاحظ أيضاً أن مع مرور الزمن، أي في عمر السنة والنصف، يبدأ الطفل بالتفنن في عملية رمي الأشياء، فيرمي بعض الأشياء إلى الأعلى، والبعض الآخر نحو الحائط، ويستعمل القوة مع بعضها، ويكون أطف مع البعض الآخر. كل ذلك يشير إلى أن الطفل انتقل من مستوى الفعل إلى مستوى أعلى، هو مستوى التفكير بالفعل، أو التفكير قبل الفعل، أي بكلام آخر، تطور سلوك الطفل من التصرف الفطري العفوي إلى التصرف غير العشوائي والمقصود. ويرى «بياجييه» أن هناك عمليتين مهمتين تجريان في هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل وهما: التأقلم والتنظيم.

1 - التأقلم: أي عندما يتعاطى الولد مباشرة مع محيطه ويتأثر بنتيجة هذا التعاطي. والتأقلم يقوم على نشاطين أساسيين هما: الاستيعاب والتلاؤم. أما الاستيعاب فيعني به «بياجييه» عملية فطرية موجودة عند جميع المخلوقات بهدف التأقلم من أجل البقاء، وهي تساعد الإنسان على فهم ما يحصل في عالمه بضم المعطيات الخارجية إلى هيكلية المفاهيم المتوفرة داخلياً. وحتى يستوعب الطفل، عليه أولاً أن يتقبل المعلومات الجديدة ويحاول أن يفهمها، ثم أن يلائمها مع ما

عنده، فيضمها إلى المعلومات السابقة لديه.

مثلاً: يتعلم الولد من خلال المشاهدة الحية و القصص والأفلام أن الكلب يعوي، فكلما يرى حيواناً يمشي على أربعة أقدام (هر، حصان..) يقول الولد «عَوَّو!».

أما بالنسبة للتلاؤم، فهي حاجة فطرية موجودة عند جميع المخلوقات، وحتى يتلاءم الإنسان، عليه أن يعدل التصاميم المعرفية الداخلية لديه لتتناسب مع المعطيات البيئية الجديدة. ويحصل ذلك عندما يدرك الولد أن التصميم القديم أو المؤلف لديه لا ينطبق بشكل صحيح مع المفهوم الجديد، فعندئذ يبحث عن تصميم جديد لمطابقة المعلومات الجديدة.

مثلاً: يدرك الطفل تدريجياً أن صفة «عَوَّو» لا تتلاءم مع الهر، فيبتكر طريقة جديدة للإشارة إلى الهر عندما يراه.

والجدير ذكره هو أن نشاطي الاستيعاب والتلاؤم مترابطان في كل لحظة من لحظات التفاعل مع العالم الخارجي.

2 - التنظيم: بعد عملية التأقلم، تخضع المكتسبات الجديدة عند الطفل لعملية ثانية هي التنظيم، وهي عملية داخلية تجري إلى جانب الاتصال المباشر مع المحيط. فيبأشر الطفل بترتيب هذه المكتسبات الجديدة بعضها مع البعض الآخر وربطها بمفاهيم أخرى متوفرة لديه حيث تصبح كلها جزءاً من نظام فكري مترابط. فمثلاً بعدما تعلم الطفل أن رمي الأشياء أرضاً يختلف عن رميها تجاه الحائط يستطيع الآن أن يربط هذين النشاطين بمفهوم القرب والبعد.

## ثانياً - المرحلة الحسية - الحركية

إن المرحلة الأولى من التطور الذهني حسب نظرية «بياجية» هي المرحلة الحسية الحركية، لأن الطفل يفكر ويكوّن معرفته من خلال أفعاله المرتبطة بحواسه وحركاته، فيتعرف على العالم الخارجي من خلال التفاعل مع أمه وأبيه، ومع بعض المفاهيم الأساسية مثل: الطعام، الحمام، السرير، داخل وخارج، قريب وبعيد، فوق وتحت، بارد وساخن، ناعم وخشن، إلخ.

وفي هذه المرحلة، يكون تفكير الطفل أنوياً، أي إن المحور الوحيد هو ذاته. وفيما يلي تلخيص لأهم خصائص هذه المرحلة:

يجب أن نعرف أن أول مظاهر الذكاء تتجلى عند الطفل في المرحلة الحسية الحركية، وتعرف بالذكاء الإبداعي، حيث نرى أن الأطفال يبتكرون باستمرار

وسائل للحصول على ما يريدونه. ويظهر هذا الذكاء قبل ظهور اللغة، فالذكاء اللغوي والتفكير الذي يكتسبه الأطفال فيما بعد يبنيان على أساس العمليات الفكرية الإبداعية التي تشكل الذكاء الحسي الحركي.

وتبدأ هذه المرحلة بالانعكاسات البسيطة مثل: المص والبلع والبكاء والصراخ والعطس وتحريك الأعضاء، وهي ردود فعل غير مقصودة، عشوائية، لا إرادية تتحول تدريجياً إلى أفعال مقصودة.

فبعد العشوائية وعدم الإتقان اللذين ميزا الشهر الأول من حياة الرضيع، نراقب بين الشهر الثاني والشهر الرابع ظهور التكرار في تصرفات الطفل، إذ يتمرن على إعادة وتكرار بعض الحركات لأنها تلبي حاجاته. كما أننا نلاحظ خلال هذه الفترة أن الرضيع أصبح يميز تدريجياً يده، وحلمة أمه، وإصبعه، وينسق حركاته بين فمه ويده من خلال تفاعله معها. في هذه الفترة أيضاً يتتبع الرضيع بعينه كل ما يُحرّك أمامه.

من الشهر الرابع حتى الشهر الثامن، يبدأ الطفل بالتركيز على العالم الذي يحيط به ويصبح قادراً على تنسيق حركاته واستعمال الأشياء الخارجية، وتتمحور الحركات على النتيجة، ويصبح هدف فعل الولد بقاء واستمرارية النتيجة التي حصل عليها، أي إنه يعيد نفس الفعل للحصول على نفس النتيجة.

فمثلاً بعدما قام بهز «الخشخاشة» بالصدفة، يمكنه الآن إعادة نفس الحركة والقيام بهزها حتى تثير سمعه.

بين الشهر الثامن والشهر الثاني عشر، يحصل العديد من التغييرات المهمة عند الطفل، إذ إنه يضيف إلى الوسائل القديمة قدرات جديدة، وتلتحم المعرفة القديمة بالمعرفة الجديدة، ويتمكن الطفل تدريجياً من التنسيق بين جميع أعضائه، ويقوم بتوسيع وتنويع الأفعال المتكررة، فمثلاً، يمكنه الآن القيام بحركتين في آن واحد، مثل الضرب بيد والقبض باليد الأخرى.

ويعتبر «بباجيه» أن أولى علامات الذكاء تظهر عندما يبدأ الطفل بتحديد نيته وهدفه قبل أن يقوم بالفعل نفسه، فهدف الفعل هو الوصول إلى نتيجة وليس معرفة الحقيقة، كما أن الطفل يشعر في هذه المرحلة أنه المسبب لكل ما يجري حوله. ولعل أهم التغييرات الحاصلة في هذه المرحلة هي قدرة الولد على تفقد الشيء الغائب، مما يدل على أنه أصبح الآن يدرك أن الشيء يستمر في الوجود حتى لو لم يكن ظاهراً. فمثلاً، إذا وضعت أمامه كرة حمراء ثم أخفيتها تحت غطاء سوف يستطيع الولد أن يبحث عن الكرة تحت الغطاء، وهذا الإنجاز لا يستطيع ابن الخمسة أشهر مثلاً أن



في شهره التاسع يبدأ الطفل بتفقد الشيء الغائب.

يقوم به. فقدرة الولد على تخمين المكان الذي اختفى فيه الشيء دليل على أنه اكتسب مفهوم «استمرارية الشيء»، أي أن كل شيء يشغل فراغاً في المكان، فيفهم تدريجياً أن الأشياء تبقى وتستمر حتى لو لم يرها.

بين السنة والسنة والنصف، تبدأ مرحلة الاختراعات (اختراع أساليب جديدة للحصول على ما يريده) والتقليد الدقيق، كما أن في هذه المرحلة تزداد مساحة تجوال الطفل، إذ إنه أصبح الآن يمشي، وبالتالي تزداد اكتشافاته من خلال المشي فيتوسع أفقه ويبدأ بإدراك العلاقات بين الأشياء وتمييزها، وتمييز العلاقة بين الأشياء وبين نفسه.

إن كل هذه التصرفات، حسب «بياجيه»، تظهر الفعل «الذكي» عبر تلاؤم المفاهيم والاككتسابات المعرفية مع الأوضاع الجديدة، ويرافق هذا التلاؤم هيكلية استمرارية الشيء ضمن مفاهيم المكانية والزمنية والسببية.

ويأتي الجزء الأخير من المرحلة الحسية الحركية بين الشهر الثامن عشر والسنتين حيث تتحول معرفة الطفل من معرفة حسية ملموسة إلى معرفة فكرية، ويتبين ذلك من خلال النشاط الرمزي - أي التمثيل - الذي يقوم به الطفل، إذ يكون تفكير الولد أكثر مرونة وإبداعاً وكذلك سلوكه.

ومن أهم خصائص هذه المرحلة قدرة الطفل على تقليد مرجع معين حتى في

غياب المرجع، وقدرة الطفل على اللعب الوظيفي، وهو نوع اللعب الممتع بالنسبة للولد حيث يحول الملموس إلى مجرد، باستبداله ذهنياً شيئاً معيناً من واقعه برموز، بدلاً من استخدام الشيء الحقيقي نفسه (مثل الولد الذي يستخدم فرشاة الشعر كجهاز الهاتف!).

وأخيراً، تتوج المرحلة الحسية الحركية بقدرة الطفل على اللعب التمثيلي أو الخيالي حيث يمثل الطفل نشاطات واقعية وخيالية، كالولد الذي يمثل أنه ينام بتغميض عينيه، أو يغسل يديه بفتح حنفية وهمية وتقليد صوت المياه. لقد أبدى علماء النفس اهتماماً كبيراً بمفهوم اللعب التمثيلي أو الخيالي، أمثال «فيغوتسكي» الذي رأى أن اللعب الخيالي ينمو نتيجة تفاعل الطفل مع الآخرين، وأن جهوزية الولد للتواصل الاجتماعي هي التي تطور هذا النوع من اللعب عند الطفل. ويعتقد «فيغوتسكي» أن اللعب الخيالي هو وسيلة رئيسية يطور الأولاد من خلالها مهاراتهم الفكرية ويتعلمون وظائف مهمة في بيئتهم.

لذلك يكون توفير المحيط الغني بالمتغيرات للولد عنصراً ضرورياً لتطوير قدراته الذهنية مع تشجيعه على المشاركة الفعالة في العالم الاجتماعي حوله.

### ثالثاً - ميزات المرحلة الحسية - الحركية

الأنوية: يجب التمييز بين الأنوية والأنانية، فالأنوية لا تستخدم بمعنى سلبي، وهي تنبع من غريزة فطرية عند الإنسان لحب البقاء، وتتميز بتمحور الطفل حول نفسه وعدم قدرته على التفرقة بين الأشياء وبين نفسه وجسمه.

ترافق الأنوية الإنسان في مختلف مراحل حياته، وكلما نضج تخف حدتها، فمن الولادة حتى النضوج الكامل، يكون تفكير الطفل أنوياً إذ إنه يعتبر نفسه محور العالم، ولا يستطيع أن يفهم الأشياء إلا بطريقته الخاصة، كما يعتقد أن الآخرين يرون الأشياء بطريقته هو أيضاً.

فالرضيع يعيش وكأن الأشياء موجودة فقط حتى تستجيب لحاجاته الخاصة، وبالطبع، فهو لا يفهم الفرق بين الأشياء التي تحيط به وبين نفسه وجسمه. وفي المرحلة الحسية - الحركية، لا يستطيع الطفل التمييز بين أفكاره وأفكار الآخرين، فهو يعتقد أن تفكير الآخرين يشبه تفكيره، وكذلك لا يستطيع أن يميز نفسه من باقي الأشياء: «عندما أنام، الشمس أيضاً تنام».

هذا والجدير ذكره هنا هو أن لغة الطفل في هذه المرحلة تتميز أيضاً بالأنوية

حيث أن العدد الأكبر من الكلمات أو بالأحرى التعابير الصوتية التي ينطقها الطفل لا تعني للمستمع أي شيء بل إن معناها خاص بالطفل فقط، وقد يعطي الطفل للكلمة معاني عديدة متنوعة خاصة بمفهومه لها، فمثلاً قد يستعمل الطفل كلمة أو عبارة «باي باي» لشخص زاهب، أو عندما يخرج هو من الغرفة أو عندما يمسك الباب أو حتى عندما يقوم من مقعده.

الإحيائية: وهي عندما يتحاور الولد مع الألعاب والدمى وكل ما يتعامل معه وكأنه يمنح الأشياء حياة خاصة بها، فمثلاً، الولد الذي يوقع كرسيه، يهتم بمشاعر الكرسي كأنه هو والكرسي شيء واحد، وكأن للكرسي مشاعر كتلك التي عنده تماماً. وكما يلاحظ القارئ من المثل أعلاه، فإن الإحيائية مبروطة بالأنوية التي تحدثنا عنها في الفقرة السابقة، وهي تشكل بنية مهمة تتأسس فيها مفاهيم الطفل. والجدير ذكره هو أن الإحيائية تستمر مع الولد حتى بلوغه السبع سنوات تقريباً حيث تزول من خلال التحام التفكير الحسي الحركي مع التفكير العملي والمحسوم الذي يميز المرحلة التالية من التطور الذهني.

ويرى «بياجيه» أن البيئة تلعب دوراً مهماً في مساعدة الطفل على تكوين المفاهيم، فهناك بيئة تشجع الطفل على معرفة الحقائق علمياً، وهذا يساعده على تأقلم أفضل وأسرع، وهناك بيئة مسؤولة عن استمرار التفكير الخاطيء عند الطفل وتثبيت التفسيرات الخرافية (مثل الأم التي تضرب الكرسي الذي وقع منه الطفل بهدف إلهائه عن الألم).

#### رابعاً - تأثير البيئة المنزلية على ذكاء الطفل

بغض النظر عن الاختلاف في الطبقة الاجتماعية أو المجموعة العرقية التي ينتمي إليها الطفل، تلعب البيئة المنزلية دوراً رئيسياً في تنمية القدرات الفكرية، ويبقى توفير المثيرات من خلال محيط ملائم وتشجيع ودعم وعاطفة الوالدين المؤثر الأفضل لمستوى الذكاء عند الطفل. وتشير الدراسات إلى أن أساليب التربية وطرق اللعب مع الطفل المعتمدة في البيت من قبل الأهالي لها تأثير مباشر على نمط التطور الفكري عند الأولاد، فمثلاً عندما تكون الأم قلقة جداً حيال إنجازات الولد، تضع ضغوطات كثيرة عليه لإنجاز أفضل، وتواجهه باستمرار بأسئلة وإرشادات لا علاقة لها بما يقوم به، وتتدخل بشكل مبالغ في حياة ابنها، قد يؤثر ذلك على قدرة التركيز عند الولد فيصبح انتباهه مشتتاً، ويبدى نوعاً من عدم النضوج في طرق لعبه، وقد يكون أدائه في اختبارات الذكاء متدنياً.

## البيئة المنزلية وتنمية القدرات الفكرية عند الولد

- نوعية استجابة الوالدين للولد: ونعني بذلك مدى الاتصال العاطفي (الاتصال الجسدي مثل الحضن والتقبيل) والكلامي (تبادل الكلام، الإجابة على الأسئلة، نوعية الحوار القائم بين الولد و أمه).
- تقبل الولد: ونعني بذلك أن الأم لا تتدخل باستمرار في نشاطات الولد أو تعيق تحركاته الاستكشافية.
- تنظيم المحيط المنزلي: ونعني بذلك أن محيط اللعب المكرس للولد يبدو آمناً وخالياً من المخاطر.
- توفير مواد اللعب المناسبة: ونعني بذلك أن الأم توفر للولد ألعاباً ونشاطات مثيرة وممتعة بالتوافق مع عمره وقدراته.
- إشراف الأم: ونعني بذلك أن الأم تشرف باستمرار على نشاطات وتحركات الطفل، خاصة خلال مرحلة الطفولة المبكرة، متأكدة أنه لا توجد مصاعب فوق طاقة الولد لحلها، أو مخاطر قد تؤدي إلى أذى الولد.
- التنوع في المؤثرات اليومية: ونعني بذلك أنه بالرغم من ضرورة توفير نظام يومي مريح لبرمجة نهار الطفل حيث يشعر بالأمان والثقة، لا بد من إدخال بعض عناصر التنوع في هذا النظام لكي يتمكن الولد من تقبل التغيرات التي قد تحصل في حياته اليومية بشكل طارئ دون أن تسبب عنده القلق.

## خامساً - تأثير الحضانة على تطور القدرات الفكرية

في أيامنا هذه، مع تيار تحرر المرأة الذي اجتاح المجتمعات الغربية ونجح في التوغل، ولو ببطء وخجل، في مجتمعاتنا الشرقية، أصبحت المرأة - الأم - تتجه خارج منزلها نحو ميادين العمل المتعددة وتتحدى دورها التقليدي كربة منزل من خلال انخراطها في العالم المهني الذي كان محصوراً بالرجال. ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، تشير إحصاءات إجمالية للتسعينيات في القرن العشرين أن أكثر من نصف الأمهات الأمريكيات مع أطفال دون السنتين يعملن خارج المنزل.

في لبنان، أصبحت صورة «الأم العاملة» صورة مألوفة في المجتمع، ونتوقع أن هذه الصورة ستتعمم بشكل أوسع في القرن الحادي والعشرين لتتجاوز إطار المدن الكبرى والضواحي، فتصبح ظاهرة شائعة في كل شرائح المجتمع. مما يعني أن دور

الحضانة أصبحت ضرورة حياتية لها تأثيرها العميق على تطور كل قدرات الطفل ابتداءً من سن مبكرة جداً، وهذا التأثير له علاقة مباشرة بنوعية الخدمات المقدمة للولد في دور الحضانة (نوعية التجهيزات، المواد المتوفرة، خبرة الحادقات، الخ). وتشير الدراسات إلى أنه كلما كان مستوى هذه الخدمات عالياً كان تأثيرها إيجابياً على تطور المهارات الفكرية والاجتماعية والنطق خلال سنوات ما قبل المدرسة . كذلك فالإنجاز المدرسي لاحقاً للأولاد الذين استفادوا من هذا النوع من



خبرات الطفل في الحضانة تساعد في تطوير كل قدراته ابتداءً من سن مبكرة جداً.



الخدمات في طفولتهم المبكرة يكون أفضل، كما أنهم يتحلون بقدرة كبيرة على التأقلم خلال سنوات الطفولة الوسطى والمراهقة.

بالمقابل، فإن الولد الذي وضع في حضانة ذات مستوى خدماتي رديء قد يعاني لاحقاً من مشاكل في التركيز والانتباه، واندفاع متدن في الدراسة، وتتسم علاقاته مع الآخرين بالرداءة. ولسوء الحظ، فالأولاد الذين يرتادون هذا النوع من الحضانات يأتون إجمالاً من بيئة اجتماعية فقيرة حيث لا يستطيع الوالدان تحمل تكاليف حضانة ذات مستوى أفضل، وبالتالي يصبح الولد في هذه الحالة، عرضة لتأثيرات سلبية مضاعفة مصدرها أولاً البيئة المنزلية وثانياً الحضانة.

فيما يلي سرد لبعض الخصائص التي يجب على الوالدين أن يبحثوا عنها عندما يقرران وضع ولدهما في حضانة، للتمييز بين الحضانة الجيدة والحضانة الرديئة:

### خصائص الحضانة الجيدة

- الجو العام: المحيط الداخلي نظيف، الإنارة جيدة، التهوية ملائمة، المحيط للعب الخارجي متوفر، وعدم ازدحام الأولاد في القاعات.
- الألعاب والتجهيزات: مواد اللعب متلائمة مع عمر الأطفال ومحفوظة في رفوف على متناول يد الأولاد. كذلك الأسرة، والكراسي العالية، ومقاعد الرضع، ومقاعد وطاولات الأولاد جميعها متوفرة ومتلائمة مع حجم الأولاد.
- عدد الأولاد ضمن المجموعة: في مراكز الرعاية النهارية، لا يجب أن يتجاوز عدد الأطفال الرضع ثمانية برعاية حادقتين، واثنى عشر ولداً (بين السنة والسنتين) برعاية ثلاث حادقات، ويجب أن يكون الطاقم التربوي ملتزماً وثابتاً لكي يستطيع الأولاد بناء علاقة سليمة مع الحادقات.
- النشاطات اليومية: يجب على البرنامج اليومي أن يتضمن أوقاتاً للعب النشط واللعب الهادئ، وأوقات قيلولة، ووجبات طعام ملائمة. كذلك، فإن على البرنامج أن يكون مرناً لاستيعاب الاحتياجات الخاصة بكل ولد، والجو العام دافئاً، والإشراف مستمراً على الأولاد.
- مؤهلات الحادقات: من المفترض أن تكون الحاضنة قد خضعت لبرامج تدريب ميدانية في مجال تطور الطفل، وفي الإسعافات الأولية.
- التنسيق مع الأهالي: شعور الوالدين بأنه مرحب بهما في أي لحظة من النهار، والحاذقة مستعدة للإجابة على كل أسئلتها حول تطور ولدهما.



خلال سنته الأولى يستمتع المولود بدمى الحيوانات المحشوة والألعاب البلاستيكية.

سادساً - الألعاب التي تساهم في تنمية القدرات الفكرية للطفل بعدما رأينا مع «بياجيه» كيفية تطور القدرات الذهنية خلال الفترة المبكرة من نمو الطفل، لا بد من أن نذكر الأهالي بأهمية توفير الألعاب الملائمة لهذه المرحلة كمواد مساعدة لتطوير المهارات الحسية والحركية عند الطفل، التي هي أول شكل للذكاء عند الإنسان.

وفيما يلي بعض النصائح حول نوعية هذه الألعاب حسب عمر الولد:

بين الشهر الثاني والشهر السادس تحتل الألعاب المعلقة فوق سرير الطفل المركز الأول في اختيار الأهالي، إذ إن هذه الألعاب بألوانها وأشكالها المتنوعة ودورانها مع الموسيقى الناعمة توفر للطفل فرصة ممتازة لتنمية الإدراك الحسي عنده والتنسيق بين الحواس (البصر والسمع). وتبقى طبعاً «الخشخاشة» اللعبة المفضلة عند الرضيع، وهي مهمة لأنها من ناحية تدرب حاسة السمع عنده، ومن ناحية أخرى تحثه على المحاولات الأولى لالتقاط الشيء وتوظيفه لهدف معين (إحداث صوت)، وبالتالي فهي تساعده على تنمية إدراك فكري مهم جداً، بل من أهم الاكتسابات الفكرية البدائية لهذه المرحلة، وهو الربط بين حركاته والحدث في محيطه، أي بين الحدث وسببه، (هز الخشخاشة يسبب صوتاً معيناً).

بين الشهر السادس والسنة الأولى، ننصح بتوفير الألعاب التالية: مكعبات صغيرة وكبيرة، كتب مصورة، دمي حيوانات محشوة (من دون أزرار صغيرة لأنها قد تشكل خطراً على سلامة الطفل)، أوعية للتفريغ والتعبئة، أوان مطبخية، ألعاب بلاستيكية خلال الاستحمام، كرة خفيفة متلائمة مع حجم يد الطفل وقدرته على الرمي، ألعاب بلاستيكية تحدث صوتاً عند القبض.

وابتداء من السنة الأولى، يفضل توفير ألعاب تنمي خيال وإبداع الطفل، مثل الدمى الكبيرة، طقم مطبخ كامل للعب، آلة هاتف للعب، ألعاب للجر بواسطة الحبل (سيارة أو قطار صغير أو بطة ذات دواليب)، سيارات للعب، ألعاب تركيبية خشبية أو بلاستيكية ذات ألوان مختلفة، وألعاب «بازل» بسيطة وسهلة، وأخيراً، في فصل الصيف، بركة ماء مسطحة للعب (مع إشراف مستمر للأم).

## التطوّر العاطفي والاجتماعي

# 5



الحياة للطفل أكثر من مجرد عملية تعلم مستمرة؛ منذ الأشهر الأولى، ينجذب الرضيع إلى الأشخاص حوله فهو إجمالاً مخلوق بغاية الجاذبية بجسده الصغير وعينيه الكبيرتين وبشرته الناعمة، ويملك كل الخصائص التي تتسلط بقوة على والديه وعلى أي شخص آخر يقترب منه. وهذه الجاذبية المتبادلة تبدأ بشكل فوري بعد الولادة بساعة حيث يكون الرضيع إجمالاً مستيقظاً ويحدق بوجه أمه بينما هي تحدق به وتبتسم له وتلمسه بلطف. هكذا تتكون الفرصة الأولى لقيام الرابط العاطفي بين الأم ومولودها الجديد.

### أولاً - نظرية "أريكسون" في التطوّر الاجتماعي

من الأسماء المهمة جداً في دراسة تطور الأولاد اسم «أريكسون» المحلل النفسي الأميركي الذي وضع نظرية شاملة لتطور الإنسان الاجتماعي منذ الولادة حتى الشيخوخة، وأطلق عليها اسم النظرية النفسية - الاجتماعية، حيث رأى أن تطورنا الاجتماعي يمر بمراحل

عدة تتمحور كل واحدة منها حول أزمة نفسية يتوجب إيجاد الحل المناسب لها. فإذا تم التعامل مع هذه الأزمة بالشكل السليم استطاع الإنسان أن يبلغ المرحلة التالية بسلاسة وأمان، أما إذا لم تتوفر له العوامل الملائمة فهذا قد يؤثر سلباً على نمو شخصيته. هذا وقد أطلق «أريكسون» تعبير «الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة» ليصف المرحلة الأولى من التطور النفسي - الاجتماعي، وهي تمتد من الولادة حتى السنة الأولى، وهي الفترة حيث يكوّن الرضيع شعوراً بالثقة البديهية تجاه عالمه. ويُعتبر تكوين هذا الشعور حجر الأساس لتطور عاطفي سليم. ويلعب سلوك الأم تجاه رضيعها خلال هذه الفترة دوراً بارزاً، بل الأبرز في توطيد هذا الشعور.

يرى «أريكسون» أن المهمة الأساسية هي أن يتعلم الرضيع أنه يستطيع الوثوق بعالمه، وهذه الثقة مبنية على الشعور بأنه يستطيع الاتكال على والديه لتوفير العناية والدعم، وأن العالم آمن وجميل!

لذلك فإن طبيعة سلوك الأم مهمة جداً لمساعدة الرضيع على تكوين مثل هذا الشعور، فالأم التي تستجيب بشكل فوري ومنتظم لاحتياجات مولودها وتحضنه بلطف، خاصة خلال أوقات الرضاعة، وتتصرف بصبر وحنان تجاهه، وتتأقلم بشكل حساس ورقيق مع مشاعره، هذه الأم تمهد الطريق لتطور اجتماعي وعاطفي سليم عند ولدها، أي إن الولد يتزود هكذا بالثقة الكافية واللازمة تجاه عالمه مما يسمح له لاحقاً أن يستكشفه بأمان وطمأنينة. أما الرضيع الذي لم تتوفر له هذه المعايير الأساسية من الرعاية والحنان من قبل الآخرين، فيتعلم أن يحمي نفسه ويتحصن بوجه عالم «غير آمن وغير جميل» بالإنزواء بعيداً عن الناس والأشياء من حوله.

عند بلوغه السنة الثانية، يدخل الطفل مرحلة «الاستقلالية مقابل الشك» ولقد أطلق «أريكسون» عليها هذا التعبير ليركز على أهمية دور الوالدين في مساعدة الولد على تطوير روح المبادرة والاستقلالية، بعدما يكون قد كوّن رابطاً عاطفياً صلباً خلال المرحلة السابقة.

كلنا نعلم كم يحاول ابن السنتين فرض شخصيته واستقلاليته مما دفع ببعض علماء النفس إلى استعمال عبارات مثل «الستين الفظيحتين» أو «العمر السلبي» نظراً للرغبة الشديدة والمفرطة، التي يبديها ابن السنتين في تنفيذ رغباته وممارسة نشاطات تثير اهتمامه، وفرض آرائه على من حوله، إلخ.

في هذه المرحلة يتوجب على الوالدين أن يوفرا لإبنهما الإرشاد المناسب لاستيعاب هذه الخطوات المهمة نحو الاستقلالية والخيارات المعقولة والمقبولة

لتنفيذ رغباته الاستكشافية، وممارسة نشاطات نابغة من مبادراته الشخصية. لذلك فالمهمة الأساسية أمام الأهل هنا هي تجنب الانتقاد وإحباط الولد في محاولاته هذه لتوطيد استقلاليته، بل تفهمها واستيعابها كخطوة إلى الأمام نحو تطوير الثقة بالذات. فالولد الذي يحبط باستمرار من قبل والديه، أو الذي لا توفر له الفرص لكي يمارس استقلاليته ومبادراته (إما من خلال المبالغة في الحماية من قبل الأهل، وإما عدم السماح له بإنهاء أي عمل باشر به وإنهائه بدلاً منه لأن ذلك «أسرع» أو لأنه «لا يعرف كيف»)، هذا الولد سوف ينمو شاكاً بقدراته الشخصية، ويكون فكرة سلبية عن ذاته وكأنه غير كفوء ومهما حاول فسوف يفشل!

### ثانياً - التعلق بالأم والانفصال عنها

هناك العديد من النظريات في علم النفس التي تحلل طبيعة تعلق الولد بأمه، وسوف نلخص فيما يلي أهم ما ورد فيها لكي نصل معاً إلى صورة واضحة حول هذه المسألة الغامضة والمعقدة والمتشابكة بعوامل عديدة.

ترى «مارغريت ماهر» مثلاً أنه ابتداءً من الشهر الثاني يصبح الرضيع أكثر وعياً للمثيرات البصرية والسمعية من حوله، لكنه عكس الولد في الثانية من عمره مثلاً، لا يدرك أن هذه المثيرات موجودة بموضوعية كاملة في العالم الخارجي حوله، بل الذات والعالم الخارجي (وفي هذا الإطار، الأم) هما كيان واحد موحد. وترى «ماهر» أن هذا التوحد مع الأم هو خطوة أولية أساسية على طريق تطوير صورة الذات لاحقاً. وهذا التطوير يعتمد على نوعية استجابة الأم للإشارات العاطفية التي يرسلها لها الرضيع، فعندما يبكي أو يناغي أو يبتسم، تستجيب له الأم بسرعة وبإطار عاطفي إيجابي، وكلما فعلت ذلك، كان أسهل على الولد أن ينفصل عنها في المرحلة التالية. بالمقابل، فالرضيع الذي عومل بقسوة وقلة صبر سوف يلاقي صعوبات كبيرة في فصل نفسه عن أمه.

وتبدأ عملية الانفصال عن الأم بين الشهر الرابع والخامس، وتلمس الأم ذلك عندما تحمل ولدها وتراه يحاول الالتواء بعيداً عنها لاستكشاف المحيط، وتتضح هذه العملية عندما يتعلم الولد الزحف أو المشي، أي عندما يكتسب القدرة على مغادرة أمه بمبادرة شخصية. فابن الثمانية أشهر يغامر بالابتعاد عن أمه ليستكشف الغرفة ولكنه يبقى معتمداً عليها بشدة للدعم العاطفي. هذا وترى الطفل في هذا العمر يتجول بعيداً عن أمه ضمن مسافة صغيرة جداً وهو يلتفت إلى الخلف باستمرار للتأكد من تواجد أمه ويعود إلى أحضانها ليختبر مجدداً الشعور بالأمان

والطمأنينة. إنما مع ذهابه وإيابه، يختبر الطفل أمه عبر منظار جديد، ويصبح هكذا مدركاً، ولو بشكل بدائي، لانفصال ذاته عن أمه. وعند إقدامه على المشي، يصبح هذا الإدراك أوضح عند الطفل، إذ إنه أصبح الآن أكثر حرية في تحركاته كما أنه أصبح يستمتع باكتشافاته الجديدة يوماً بعد يوم، ويختبر قدراته الشخصية مما يؤدي إلى إدراك كلي، في الشهر الثامن عشر، أنه وأمّه كيانات مستقلتان.

هذا الاستكشاف مريع عند البداية، لذلك نرى العديد من الأطفال خلال هذه المرحلة يتصرفون وكأنهم يحاولون مقاومة هذا الانفصال عن الأم (ملاحقة الأم في كل أرجاء البيت، والتعلق بملابسها أينما ذهبت، وتعبئة حضانها بألعاب يأتي بها من غرفته، ولعل أفضل لعبة عند الطفل في هذه المرحلة هي لعبة «اللقطة» حيث يركض والأم تلاحقه وتلتقطه!).

إن هذا التمزق الداخلي عند ابن السنتين بين الرغبة في الاستقلالية وفرض الذات من جهة والشعور بالاعتماد على الأم والحاجة الماسة إليها من جهة أخرى، هو الذي يفسر نوبات الغضب التي نشاهدها عند غالب الأطفال، وهي أزمة مؤقتة يمر فيها كل ولد، وعلى الأم أن تتحلى بالصبر وتؤمن الدعم والطمأنينة لابنها لمساعدته في تخطي هذه الأزمة. فعند بلوغه الثلاث سنوات وإذا كانت خبراته مع أمه داعمة ومتلائمة مع احتياجاته، يكون الطفل قد أنجز هذا الشعور بالهوية الذاتية. وهكذا طفل يكون محباً وعطوفاً على الغير، طفلاً متجاوباً، ديناميكياً، يتفاعل مع التحديات بشكل سليم.

هذا وإن التطور الذهني وتطور النطق عنده يسمحان له بتكوين صورة داخلية إيجابية عن أمه يستطيع الاعتماد عليها في حال غياب الأم، مما يسهل عملية الانفصال عنها.

أما مسألة التعلق بالأم فهي موضوع نقاش وجدل كبير بين علماء النفس. وفيما يلي تلخيص لإحدى أهم النظريات في هذا المجال، وهي نظرية «باولبي» الذي رأى أن لرباط التعلق جذوراً بيولوجية. فعلاقة الرضيع بوالدته تبدأ على شكل مجموعة إشارات داخلية يبعثها لجذب الأم إليه، ومع الوقت يتطور رابطة عاطفية حقيقي مدعوم من جهة بقدرات ذهنية جديدة، ومن جهة أخرى بنوعية الرعاية الموفرة له.

فالتعلق يمر بأربع مراحل تطويرية هي:

1 - فترة ما قبل التعلق (من الولادة حتى الستة أسابيع)

ثمة مجموعة إشارات داخلية (مثل الابتسامة والبكاء والتحديق بعين الأم) تساعد

الرضيع على تكوين علاقة وطيدة مع الشخص الآخر، وكلما استجبنا له، كلما ثابر الرضيع في إرسال هذه الإشارات التي تشجعنا على البقاء بجانبه. ومع أن الرضيع في هذا العمر يستطيع التعرف إلى صوت ورائحة أمه، فإنه غير متعلق بها بحيث أنه لا يمانع أن يترك في رعاية شخص غريب.

## 2 - فترة تكوين التعلق (من الأسبوع السادس حتى الشهر الثامن)

في هذه المرحلة، نلاحظ أن الرضيع يبدأ بالتمييز بين الشخص المألوف والشخص الغريب، ويكتشف أن كل تصرفاته تؤثر على تصرفات الناس من حوله، كما أنه يبدأ بتطوير الشعور بالثقة بأن الآخر سوف يستجيب له إذا أشار له بذلك. وبالرغم من هذه التطورات المهمة نلاحظ أن الانفصال عن الأم لا يزعج الرضيع مع أنه بدأ يميزها بوضوح من الأشخاص الآخرين.

## 3 - فترة التعلق الواضح (من الشهر الثامن حتى السنتين)

في هذه الفترة يبدو التعلق بالأم واضحاً جداً، وتنشأ عند الطفل حالة قلق من الانفصال حيث إنه يبدي انزعاجاً كبيراً عندما تغادره أمه. هذا النوع من القلق يظهر إجمالاً حوالي عمر الثمانية أشهر ويتفاقم حتى الشهر الخامس عشر، وظهوره يدل أن الطفل أصبح يدرك تماماً أن الأم مستمرة بالوجود حتى ولو لم يرها. هذا الأمر يذكرنا طبعاً بالمفهوم الذي شرحناه في الفصل السابق حول استمرارية وجود الأشياء، وهو مفهوم ذهني يتطور بشكل طبيعي عند الأطفال في هذه المرحلة من نموهم الفكري.

بالإضافة إلى ظهور هذا الشعور الطبيعي، نرى أن الطفل في هذا العمر يتصرف بهدف إبقاء أمه إلى جانبه: يبقى بقربها، يتبعها أينما ذهبت، يتسلق إلى حضنها... وبالتالي يرى الطفل أمه كقاعدة أمان تنبثق منها كل مبادراته الاستكشافية ومغامراته في محيطه، على أن يعود إليها للدعم العاطفي.

## 4 - فترة تكوين العلاقة المزدوجة (من السنتين وما فوق)

مع انتهاء السنة الثانية، هناك نمو سريع في المكتسبات الذهنية والنطق مما يجعل الولد يتفهم العوامل التي تؤثر على حضور وغياب الأم، وتساعده على توقع عودتها. ولهذا السبب نلاحظ أن قلق الانفصال يبدأ بالتدني، وأن الطفل أصبح يستخدم استراتيجيات أخرى لإبقاء أمه إلى جانبه، استراتيجيات مبنية أكثر على الحوار والإقناع والمفاوضة بدلاً من الأساليب التي كان يستعملها سابقاً (الالتصاق بها، وتتبع خطواتها، والتشبث بأحضانها، الخ...).



هذا، ومن خلال الخبرات التي يمر الطفل بها في هذه المراحل الأربعة تتكون عنده صورة داخلية لأمه وللرابط الذي يجمعه بها، ويصبح هذا الرابط جزءاً أساسياً وحيوياً من شخصيته، وتصبح صورة الأم مثلاً أو مرجعية لكل علاقاته المستقبلية، من الطفولة إلى المراهقة ثم إلى حياته الراشدة.

### ثالثاً - أنواع التعلق بالأم

كما رأينا أعلاه، فإن تعلق ابن السنتين بأمه أمر طبيعي، إنما نوعية هذا التعلق تختلف من ولد إلى آخر. فبعض الأطفال يبذون ارتياحاً وأماناً في حضور أمهم، وكأنهم يعلمون أنهم يستطيعون الاتكال عليها للحماية والدعم، والبعض الآخر يبذون قلقين وغير واثقين ... فما هي العوامل التي تؤثر على اتجاه هذا التعلق في السنوات الأولى؟ وما هو تأثير هذه العوامل فيما بعد؟

يرى الخبراء في هذا المجال أن هناك أربعة أنواع من التعلق بالأم، ولقد اعتمدوا في استنتاجهم هذا على مجموعة من الدراسات والاختبارات من ابتكار عالمة النفس الأميركية، «ماري إينزورث»، ولقد أجريت هذه الدراسات على أطفال ما بين السنة والسنتين من العمر.

أما تصنيف التعلق بالأم فهو على الشكل التالي:

- 1 - التعلق الآمن: يرى الطفل أمه كقاعدة أمينة ينطلق منها لاستكشاف محيطه. عندما يفصل عنها، قد يبكي أو لا يبكي، وإذا بكى فيكون ذلك بسبب غياب الأم، إذ إنه يفضلها على أي شخص آخر، وعندما تعود إليه، يخف بكاؤه فوراً ويباشر الاتصال بها بشكل فعال.
- 2 - التعلق غير الآمن: يبدو الطفل غير متجاوب مع أمه خلال حضورها، وإذا انفصل عنها لا يبدو منزعجاً ويتصرف مع الشخص الغريب كما مع أمه. عندما تعود الأم إليه، يتجنبها أو يكون بطيئاً في الترحيب بها، وعندما تحمله، لا يبدي التعلق الجسدي بها.
- 3 - التعلق المقاوم: يبدو الطفل متعلقاً بشدة بأمه، لكنه يفشل في استكشاف محيطه بحضورها. عندما تعود الأم بعدما انفصلت عنه، يتصرف بشكل غاضب ومقاوم حتى إنه يعتدي عليها بالضرب، وإذا حملته لا يتوقف بكاؤه، ويبدو من الصعب جداً تهدئته.
- 4 - التعلق العشوائي: الطفل يبدي الكثير من الحيرة والتناقض في علاقته مع أمه

فلا ينظر إليها عندما تحمله، ولا يبدو سعيداً عندما يلتقيها، ويكي بشكل غير متوقع حتى بعد تهدئته.

من خلال هذا التصنيف، استطاع الباحثون أن يحدّدوا أطباعاً مختلفة لدى الأمهات، وأن يربطوا بين طبع الأم وطبيعة تعلق ولدها بها. فالأم التي ينتمي ابنها إلى المجموعة الأولى (التعلق الآمن) تتحلّى إجمالاً بقدرة استجابة عالية لاحتياجات الطفل، مترافقة بقدرة ماهرة في توقيت استجاباتها للطفل (مثلاً، تعرف متى يتوجب عليها حمله، ومتى يستحسن عدم التدخل)، كما أنها تُبدي رغبة شديدة في بناء اتصال جسدي مع الطفل. هذه هي الصفات، حسب «إينزورث» وشركائها، التي تجعل الطفل يتطلع إلى أمه كقاعدة آمنة ينطلق منها لاستكشاف العالم من حوله، فيبدو الطفل واثقاً من أن أمه سوف تكون جاهزة إذا احتاج لدعمها، وأنها سوف تقوم بالواجب بفعالية.

أما الأم التي ينتمي ابنها إلى المجموعة الثانية (التعلق غير الآمن) فيبدو، حسب الدراسة عينها، أنها لا تجد أية رغبة في إقامة اتصال جسدي مع ولدها، وهي إجمالاً قليلة الصبر، متشنجة في تصرفاتها، باردة في علاقتها معه، وتتميز بنوع من الأنانية، مما يجعل الولد يتجنب الاتصال بها، ويتصرف وكأنها غير موجودة وغير مهمة في عالمه.

هذا وتبدو الأم التي ينتمي ابنها إلى المجموعة الثالثة (التعلق المقاوم) وكأن لديها الرغبة في إقامة اتصال جسدي مع الولد إنما تفتقر إلى الرقة في ضبط استجابتها مع احتياجات الطفل، وليس لديها القدرة على توقيت هذه الاستجابة بشكل حساس يتلاءم مع مشاعره، لذلك يتعلم الطفل أن أمه غير فعّالة مما يؤدي إلى شعوره بالقلق والمقاومة إذ إنه لا يشعر أنه يستطيع الاعتماد عليها للدعم المطلوب، وهذا يجعله غاضباً وحاقداً تجاهها.

وتبقى الأم التي ينتمي ابنها إلى المجموعة الرابعة والأخيرة (التعلق العشوائي)، فهي إجمالاً تعاني من اضطرابات نفسية مثل الاكتئاب، مما يجعلها تهمل الولد أو ربما تمارس العنف ضده. وهي أم غير قادرة على بناء علاقة ثقة مع ولدها، وتكون هذه العلاقة مليئة بالتناقضات إجمالاً، مما يجعل الولد يشعر بعدم الأمان، وتأتي تصرفاته ترجمة لهذه الحالة من الضياع الداخلي فيتخبط بين التعلق والمقاومة والتجنب، وتوحي ملامح وجهه بالحزن والاكتئاب.

وقبل أن نختم هذه الفقرة لا بد من التحدث ولو بشكل موجز عن أهمية علاقة الأم بولدها خلال السنتين الأوليين من حياته، فهناك إجماع لدى علماء النفس أن

العلاقة السليمة، الموزونة، الجيدة، التي تؤدي إلى تعلق آمن للمولود بأمه مبنية على مهارات معينة تتحلى بها الأم، تتجانس مع بعضها لتكوّن ما يسمى بالتناسق الاتصالي، ويعني ذلك أن تصرفات الأم الإيجابية تتطابق كلياً مع مزاج الطفل واحتياجاته: فهي تستجيب فوراً للإشارات التي يرسلها إليها مولودها وتتعامل معه بحنان واهتمام مع توقيت ملائم لتدخلاتها وطرق سليمة لهذه التدخلات. هذا وقد استخدم علماء النفس تعبير «الرقصة العاطفية» لوصف هذا التناسق الاتصالي، وكأن الأم ومولودها يخطوان معاً بشكل متجانس على إيقاع سليم مبني على تبادل سلس للمشاعر والاحتياجات والخبرات في الوقت الملائم وبالطريقة المناسبة.

بالمقابل، فهناك أمهات لا يدركن أهمية هذه «الرقصة العاطفية» فتأتي تدخلاتهن في حياة مولودهن صاخبة وبالغة الإثارة مما يزعج الطفل، مثل الأم التي تتكلم مع مولودها بحماس شديد وصوت عال لإثارة انتباهه، أو تلح على لفت بصره إليها عندما ينظر بعيداً عنها أو عندما يشعر بالنعاس، أو مثل الأم التي تبدو غير متورطة كلياً في إعطاء الرعاية، أو غير حساسة لإشارات الطفل، فيجب أن نعلم أن الولد يتهرب من الإثارة البالغة والمؤقتة بشكل عشوائي، كما أنه يتضايق من عدم تورط الأم العاطفي حياله فيتصرف بشكل مقاوم وغاضب تجاهها.

#### رابعاً - ماذا عن طبع الولد؟

يكفي أن نراقب مجموعة من الأطفال الرضّع في ساعاتهم الأولى من الحياة لكي نلاحظ الفروقات الشاسعة بينهم بالنسبة لما نسميه «الطبع» فهذا المولود يبكي بشدة مهما حاولت أن تهدئه، وذاك المولود يهدأ خلال ثوان من محاولتك....

ومن البديهي أن نلاحظ أيضاً أن تصرفات المولود في هذا الإطار تؤثر بشكل بارز على طبيعة علاقة الأم بمولودها ومشاعرها تجاهه. تشير الدراسات اليوم إلى أن لكل طفل، منذ الولادة، نمطه الشخصي في كل من هذه المقاييس: الإيقاع، التأقلم، حدة الانفعال، المثابرة والانتباه.

وعلى الأهل أن يدركوا هذا الأمر منذ البداية، خاصة الأم التي تختبر الأمومة للمرة الأولى، إذا إنها قد تنجرف في مشاعر ذنب عميقة جداً تعتقد من خلالها أنها غير كفوءة في التعامل مع مولودها الجديد إذا تصرف هذا الأخير بشكل لا يتناسب مع توقعاتها، فلكل طفل طبعه الخاص به، يلد معه، وهذا الطبع يؤثر بشكل فادح على طريقة التعامل معه من قبل الآخرين، وبالأخص أمه. فعندما تواجه الأم

مولوداً صعب المزاج، تشعر بأنها هي المسؤولة عن هذه الصعوبة، وتولد عندها مشاعر عديدة أهمها القلق، وقد تتفاقم هذه المشاعر لتتخذ شكل العدوانية تجاه مولودها، إذ إنه بنظرها، يفضح عدم جدارتها وكفاءتها كأم.

لذلك، ينصح علماء النفس الأهل بتعديل أساليب التعامل مع المولود لكي تتكيف مع طبيعه الشخصي. ولقد توصل الباحثون إلى استنتاج يفيد بأننا نستطيع تصنيف الأولاد عامة ضمن ثلاثة مجموعات وصفية هي:

1- الطفل «السهل»: ويتميز بإيجابية المزاج، وانتظام في الوظائف الجسدية، واعتدال في الانفعال، وتأقلم ونظرة إيجابية حيال الظروف الجديدة غير المألوفة.

2- الطفل «الصعب»: ويتميز بمزاج سلبي وهو بطيء في التأقلم والتكيف، وينفر من الظروف الجديدة غير المألوفة.

3- الطفل «بطيء التدفئة»: ويتميز بمزاج سلبي بعض الشيء مع تدنُّ في درجة انفعالاته، وهو بطيء التكيف إذ إنه يحتاج لبعض الوقت لتقبُّل الظروف الجديدة غير المألوفة.

ويخلص الباحثون للقول إن هذه الأطباع الثلاثة تشكل ميولاً غريزية موروثية لا تكتسب من خلال طرق المعاملة المعتمدة من قبل الوالدين، إنما لديها تأثير كبير على تصرفاتها. لكن بالرغم من هذا التأثير، يبقى الأهل في معظم الأحيان قادرين على ضبط الأوضاع، مع أنه في أحيان أخرى، يبدو وكأنهم فقدوا السيطرة، خاصة عندما يتعلق الأمر بطفل «صعب» حيث يفشل الأهل في ضبط مشاعر الانزعاج أو الخيبة، وفي حث الطفل على الاستجابة الإيجابية التي يتوقعونها.

من الجدير ذكره في ختام هذا الموضوع أنه يوجد ترابط وتفاعل بين طبع الولد وطرق معاملته في محيطه بهدف الوصول إلى نتائج إيجابية، وهذا التفاعل يعني أنه يتوجب علينا كأهل خلق البيئة التربوية التي تأخذ بعين الاعتبار طبع الولد كحقيقة بيولوجية، ومساعدة الطفل على الوصول إلى توظيف خصائص طبيعه بشكل متكيف مع المحيط. فإذا وجدنا أنفسنا أمام طفل اجتماعي منفتح على الآخرين، يتوجب علينا توفير المحيط الملائم له، محيط يسمح له بأن يمارس مهاراته الاجتماعية ويصل إلى تطوير صداقات غنية. أما بالنسبة للطفل الخجول المنطوي على ذاته، فلا يجوز أن نفرض عليه محيطاً مكتظاً بالأولاد حيث يشعر بالقلق وعدم الأمان، مثل هذا الطفل يحتاج إلى الهدوء والحث التدريجي على التفاعل مع الآخرين، كما أنه يحتاج إلى مساعدة إنسان راشد للقيام بالنشاطات حتى يتعلم أخذ المبادرات بمفرده.

خلاصة القول هي أن أولادنا يأتون إلى هذا العالم مع ميولهم الخاصة بهم، ويجب أن نتقبلها بدلاً من أن نحاول بالقوة تعديل أطباعهم ضمن إطارات لا تتلائم مع أساليبهم الخاصة. هذا يجعلنا نعتقد أنه لا يجوز لوم الأهل كلياً على مشاكل أولادهم، كما أنه لا يجوز أيضاً تهنتهم كلياً على حسنات أولادهم. ومن جهة أخرى، يجب أن ندرك أن للأهل القدرة على تحويل بيئة تركيز على صعوبات الولد إلى بيئة تستثمر مواطن القوة فيه وبالتالي تساعده على تخطي تحديات النمو.

**خامساً - تسلسل التطور العاطفي من الولادة حتى السنتين**  
إن التسلسل الزمني للتطور العاطفي في الطفولة يستند على ثلاثة عوامل أساسية هي:

- 1 - إن المولود الجديد يلد مع أربعة مشاعر أساسية.
- 2 - إن المشاعر اللاحقة تظهر في أوقات معينة حيث تتخذ قيمة وظيفية بغية التأقلم.
- 3 - إن المشاعر تظهر بالتنسيق مع تطور القدرات الحسية والحركية والذهنية خلال عملية النمو.

أما بالنسبة للمشاعر الأربعة الأساسية التي تلد مع الإنسان فهي الاهتمام والاشمئزاز واليأس والمفاجأة، وهي طبعاً مرتبطة بتطور الطفل نحو الاستقلالية، فالاهتمام مثلاً يثير التطور الفكري، والاشمئزاز يحمي الطفل من تناول مواد سامة، واليأس يساعد الطفل على التعبير عن احتياجاته للرعاية، والمفاجأة تكون الشكل الأولي للدفاع عن الذات.

خلال الأربعة أشهر الأولى تظهر مشاعر الغضب والفرح، فالفرح يبرز بين الشهر الأول والثالث حيث يبدأ المولود بالتمييز بكل وضوح بين الكائن الحي الاجتماعي والأشياء غير الحية. ويبرز الغضب عندما يصبح المولود قادراً على تصرفات إرادية، فيستخدم غضبه للتعبير عن حاجته للحصول على المساعدة للوصول إلى غاية ما.

عند الستة أشهر، يظهر الخوف والخجل ويلعبان دوراً مهماً في تعبير المولود عن خوفه من الغرباء. كما أن للخوف عند الطفل قيمة وظيفية مهمة تحميه من المخاطر، خاصة عندما تتطور قدراته الحركية ويبدأ بالتنقل من مكان إلى مكان، وقد رأينا سابقاً كيف أن الطفل الذي يحب يخشى العلو.

أما بالنسبة للخجل، فنرى بوادره خلال السنة الثانية عندما يبدأ الطفل بتكوين

هوية ذاتية، إذ غالباً ما نلاحظ أن ابن السنة والنصف يخبىء وجهه بين يديه عند ارتكاب خطأ ما! ويعتبر الخجل شعوراً مهماً في مساعدة الأولاد لاكتساب القيم الأخلاقية والتصرفات المقبولة اجتماعياً.

ولعل أهم شيء يجب علينا كأهل أن نتذكره عندما نتكلم عن التطور العاطفي عند أولادنا هو أن أي تعبير يقوم به الطفل يهدف إلى توطيد الاتصال بين الطفل وأمه، فالأم تستجيب أو تعدل استجاباتها حسب ما يبثه الطفل لها من أصوات وتعابير بالوجه وحركات بجسده. إنما المفاجيء في ذلك كله هو أن المولود يستطيع هو أيضاً أن يستجيب ويعدل استجاباته لما تبثه أمه له من تعابير بوجهها وأصوات تصدرها. ففي إحدى الدراسات، طلب من الأم عدم الابتسام لمولودها المبتسم وكانت النتيجة أنه كف عن الابتسام وبدا منزعجاً. في دراسة أخرى، طلب من الأم أن تتصرف أمام مولودها ببطء والتكلم معه بصوت خافت وممل وعدم لمسه، وكانت النتيجة أن المولود باشر بالبكاء مما أشار إلى أنه بدأ يشعر باليأس حيال تصرفاتها هذه.

فمن الواضح جداً إذن أن المولود الجديد يستطيع «قراءة» مشاعر الآخرين حوله مما يجعله حساساً لنوعية التواصل الذي نؤمنه له، ويجعلنا نحاول، قدر الإمكان، تأمين أفضل نوعية ممكنة....

## سادساً - نظريات في حفز التطور العاطفي - الاجتماعي

هناك العديد من النظريات التي تطرح أساليب وتقنيات هدفها حفز التطور العاطفي - الاجتماعي عند المولود الجديد حتى عمر السنتين، استناداً إلى دراسات و اختبارات عديدة في إطار علمي، وفيما يلي تلخيص لأهم هذه النظريات:

1 - يرى «دانيال ستيرن» أن التواصل الناجح مع المولود يرتكز على مهارة الأم في توقيت هذا التواصل، حيث أنها تؤمن له الإثارة التي هو بحاجة إليها عندما يكون جاهزاً لها، إضافة إلى توفير الكمية الملائمة من الإثارات الحسية أو المادية. فمزاج الطفل حين تقدم له الإثارات مهم جداً في تأمين نجاح هذا التواصل، وكذلك مزاج الأم في لحظة التواصل.

2 - يرى «رودولف شافر» أن التواصل الناجح يرتكز على عملية توالي الأدوار بين الطفل وأمه، إذ إن العملية تبدأ باستجابة الأم لحركة تلقائية يقوم بها المولود، ومن المهم أن تتأخر الأم بالإفصاح عن اهتمامها بما يقوم به الطفل، وتحثه بالتالي على القيام بحركة أخرى، فلا يجب أبداً أن توقف تصرفات الطفل بل بالعكس يجب

عليها أن تساعده على تنويع تصرفاته بشكل متصاعد.

ويؤكد «شافر» على أهمية شعور الولد بأنه قادر على إحداث تغيير في محيطه: فإذا أخذنا مثلاً البكاء، هناك تياران متناقضان للعاطفي مع بكاء المولود الجديد. فالتيار الأول المعروف بالتيار «السلوكي» يفيد أن حمل المولود لإيقافه عن البكاء يشجعه على تكرار تصرفه (البكاء) كلما أراد أن يثير انتباه من حوله، وبالتالي يستحسن عدم الاستجابة لبكائه كلما حصل، مما قد يجعل المولود مع الوقت يكف كلياً عن البكاء. إنما الذي فشل التيار «السلوكي» في توضيحه هو أن الطفل، عندما يرى أن بكاءه لن يحدث أي تغيير في محيطه، سوف يلجأ إلى أساليب أخرى للتعبير عن يأسه من عدم استجابة المحيط لاحتياجاته، ولعل أبرز هذه الأساليب تلك التي توحى بالاكتئاب واللامبالاة المرضية. أما التيار الثاني والممثل «بشافر» فيؤكد أن الاستجابة الفورية للمولود عند البكاء تساعده مع انتهاء عامه الأول على تطوير أساليب أخرى متنوعة للتعبير عن احتياجاته.

3 - ترى «ماري إينزورث» أن هناك أربعة عوامل تحفز التطور العاطفي الاجتماعي وهي:

- توفير بيئة تساعد الولد على تطوير شعوره بأن لديه سلطة على ما يحدث في محيطه.



البكاء عند الطفل حتى عامه الثاني من أهم الوسائل لإثارة انتباه محيطه.

- القدرة على التطلع إلى الأمور من خلال عيون الطفل والاستجابة الفورية والملائمة لإشاراته.
  - الاتصال الجسدي المكثف، خاصة خلال السنة الأولى.
  - إقامة شعور استمتاع متبادل بين الأم والطفل.
- 4 - أما «باور» فيحذر من المبالغة في توفير الإثارات للطفل، أي عندما يفرض التواصل بشدة عليه بهدف حثه على الاستجابة عندما لا يكون هو جاهزاً للاستجابة، فعندما يكون الطفل محاطاً بأشخاص كثيرين وأشياء عديدة وخبرات متكاثرة، قد يؤدي ذلك إلى عجز في القدرة على استيعاب كل هذه الأمور، وإلى توتر المزاج وضعف في التركيز والانتباه. ويضيف «باور» إن البيئة المعتدلة الإثارات هي الأفضل بالنسبة للمولود، إذ إنها تسمح لكل مجالات التطور عنده (الحسي، الحركي، الفكري...) أن تنمو بانتظام وتوازن.

### سابعاً - تقنيات فعّالة

- يبدو أن نوع التواصل الاجتماعي الذي تقيمه الأم مع ابنها ابتداءً من الشهر العاشر حتى انتهاء العام الثاني له تأثير كبير على مستقبل الولد الدراسي، كما بينت إحدى الدراسات في جامعة «هارفارد» الأميركية، إذ لوحظ أن الأولاد الذين يتحلون بسلوك إيجابي وعادات درس سليمة ومهارات مدرسية متفوقة، خلال سنواتهم الدراسية، يأتون إجمالاً من بيئة منزلية تعتمد الأم فيها على التقنيات التالية:
- تتحدث كثيراً مع الولد باستعمال لغة واضحة وتعابير سهلة الفهم.
  - تجعل الطفل يشعر بأن ما يقوم به هو بالغ الأهمية.
  - تقدم للطفل أشياء عديدة للعب، وتوفر له ظروفاً متنوعة لاستكشاف المحيط.
  - تجعل الطفل يتوقع أن المساعدة والتشجيع مؤمنان في معظم الأحيان وليس كل الوقت.
  - تشرح، وتوضح وأحياناً تمثل للطفل عندما يطلب المساعدة.
- وأخيراً، يجب أن نذكر في نهاية هذا الفصل أن التواصل الفعّال مع الولد يركز على استجابتنا للتصرفات التلقائية عنده، تصرفات تهدف إلى استكشاف محيطه وبالتالي إلى الوصول إلى استقلالية عاطفية وجسدية أكبر.



## لمحة موجزة عن أهم المحطات التطورية عند الطفل بين الولادة والستين

العمر	التطور الحركي	التطور الاجتماعي والتواصل	التطور الذهني
شهران	- يتحكم في حركة الرأس بحفظه مستقيماً - انعكاس «مورو»	- يصدر أصواتاً من الحنجرة - يبتسم لك - يخف البكاء تدريجياً - يجفل عند الأصوات المفاجئة	- لا يدرك أن الأشياء لها وجود منفصل عنه - يكتشف يديه
4 أشهر	- يجلس مع مساعدة - يلتقط الأشياء - يتقلب على السرير من جانب إلى جانب	- يصدر أصوات لينية (مثل آ.أ.إي...) - يصغي باهتمام إلى الأصوات المحيطة	- يربط الزمن بحاجاته (يتنبأ بوقت الطعام، وقت النوم...)
6 أشهر	- يجلس في الكرسي العالي - ينقل الأشياء من يد إلى أخرى - يلقي ثقله على ساقيه - يبدأ بالديبب - يضع الأشياء في فمه (اليد - القدم)	- يثرثر مستخدماً الأحرف الساكنة (مثل بابابا. تاتاتا...) - يضحك عالياً - يلعب «بقوسة» - ينظر إليك عندما تحدثه	- يبتسم لنفسه في المرآة - يحدق باهتمام إلى الأشياء المثيرة - ينتبه إلى التفاصيل الصغيرة
8 أشهر	- يمد يده لالتقاط الأشياء البعيدة - يقف مع مساعدة - يزحف على الأرض - يجلس من دون سند	- يحدث أنغاماً في صوته - يصدر أصواتاً مكونة من مقطعين لغظيين (أوي - دودا دادي)	- ينتبه إلى حركة الأشياء ويتبعها بنظره - يفهم ويستجيب لبعض الكلمات
10 أشهر	- يحاول الوقوف مستنداً إلى الأثاث	- يستجيب إلى اسمه بكل وضوح - تبرز المخاوف الأولى - يخاف من الغرباء - يبدأ التعلق الشديد بالأم	- يبحث عن الأشياء المخبأة - يربط بين الأحداث (يعرف أنه وقت النزهة عندما يرى أمه ترتدي المعطف ...)
12 شهراً	- يمشي بعض الخطوات من دون مساعدة - يستطيع حمل الكرة - يشرب من الكوب	- يطلق أسماء معينة لبعض الأشخاص (مثل ماما - دادا...) - يقوم بإشارة «باي باي»	- تتطور ذاكرته للأحداث - يبرز حب الاستكشاف والاختبار - يفهم العديد من الكلمات المألوفة
14 شهراً	- يقف بمفرده من دون سند - يمشي بمفرده - يستطيع التقاط الأشياء الصغيرة جداً بإصبعه	- يقلد بعض الكلمات والأصوات - يلعب بمفرده بألعابه لكنه يفضل اللعب مع أمه - يشير إلى احتياجاته من دون اللجوء إلى البكاء - تظهر معالم الخجل	- يشير بالأصبع إلى الشيء عند الطلب (أين...؟) - يستمتع بتصفح الكتب المصورة - يشعر الأهل أنه يفهم كلمات كثيرة في محيطه
18 شهراً	- يفضل استخدام يد على أخرى - يستطيع المشي إلى الوراء - يستطيع المشي حاملاً لعبة كبيرة - يستطيع صعود الدرج مع مساعدة - يستطيع أن يتسلق إلى كرسي والجلوس عليه من دون مساعدة - يخربش على الورقة - يقلب صفحات الكتاب - يلعب بالمكعبات (يبني أبراجاً من ثلاث أو أربع مكعبات)	- يزداد خوفه من الغرباء - يثرثر باستمرار - ينطق أكثر من 4 كلمات ذات معنى محدد (غير «ماما») - يشير إلى عينه وأنفه وفمه عند الطلب	- يقيم علاقات سببية بين الأحداث - يلاحظ الأهل تطور الذاكرة عنده لأحداث عديدة - يلبي تأشيراته سهلة «أغلق الباب» - يزداد حبه لاستكشاف المحيط - يعرف نفسه في المرآة
عامان	- يستطيع استخدام الملعقة بسهولة - يساعد في عملية ارتداء الملابس - يستطيع القفز في مكانه	- يعبر عن حاجاته للتبول أو التبرز - تظهر معالم العدوانية - تظهر معالم الأنانية - ينطق جملاً مكونة من كلمتين	- يفرح كثيراً عند المدح - يستطيع التمييز بين الألوان - يشير إلى الصور أو الأشياء المتشابهة عند الطلب

# 3

## 90 ..... الفصل 1 : التطور الجسدي والحركي

- اولاً : النمو الجسدي بين السنتين والست سنوات
- ثانياً : التطور الحركي بين السنتين والست سنوات
- ثالثاً : أهمية اللعب في حياة الطفل

## 110 ..... الفصل 2 : تطوّر النطق

- اولاً : تطور المفردات
- ثانياً : تطور النطق بين السنتين والست سنوات
- ثالثاً : العوامل المؤثرة في تطوير النطق

## 118 ..... الفصل 3 : التطوّر الذهني

- اولاً : نظرية «بياجية» ومرحلة معرفة ما قبل العمليات الإجرائية
- ثانياً : تأثير «بياجية» على عالم التربية
- ثالثاً : العمليات الذهنية
- رابعا : المهارات الأكاديمية
- خامسا : تأثير الجو المنزلي على التطور الفكري
- سادسا : ماذا عن إختيار دار الحضّانة الملائمة؟

# طفلك

## بين الثانية والسادسة

الفصل 4 : التطور العاطفي والإجتماعي ..... 130

اولاً : نظرية « اريكسون » في التطور الإجتماعي

ثانياً : التطور العاطفي في الطفولة المبكرة

ثالثاً : العلاقات الإجتماعية في الطفولة المبكرة

رابعاً : أسس التطور الأخلاقي

خامساً : العدوانية

سادساً : الغيرة

سابعاً : اساليب التربية المعتمدة

ثامناً : دور الأب في التربية

تاسعاً : بعض المشاكل الشائعة في هذه المرحلة

(الكذب ، السرقة، الخوف)

## التطوّر الجسدي والحركي



غالباً ما نشير إلى المرحلة الثانية والسادسة من عمر الولد بأنها «سنوات اللعب»، فالكل يلاحظ أهمية اللعب في حياة الطفل في هذه المرحلة، وكم أن اللعب يدعم كل جوانب التطور.

### أولاً - النمو الجسدي بين السننتين والست سنوات

#### 1 - التغيرات الجسدية

إن التغيرات الجسدية في هذه المرحلة من الطفولة المبكرة واضحة جداً، فالطفل يزداد طولُه (يكتسب الطفل خلال هذه المرحلة حوالي 7 سنتيمترات بالسنة، علماً بأن هناك ميلاً لأن يكون الذكور أطول من الإناث)، ويزداد وزنه (باكتساب حوالي 5.2 كيلو غرامات بالسنة)، وتصبح حركاته أكثر تنسيقاً، فطريقة المشي التي كانت شبه متوازنة عند السنة والنصف تصبح متوازنة بشكل تام، وترى الأولاد في هذا العمر يركضون ويقفزون ويتسلقون الحواجز بثقة كاملة، كما أن حركاتهم اليدوية (أي مهارة الأيدي) تتطور تدريجياً فتصبح أكثر دقة ومهارة (تركيب المكعبات الصغيرة، استخدام القلم بشكل فعال، استعمال المقص، التلوين الدقيق، الخ)، ولكن لا يجب أن ننسى أن

هناك فروقات فردية يتميز بها كل طفل عن الآخر، وذلك يعود لأسباب وراثية من جهة، بما أن برنامج النمو يوضع لكل إنسان منذ تكوينه الجنيني الأساسي، ومن جهة أخرى، لعوامل متعددة أخرى مثل نوعية التغذية التي يتلقاها الطفل، وعوامل صحية متنوعة.

فبالعودة للحديث عن الأسباب الوراثية، من المهم جداً أخذ موضوع الفروقات العرقية بعين الاعتبار عندما نقيّم طول الطفل، فلا يجوز مثلاً أن نقارن نمو طفل من زائير في أفريقيا بنمو طفل أميركي من الولايات المتحدة!

ومن التغيرات الجسدية المهمة في هذه المرحلة نمو الجهاز العظمي، علماً بأن الأطفال في طفولتهم المبكرة يتحلون بليونة مدهشة، فابن السنتين يستطيع أن

يتخذ وضعيات جسدية معقدة يصعب جداً على إنسان راشد أن يقوم بها إلا إذا خضع لتدريب مكثف في الرياضة أو في رقص «الباليه»! هذا وإذا ضُغَط بشدة على ساق الطفل، تكون النتيجة مجرد رضّة بدلاً من كسر في العظم. ومع الوقت، ينضج الجهاز العظمي، وتصبح العظام أكثر قساوة. لكن يجب أن نذكر أنه إذا كانت طراوة وليونة العظام في الساقين والذراعين تعمل لمصلحة الطفل، فهذا ليس صحيحاً بالنسبة لعظام الرأس: رقة عظام الرأس تعني أن دماغ الطفل ليس محمياً بالشكل الذي هو عليه عند الإنسان الراشد، لذلك يجب على الأهل والمعلمات أن ينبهوا الأولاد دائماً إلى عدم ضرب بعضهم بعضاً على الرأس، وأن يحموا رؤوسهم من الصدمات.

## 2- العوامل التي تؤثر على النمو الجسدي

أ- العوامل الصحية: عندما يكون الطفل خاضعاً لنظام غذائي سليم، لا يتأثر نموه الجسدي بالأمراض المعدية الشائعة خلال الطفولة (مثل الحصبة). وعندما يلتحق هذا



يتحلى الطفل بليونة جسدية مدهشة تسمح له باتخاذ وضعيات وبهلوانيات معقدة.

الطفل بالحضانة، يلاحظ الأهل كم أن ابنهم عرضة لمثل هذه الأمراض، فالعوارض المتعلقة بالجهاز التنفسي شائعة، وكذلك التهابات الأذن، والأنفلونزا، إضافة إلى الأمراض المعدية الأخرى التي تنتقل بسرعة هائلة بين صفوف الروضات. إن جميع هذه الأمراض، مع أنها تؤثر على قابلية الطفل وتضعف قدرة الجسد على استيعاب الطعام، لا تؤثر على نموه الجسدي إذا كان نمط غذائه سليماً ومتلائماً مع احتياجاته في هذا العمر، فالنظام الغذائي الرديء يضعف جهاز المناعة في الجسد ويجعل الطفل أكثر عرضة للأمراض، وبالتالي، عندما تكون صحة الطفل قد ضعفت من جراء تعرضه المتكرر للأمراض، يصبح قابلاً لتطوير تعقيدات ومشاكل عدة عندما يلتقط مرضاً آخر.

يجب على الأهل أن يدركوا أن السنة الأولى التي سوف يمضيها ابنهم في الحضانة



يجب حفز عادات غذائية سليمة منذ الطفولة.

ستشهد مخاطر صحية عديدة، مع أن نسبة أمراض الطفولة المعدية تدنت بشكل هائل خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك نتيجة توفير اللقاحات للرضع والأطفال الصغار. هذا وإبقاء الطفل بعيداً عن الحضانة لأسباب صحية محضة، أي لتجنب التقاط الأمراض، يحرم الطفل من فرص التطور الإيجابية التي تقدمها له الحضانة، كما أن ذلك يعني تأجيل الأمر للسنوات اللاحقة، إذ إن السنوات الأولى في المدرسة هي أيضاً تشهد نسبة عالية من الأمراض المعدية.

ب - التغذية: يلاحظ الأهل تغيراً مفاجئاً في نوعية

وكمية الطعام التي يتناولها ابنهم خلال هذه المرحلة: فعدد كبير من الأولاد الذين كانوا، في سنتهم الأولى، يتذوقون أي شيء ويأكلون كل ما يقدم لهم دون متاعب، أصبحوا الآن، في عامهم الثالث أو الرابع، يظهرون عناداً في كل ما يتعلق بالطعام، فهم يرفضون بشدة تذوق أي شيء جديد، ويصرون على تناول نفس المأكولات يوماً بعد يوم، ليلاً ونهاراً، ويفضلون الحلويات والأطعمة غير المغذية على أي شيء آخر، وتصبح مسألة إطعامهم مشكلة كبيرة جداً في البيت قد تتفاقم لتصل، في بعض الأحيان، إلى خلق مشاكل صحية معقدة عند الولد، إضافة إلى اضطرابات نفسية عنده كما عند أمه مما يؤثر سلباً على جو الأسرة ككل.

### نصائح لحفز عادات غذائية سليمة منذ الطفولة

- يجب تأمين مجموعة من الأطعمة المغذية المتوازنة للولد، ذات ألوان جميلة، ومقدمة بشكل جذاب (طريقة ترتيبها في الطبق، اختيار صحون وأوان ذات رسومات وأشكال جذابة له).
- اعتماد نظام روتيني لتناول الوجبات الأساسية (أوقات محددة يستطيع الولد توقعها) ووجبات خفيفة عديدة خلال النهار، فمعدة الطفل صغيرة وقد لا يشبع من ثلاث وجبات رئيسية فقط لتلبية احتياجات طاقته.
- تقديم الطعام بكميات صغيرة تسمح للولد أن يطلب المزيد، فعندما نضع كمية كبيرة من الطعام في طبقه، قد يثير ذلك اشمزازه حتى قبل أن يتذوق!
- تقديم الصنف الجديد في مطلع الوجبة حيث تكون قابلية الطفل لا تزال منفتحة لتقبل أي نوع من الطعام. ومن الأفضل ترك الولد يراقب أمه وهي تتذوق الطعام بلذة واستمتاع. فإذا رفضه، فليقبل هذا الرفض دون أي انفعال، ثم يقدم الصنف مجدداً خلال وجبة أخرى، فكلما أصبح صنف الطعام مألوف، كان تقبله أسهل.
- خلق جو محادثة لطيف وممتع خلال جلسة تناول الطعام، فالجو المريح يساعد الطفل على تطوير نظرة إيجابية تجاه الأطعمة الصحية.
- تجنب الاحتكاك الكلامي حول المأكولات غير المرغوب بها أو حول قواعد المائدة.
- تجنب استعمال الطعام كحافز، فعندما نقول للطفل « ستحصل على الحلوى عندما تنهي صحنك » قد يعني ذلك له أنه يجب أن يأكل مهما كان مستوى جوعه وأن الحلوى هي أفضل جزء في الوجبة.
- تجنب تقديم الحلوى كجزء أساسي في وجبة الطعام.

هذا ونلاحظ أنه يوجد في كل بيت طفل أو أكثر لا يأكل مثلما نريده أن يأكل، وتشهد كل عائلة في فترات تناول الفطور أو الغداء، حول مائدة السفرة، شجارات ومعارك بين طفل عنيد ينظر إلى صحنه المملآن باشمئزاز وغضب، وأم تتوتر وتوبخ وتهدد، وفي النهاية تيأس، ويتشجج جو البيت وتتحول فترة تناول الطعام من متعة عائلية إلى أزمة صاخبة يتأثر بها جميع أفراد الأسرة.

يجب على الأهل أن يدركوا أنه من الطبيعي أن نلاحظ تدنياً في قابلية الولد في هذه المرحلة من عمره، وذلك متعلق بالتباطؤ في النمو العام. وبما أن كمية السعرات الحرارية تتدنى، فإن الأولاد يحتاجون إلى نظام غذائي سليم، فهم يحتاجون إلى نفس الأغذية التي تكوّن غذاء الإنسان الراشد، إنما بكميات أقل. هذا وينصح إختصاصيو التغذية بالحليب ومشتقاته، واللحم أو بدائله (البيض، الحبوب، وزبدة الفستق)، والخضر والفاكهة، والخبز. ومع أن هناك حاجة للدهنيات والزيوت والملح، يجب تخفيف استخدامها في الطهي بسبب ارتباطها بأمراض الضغط المرتفع والقلب عند الراشدين. كذلك يجب تجنب المأكولات الغنية بالسكر لأنها تسبب مشاكل عديدة في صحة الأسنان. أما الحلويات والمشروبات الغازية فقيمتها الغذائية ضئيلة جداً وتقلل قابلية الطفل للمأكولات الصحية.

إن النظام الغذائي الصحي في هذه المرحلة يجب أن يؤمن للطفل الفيتامينات والمعادن الأساسية لنمو جسدي سليم، فالحديد مهم لمكافحة ضعف الدم، والكالسيوم يدعم نمو العظم والأسنان، والفيتامين "C" يسهل امتصاص الحديد والفيتامين "A" يحافظ على صحة العيون والبشرة وعدد من الأعضاء الداخلية. هذه هي أهم النواقص الغذائية التي نشهدها في مرحلة الطفولة هذه، فيبدو الولد شاحب اللون، ضعيف البنية ومتعباً دائماً، كما أنها تؤثر على طوله.

ج - حوادث الطفولة: تحتل حوادث الطفولة المرتبة الأولى في لائحة المخاطر التي تواجه صحة الأطفال، وتشمل: حوادث السير، والغرق، والتسمم، والاحتراق، وبلع أشياء غريبة، والسقوط من الأماكن المرتفعة.

وتشكل هذه الحوادث ما يقارب الـ 50% من نسبة الوفيات خلال مرحلتي الطفولة المبكرة والوسطى. ففي الولايات المتحدة الأميركية، يتوفى حوالي عشرين ألف طفل سنوياً نتيجة هذه الحوادث.

ما هي العوامل المرتبطة بحوادث الطفولة؟

- هناك فروقات فردية تميز كل ولد عن الآخر، فالذكور إجمالاً أكثر عرضة لمثل هذه الحوادث من الإناث، وذلك يعود لمستوى نشاطهم الأعلى واستعدادهم الأكبر



للمخاطرة خلال اللعب. وطبع الطفل أيضا له تأثيره إذ نجد نسبة أعلى من الحوادث عند الأولاد الذين يتميزون بطبع حاد (قلة الانتباه، سرعة الانفعال، مزاج سلبي)، فمثل هؤلاء الأولاد يتدمرون من استخدام حزام الأمان داخل السيارة، ويرفضون التمسك بيد الأم عند قطع الطريق، ويخالفون إرشادات والديهم باستمرار...

- هناك أيضا عوامل اجتماعية اقتصادية من شأنها زيادة تعرض الطفل للمخاطر، فالفقر والمستوى الثقافي المتدني مرتبطان بالوفيات نتيجة الحوادث، إذ يعاني الوالدان من ضغوطات متعددة يوميا تجعلهما يهملان مراقبة تصرفات صغارهم، وتتميز بيوت هذه العائلات بالضجيج والازدحام و الفلتان السلوكي، ويمضي الأولاد معظم وقتهم في الشوارع.

- هناك حاجة ماسة لبرامج وقائية للمحافظة على سلامة الأطفال في كل المجتمعات، وفيما يلي بعض الإرشادات للأهالي لتجنب الحوادث المؤلمة التي، إن لم تؤد إلى الوفاة، قد تؤثر بشدة على صحة الولد ونموه الجسدي من جراء تسببها بعطب ما للدماغ أو إعاقة جسدية تشله لمدى الحياة.

### نصائح وقائية للمحافظة على سلامة أولادنا:

- ضرورة استخدام المقعد الخاص بالأطفال الصغار أو حزام الأمان داخل السيارة.
- عند اختيار ملابس الأولاد، التأكد من أنها مصنوعة من مواد غير قابلة للاحتراق.
- تركيب حواجز أمانة على شرفات ونوافذ المنازل خاصة في الطوابق العليا من الأبنية.
- خلال فصل الصيف، يجب عدم ترك الطفل الصغير في بركة السباحة بمفرده ولو لبضع ثوان.
- التأكد من أن المكان المخصص للعب، داخل البيت وخارجه، خال من أي مخاطر (مثلا: أشياء صغيرة يستطيع الطفل ابتلاعها، أشياء حادة، مواد سامة..).
- وضع جميع أنواع الأدوية (ويشمل ذلك قوارير الفيتامينات للأطفال التي غالب ما تكون جذابة للولد) في مكان بعيد عن متناول الطفل.
- حفظ كل أدوات ومساحيق التنظيف في أماكن مقفلة لا يستطيع الطفل أن يصل إليها.
- إذا كان هناك أسلحة داخل المنزل، التأكد من أنها محفوظة في مكان غير مألوف للولد ومقفل، وعدم التعاطي بها أمام أعين الأولاد.

## 3 - نمو الدماغ خلال الطفولة

بين عمر السنتين والست سنوات يكتسب الأطفال مجموعة كبيرة ومتنوعة من المهارات (التنسيق الجسدي، الإدراك الحسي، الانتباه، الذاكرة، النطق، التفكير المنطقي والخيال) ويتفق جميع الباحثين على أهمية نضوج الدماغ في المساهمة في تطوير هذه المهارات.

فالدماغ مكوّن من جزئين ولكل جزء وظائفه المستقلة والخاصة به، وتشير الدراسات إلى أن لكل جزء نمط تطور مختلف، فالجزء الأيسر يشهد قفزة تطويرية هامة بين الثلاث والست سنوات ليثبت بعد ذلك، بينما يشهد الجزء الأيمن تطوراً بطيئاً خلال مرحلتَي الطفولة المبكرة والوسطى مع ميل ضئيل إلى قفزة بين الثماني والعشر سنوات.

وتساعد هذه الدراسات في تفسير العديد من الأمور المتعلقة بالتطور الفكري عند الإنسان، فنفهم مثلاً لماذا تنمو مهارات النطق (الواقعة في الجزء الأيسر من الدماغ) بسرعة مدهشة خلال الطفولة المبكرة، بينما تأخذ المهارات الإدراكية المكانية مثل تمييز الأشكال الهندسية أو الرسم أو معرفة الاتجاهات (الواقعة في الجزء الأيمن من الدماغ) نمطاً تدريجياً في النمو يمتد ما بين الطفولة والمراهقة.

وفيما يلي شرح مبسّط لتكوين الدماغ وكيفية تطور وظائفه العديدة:

إن المناطق المختلفة في الدماغ تنمو بأنماط مختلفة، لذلك رأى الباحثون أن أفضل وأسهل طريقة لوصف مثل هذه الأنماط هي تقسيم الدماغ إلى ثلاث مناطق: من الأسفل إلى الأعلى ومن الأمام إلى الخلف ومن اليسار إلى اليمين.

- من الأسفل إلى الأعلى: يحصل النمو إجمالاً من أسفل الدماغ إلى أعلاه، فالجزء الأسفل من الدماغ أي جذع الدماغ (brainstem) ينظّم الوظائف الجسدية الضرورية للحياة، مثل التنفّس، كما أنه يضبط الانعكاسات اللاإرادية الأساسية التي شرحناها في الفصل الأول من هذا الكتاب. والجزء الأعلى من الدماغ أي القشرة الدماغية (cortex) مكوّن من طبقات عديدة من العصبونات (neurons) التي تغلف الجزء الأكبر من الدماغ وهو المخ (cerebrum)، فالمخ والقشرة الدماغية معاً يضبطان الحركات الإرادية والإدراك وعمليات ذهنية أخرى، مثل الذاكرة والتفكير المنطقي والنطق.

إن الوظائف الجسدية عند الولادة تكون تحت سيطرة المناطق السفلى للدماغ، ويبدو أنه لا يوجد دور للقشرة الدماغية في التأثير على تصرفات المولود الجديد.

تدريجياً، وخلال الأشهر الأولى من الحياة، تبدأ القشرة الدماغية بالسيطرة على الإدراك والحركة فيتعدّد سلوك المولود ويصبح أكثر إرادياً.

– من الأمام إلى الخلف: وتتناول هذه المنطقة الأقسام المختلفة للقشرة الدماغية. فأول قسم ينضج هو القسم الذي يقع أمام الشقّ المركزي الذي يفصل الدماغ إلى جزئين، وهذا القسم مسؤول عن الجهاز الحركي للجسد، أي حركات الذراعين والساقين واليدين والقدمين والشفيتين وكل أعضاء الجسد التي يمكن أن تتحرك إرادياً.

بعد ذلك ينضج قسم الإدراك الحسي الذي يقع خلف الشق المركزي، وهذا القسم يشمل كل ما هو متعلق بحاسة اللمس.

يلي ذلك نضوج الباحة البصرية في القشرة الدماغية التي تقع في الدماغ الخلفي، ومعها الباحة السمعية في القشرة الدماغية التي تقع تحت القسمين الحركي والحسي. أما القسم الأخير في النضوج فهو قسم التطابق، وهو مسؤول عن الوظائف الضرورية للذاكرة والتفكير المنطقي والنطق.

– من اليسار إلى اليمين: إن المخ مؤلف من جزئين متساويين يفصلهما الشق المركزي الذي تكلمنا عنه أعلاه. ومع أنهما متشابهان، إنما لكل جزء وظائفه الخاصة، ويتحكم كل جزء بجانب واحد من الجسد، كما أنه يتلقى المعلومات الحسية من هذا الجانب، وهو الجانب المقابل له.

ولقد بيّن العلماء أن الخلايا العصبية من الجانب الأيمن من الجسد تجتاز جذع الدماغ وتتصل بالخلايا من الجزء الأيسر من الدماغ، وبالمقابل، فالخلايا العصبية في الجانب الأيسر من الجسد تتصل بالخلايا في الجزء الأيمن من الدماغ. ولكل جزء مجالات اختصاصية، فنعلم مثلاً أن الجزء الأيسر يتحكم بعملية النطق والمهارات اللغوية (اللغة المحكية والمكتوبة)، بينما يسيطر الجزء الأيمن على عمليات الإدراك البصري والمكاني والموسيقى والانفعالات العاطفية، حتى أن بعض الكتاب ذهبوا بعيداً في تحاليلهم ليقترحوا أن الجزء الأيسر هو جزء المنطق بينما الجزء الأيمن هو جزء الإبداع والحدس، إنما هذه الاقتراحات غير مؤكدة علمياً.

إن جزئي الدماغ يتواصلان في الأمور التي تتطلب التفكير المنطقي وحل المسائل المعقدة، وهذا التواصل يحصل من خلال مجموعة خيوط عصبية تدعى الجسم الثفني (corpus callosum) التي تصل هذين الجزئين معاً.

لذلك، فمع أن عملية النطق تقع تحت سيطرة الجزء الأيسر، فإن الجزء الأيمن مهم

جداً بتحكمه بالوظائف اللغوية مثل الاستيعاب الشفهي.

وبالرغم من هذا التواصل فإن تخصص كل من جزئي الدماغ في مجالات معينة مهم جداً لفهم مسألة تفضيل يد على أخرى عند الأولاد، أو تفضيل جانب من الجسد على الآخر عند الإنسان عموماً.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: في أي عمر يحصل هذا التخصص الدماغي؟ نعلم اليوم أن جزئي الدماغ يباشران تخصصهما منذ الولادة، لكن هذه العملية لا تكتمل إلا لاحقاً.

فتفضيل يد على أخرى يعني أن جزءاً من الدماغ - ويسمى الجزء المسيطر - لديه قدرة أكبر على تنفيذ النشاطات الحركية من الجزء الثاني، وكذلك فإن مهارات أخرى يقع تحديدها ضمن هذا الجزء تكون متفوقة. هذا وعند الأشخاص الذين يستخدمون اليد اليمنى (وهم يكونون 90% من الناس)، يقع النطق والتحكم باليد في الجزء الأيسر من الدماغ. أما بالنسبة للأشخاص الذين يستخدمون اليد اليسرى (وهم يشكلون 10% من الناس) فيكون النطق مشتركاً بين جزئي الدماغ بدلاً من أن يكون في جزء واحد، مما يعني أن دماغ هؤلاء الأشخاص يميل إلى أن يكون أقل تخصص من دماغ الأشخاص الذين يستخدمون اليد اليمنى، لذلك نرى أن عدداً كبيراً من العُسر يستخدمون كلتا اليدين، وبالرغم من أنهم يفضلون استخدام اليد اليسرى، فهم يلجؤون إلى اليد اليمنى في بعض الوظائف (مثل الطفل الذي يرسم ويأكل ويبكل الأزرار باليد اليسرى إنما يقذف الكرة باليد اليمنى).

هذا التفضيل ليد على أخرى يبدو وراثياً، فدراسات عديدة تؤكد تواجد هذا التيار الوراثي ضمن العائلات. ويبرز هذا التفضيل باكراً في التطور: فعند الخمسة أو ستة أشهر، يبدأ الطفل بتناول الأشياء مستخدماً يده اليمنى أكثر من يده اليسرى، ولكن هذا التفضيل لا يتثبت قبل السنيتين، ويزداد خلال الطفولة المبكرة والطفولة المتوسطة. وهذا يعني بالتالي أن تخصص جزئي الدماغ يزداد أيضاً خلال هذه المرحلة من النمو.

في ختام حديثنا عن تطور الدماغ، لا بد من أن نتكلم قليلاً عن الطفل الأعسر: إن معظم الأطفال في السنة الأولى وحتى السنة الثانية يستخدمون كلتا اليدين من دون تمييز، وتفضيل يد على أخرى يتطور تدريجياً، ومن غير المألوف أن نجد طفلاً في الشهر السادس أو الثامن يفضل يداً على أخرى.

وبما أن العسر ينتقل وراثياً، كما رأينا سابقاً، فإنه يعتبر خاصة من خصائص الإنسان التي يلد بها، لذلك نرى أن الأهل الذين يحاولون إرغام الطفل الأعسر على

استعمال يده اليمنى يرتكبون خطأ فادحاً، لأن ذلك يسبب حالة ضياع للدماغ كونه مبرمجاً بالأساس للعمل ضمن إطار مختلف.

وأخيراً نذكرُ القراء بأن عدداً من الدراسات أكدت أن مثل هذه المحاولات من قبل الأهل قد أثرت سلباً على الولد، وفي بعض الأحيان أدت إلى ظهور التأتأة، فكما رأينا سابقاً، أن الجزء الدماغى المسيطر على النطق متصل بالجزء الذي يتحكم باليد التي يفضلها الإنسان، لذلك فإن إرغام الطفل الأعسر على استعمال اليد اليمنى يحدث بلبلة في العملية العصبية للنطق.

### ثانياً - التطور الحركي بين السنتين والست سنوات

أفضل طريقة لفهم التطور الحركي عند الأولاد هي مراقبة مجموعة من الأطفال تمتد أعمارهم بين الثانية والسادسة وهم يلعبون في ملعب مدرسة أو في حديقة عامة. فسنلاحظ فروقات عديدة، ليس فقط في الهيكلية الجسدية والحجم، بل أيضاً في قدرة التنسيق بين الحركات الرئيسية والحركات الدقيقة: فابن السنتين، مع أن طريقة مشيه أصبحت متوازنة بشكل مقبول، فهو لا يزال يركض بصعوبة، ويحتاج إلى مساعدة في ركوب الدراجة ذات الدواليب الثلاثة، ويوقع الكثير من الطعام وهو يحاول إيصال الملعقة إلى فمه. كذلك فهو لا يستطيع أن يرتدي ملابسه بمفرده، وعند صعوده أو



ركوب الدراجة من المهارات الجسدية التي تتطور بشكل ملحوظ مع الزمن.

نزوله على الدرج، يضع القدمين في آن واحد بدلاً من تبديل قدميه على الدرج... أما ابن الخامسة أو السادسة فهو يركض بسهولة، ويستخدم كل أدوات اللعب بدقة، ويركب الدراجة بمهارة، ويستعمل الملاعقة والشوكة بثقة، وإذا أوقع الطعام أثناء الوجبة فيكون ذلك نتيجة عدم الانتباه وليس بسبب عدم التنسيق الحركي. كذلك فهو يستطيع ارتداء ملابسه بمفرده، وصعود الدرج مبدلاً قدميه، وتسلق الحواجز بمهارة.

هذا ويشهد نمو الطفل بين الثانية والسادسة من العمر تفجراً للمهارات الحركية، وما هذا التفجر إلا تكملة طبيعية للمهارات التي اكتسبها الطفل في السنتين الماضيتين من حياته، فقد ازداد حجمه واكتمل نمو جهازه العصبي المركزي، ونتيجة تفاعله المستمر مع بيئة توفر له تحديات جديدة، بدأ الآن بدمج المهارات المكتسبة سابقاً ضمن أنظمة نشاطية أكثر تعقيداً.

مما لا شك فيه أن الأطفال، خلال هذه المرحلة من حياتهم، يتحلون بطاقة حركية هائلة، مترافقة برغبة شديدة في اكتشاف محيطهم باستخدام قدراتهم ومهاراتهم الجديدة.

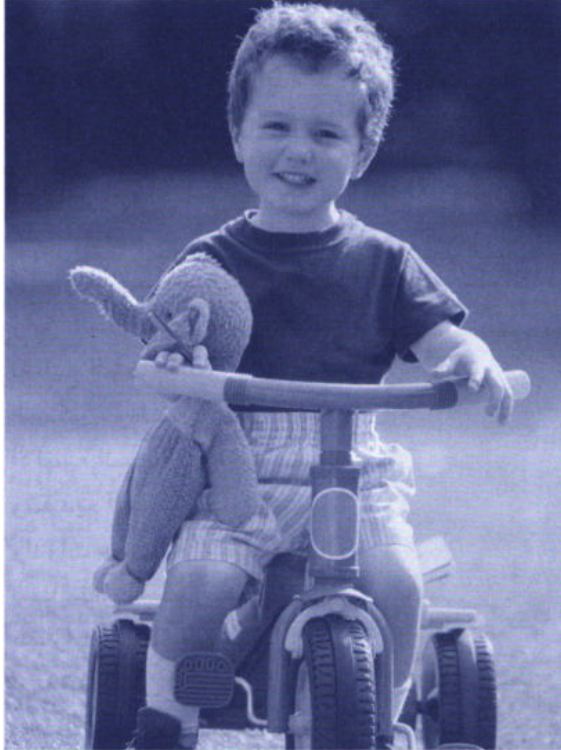
### 1 - التطور الحركي الرئيسي

إن اكتمال التوازن الجسدي عند الطفل يمهد الطريق لاكتسابه مهارات جديدة تشمل العضلات الرئيسية.

المشي والركض: عندما تطلب من طفل في الثانية أن يركض نحوك، لا ترى ركضاً صحيحاً بل مشياً سريعاً، فقبل العام الثاني، يتخبط الطفل في مشيه وكأن قدميه ملتصقتان بالأرض، ولا تتأرجح الذراعان بشكل مضاد للساقين مما يسمح بالتوازن. خلال العام الثالث، تتأرجح الذراع اليسرى إلى الأمام عندما تخطو القدم اليمنى، ومن هذه المرحلة وصاعداً لا يحتاج الطفل إلى ترك مسافة كبيرة بين ساقيه للمحافظة على وضعية الوقوف، وبالتالي تقترب القدمان إحداهما من الأخرى وتتجهان إلى الأمام في مشية متوازنة. هذا وتدرجياً يتمكن الطفل من الركض رافعاً كلا قدميه عن الأرض، ويتعلم أنه إذا ضغط بقوة وإلى الأعلى على ركبتيه يستطيع أن يركض بشكل أسرع. إضافة إلى المشي والركض، يصل ابن الرابعة إلى إتقان العديد من الحركات من خلال اختياره الشخصي وتقليد مهارات الآخرين، فيقفز على قدم واحدة أو على قدمين، ويهرول، ويتسلق الأدراج والحواجز، ويتدلى من الأماكن المرتفعة، ويتأرجح ويتزحلق، الخ...

القفز: عندما يحاول ابن السنتين أن يقفز بعدما راقب الآخرين يقفزون غالباً ما

يفشل، وهذا الفشل يعود لكونه يفتقر إلى الحركة الجسدية الملائمة للقفز، وافتقار عضلات الساق للقوة اللازمة للتغلب على وزن الطفل. وتأتي القفزات الأولى في حوالي العام الثاني، غير دقيقة لتصبح أكثر إتقاناً في عمر الثلاث سنوات والنصف، حيث يستطيع أن يقفز إلى الأمام وإلى الوراء، ولكنه لا يزال يجهل كيف يستعمل ذراعيه لإعطاء البعد لقفزته، ويجب الانتظار حتى عمر الست سنوات لنرى الطفل



اكتمال التوازن الجسدي يساعد الطفل في اكتساب مهارات جديدة مثل ركوب الدراجة.

يدفع بذراعيه إلى الأمام وهو يقفز لزيادة مسافة القفز. وكلما كبر الطفل، أي عند بلوغه الست سنوات، نرى أنه يتفنن أكثر فأكثر بطريقة القفز، إذ يصبح سريعاً ومهماً وأكثر حذراً، فيتوقى الوقوع على الأرض وإذا وقع تكون وقعاته متقنة وأقل أذى من قبل.

ألعاب الكرة: إذا طلبت من طفل في الثانية من عمره أن يرمي لك الكرة، تلاحظ أنه يقف جامداً أمامك ويرمي الكرة ببسط ذراعيه إلى الأمام دون أن يحرك أي عضو آخر من جسده. وتأتي عملية التقاط الكرة بنفس الجمود، إذ إن الطفل

يمد يديه بتشنج ويستعملهما كوسيلة وحيدة لالتقاطها. أما ابن الثالثة، فنلاحظ أنه يحرك مرفقيه لالتقاط الكرة على صدره، وإذا وصلت إليه الكرة بسرعة قد يقع أرضاً إذ إنه لا يملك بعد القدرة على التكيف مع السرعة. تدريجياً، يبدأ الولد بتحريك الكتفين والصدر والساقين لدعم الرمي والالتقاط، فمثلاً، في الخامسة من عمره يخطو الطفل لرمي الكرة مما يجعلها أسرع وأبعد، وفي عامه السادس، يستطيع أن يقدر موقع هبوط الكرة، فتراه يخطو إلى الأمام أو إلى الخلف أو إلى جانبه،

ويلتقطها بيديه وأصابعه وكأن جسده بكامله يستوعب قوة الكرة.

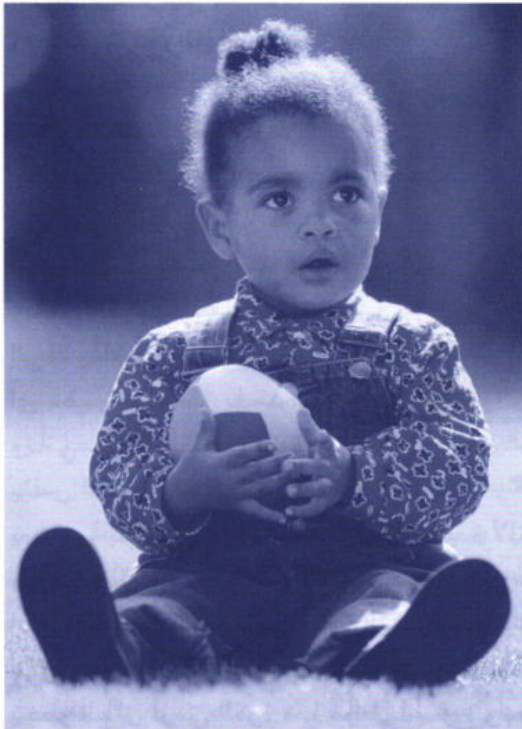
## 2 - التطور الحركي الدقيق

كما في التطور الحركي الرئيسي، تشهد القدرات الحركية الدقيقة قفزة نوعية مهمة خلال هذه المرحلة من النمو، فمع تحسن السيطرة على الأيدي والأصابع، ترى الأولاد بين السنتين والست سنوات يركبون الألعاب بعضها بالبعض الآخر، ويبنون الأشكال المتنوعة بمكعبات صغيرة، ويقصون و يلصقون ويصنعون العقود من الخرز. أما الأهل، فيلاحظون التطور الحركي الدقيق في مجالين أساسيين هما:

أ - قدرة الطفل المتزايدة على الاعتناء بنفسه.

ب - نوعية الرسومات التي يقوم بها الأولاد.

مهارات الحياة اليومية: خلال الطفولة وبشكل تدريجي يصبح الأطفال أكثر اتكالاً على أنفسهم في ارتداء الملابس وفي تناول الطعام. فابن الثلاث سنوات يستطيع ارتياد المرحاض بمفرده، وابن الخمس سنوات يرتدي ملابسه مع إشراف قليل،



تكون عملية رمي الكرة والتقاطها متشعبة في عمر السنتين

وابن الست سنوات يتمكن من تقطيع الطعام اللين باستخدام السكين، وطبعاً فإن توفير الألبسة السهلة مع أزرار كبيرة وتقديم الطعام بأوان كبيرة وأدوات سهلة الاستعمال يساعدان الطفل على إتقان مهارات الحياة اليومية. ويجب أن نتذكر أن الطفل الصغير يفخر باستقلاليته، واستقلالته هذه تجعل الحياة أسهل بالنسبة لوالديه، إنما يجب على الوالدين أن يتحلى بالصبر حيال هذه القدرات، فغالباً ما يكون الطفل تعباً أو متسرعاً فيلجأ إلى تناول الطعام بأصابعه، أو يرتدي حذاءه الأيمن في قدمه اليسرى!



وأكثر هذه المهارات تعقيداً هي ربط الحذاء التي يكتسبها الأولاد إجمالاً في عمر السبع سنوات، فالنجاح في هذه العملية يتطلب مدى انتباه أطول وذاكرة قوية وسلسلة متجانسة من الحركات، ومهارة يدوية دقيقة، إذ إن ربط الحذاء يدل على تنسيق وظيفي بين التطور الذهني والتطور الحركي.

مهارات الرسم والكتابة: قبل العام الثالث تأتي خريشات الطفل على شكل تعبير حركي أكثر من كونها صوراً، لكن الطفل في كثير من الأحيان، يصر على إعطاء عنوان لهذه الخريشات من منظاره هو. إن التطور المهم في مهارة الرسم يظهر عندما يبدأ الولد باستخدام الخطوط لتحديد ما يرسمه، وهذا التطور يجعله يرسم بين العام الثالث والعام الرابع أول «رسم رجل». الطفل الصغير لا يهتم بواقعية رسمه ولكن كلما كبر عمره، وكلما تطورت مهاراته الحركية الدقيقة، أصبح يبغى الواقعية من خلال رسوماته، وبالتالي تصبح رسوماته أكثر تعقيداً مع بعض التشوهات التي تزول عند العام التاسع حيث يصبح الطفل قادراً على تمثيل البعد والعمق في رسوماته. أما بالنسبة للكتابة، فالطفل الصغير يتدرج من خلال الاختبار بالأشكال والخطوط، وملاحظة الأحرف في كتب القصص، ومراقبة كتابات الآخرين إلى أن يصبح قادراً على كتابة الأحرف ومن ثم الكلمات. وغالباً ما تكون الكلمة الأولى التي يكتبها الطفل هي اسمه، ونرى هذا الإنجاز في حوالي العام الخامس حيث يتمكن من كتابة اسمه بوضوح كافٍ يستطيع الآخرون قراءته. والقدرة على الكتابة ليست فقط عملية تطور للمقدرات الحركية الدقيقة، إنما هي تعتمد أيضاً على تطور الإدراك ككل، وهذا الإدراك بدوره يرتكز على نضوج الدماغ الذي يؤمن بالتنسيق بين الجهاز البصري والجهاز الحركي. إن هذا النضوج هو الذي يجعل ابن الرابعة والسادسة ينسخ الأشكال الهندسية وأحرف الألفباء بشكل صحيح نوعاً ما. لكن كلنا نرى أيضاً أن ابن السادسة يقوم بالعديد من الأخطاء في كتابة الأحرف، خاصة الأحرف المتشابهة شكلياً، والمفروض أن تزول مثل هذه الأخطاء في العام الثامن، لأن الولد في هذا العمر يصبح قادراً على القراءة، وعلى تمييز الفروقات بين هذه الأحرف المتشابهة.

### 3 - تفاعل العوامل الوراثية والنضوج والبيئة

إن التطور الحركي يتأثر كثيراً بالتكوين الجسدي للإنسان: فطفل طويل القامة وممشوق يتحرك بسرعة أكبر من طفل قصير القامة وبدين، ويكتسب مهارات في وقت أبكر. مثلاً، الطفل الأميركي المتحدر من جذور إفريقية يركض ويقفز بمهارة أكبر من الطفل الأميركي المتحدر من جذور أوروبية.

كذلك فإن الجنس يلعب دوراً مهماً في التطور الحركي خلال الطفولة: فالذكور يتفوقون على الإناث في المهارات التي تتطلب القوة (مثلاً، في عامهم الخامس، الذكور يقفزون مسافة أعلى ويركضون بشكل أسرع ويرمون الكرة أبعد من الإناث في نفس العمر). بالمقابل، تتفوق الإناث على الذكور في المهارات الحركية الدقيقة، وفي بعض المهارات الرئيسية التي تتطلب مزيجاً من التوازن وتحريك القدمين (مثل القفز على الحبل).

إن هذه الفروقات الجنسية ناتجة عن فروقات بيولوجية في تكوين الذكور والإناث، كما تشير إليه جميع الدراسات في هذا المجال (مثلاً، هناك نسبة عضل أكبر عند الصبيان، كما أن ذراعهم أطول من ذراعي الفتيات).

إضافة إلى ذلك، لا يجب أن ننسى أن البيئة التي يتعرع فيها الولد لها تأثير كبير على نوعية النشاطات التي سوف يبرع فيها. فنحن نعلم أن الأهل غالباً ما يشجعون أولادهم الذكور على اللعب «العنيف» (ألعاب الكرة، والمصارعة، الخ...) بينما تشجع الفتيات على اللعب «الهادئ»، داخل المنزل، مثل اللعب بالدمى، أو الخياطة، أو حتى مساعدة الأم في الأشغال المنزلية من طبخ وتنظيف، الخ....

هناك سؤال مهم يطرح نفسه حول دور التدريب المبكر في حياة الطفل على تطوره الحركي، والجواب يأتي على لسان أحد الاختصاصيين البارزين في علم النفس التطوري في الولايات المتحدة الأمريكية «أرنولد غيزيل» Arnold Gesell الذي وضع دراسة شاملة لتطور الأطفال حسب الأعمار المختلفة، وأهم ما ورد في هذه الدراسة هو أن التطور في المراحل الأولى من الحياة يتبع برنامجاً داخلياً أطلق عليه «غيزيل» اسم النضوج، فعندما يظهر عند الطفل تصرف ما لا علاقة له بتدريب مسبق، نقول إن هذا التصرف ناتج عن نضوج الطفل، أي جهوزية الطفل لمثل هذا التصرف. إن هذه النظرية التي برزت في الثلاثينيات من القرن الماضي حثت عدداً هائلاً من علماء النفس واختصاصيي التربية على إجراء اختبارات متنوعة لمعرفة ما إذا كان للتدريب تأثير فعال على التطور في الطفولة بالرغم من هذا البرنامج الداخلي.

ولقد وصلت اليوم جميع هذه الأبحاث العلمية إلى الاستنتاج بأن الطفل، أي طفل كان، لن يتعلم مهارة أو سلوكاً ما إلا إذا كان قد أنجز النمو الجسدي والعصبي المطلوب لهذه المهارة أو هذا السلوك، أي إن هناك حالة من الجهوزية الداخلية التي يجب أن تتم قبل أن يستطيع الطفل اكتساب المهارات الحركية والفكرية والاجتماعية. لكن هذا لا يعني أن لمحيط الطفل دوراً غير مهم في عملية التطور، إذ

إن جميع الدراسات اليوم تؤكد أن البيئة التي يتربص فيها الطفل تلعب دوراً فعالاً في كل مجالات التطور، خاصة فيما يتعلق بالتطور الحركي: فتوفير الخبرات الملائمة للطفل في حياته اليومية من مسافة شاسعة للركض، وكرة للرمي والقذف، وحبال للتسلق، وحواجز للقفز، جميعها تشجع الطفل على تدريب مهاراته الحركية والخوض في تحديات تجعله يتعلم مهارات جديدة في كل لحظة من النهار. إنما نصرّ على التعبير «خبرات ملائمة» ونعني بذلك أن الخبرات والأدوات والتجهيزات التي يتعرض لها الطفل في حياته اليومية يجب أن تكون متناسبة مع عمره وقدراته الجسدية، لأن الهدف هو التدريب والتطوير، وليس التحدي غير المعقول الذي قد يولد الشعور بالإحباط والفشل، وبالتالي قد يعيق عملية التطور بدلاً من حفزها إلى الأمام.

### ثالثاً - أهمية اللعب في حياة الطفل



لقد أشرنا في مستهل هذا الفصل إلى أن المرحلة بين السنتين والست سنوات تسمى أيضاً «سنوات اللعب»، نظراً لأهمية اللعب في حياة الطفل الصغير، وفيما يلي نورد شرحاً مفصلاً لطبيعة ووظيفة اللعب.

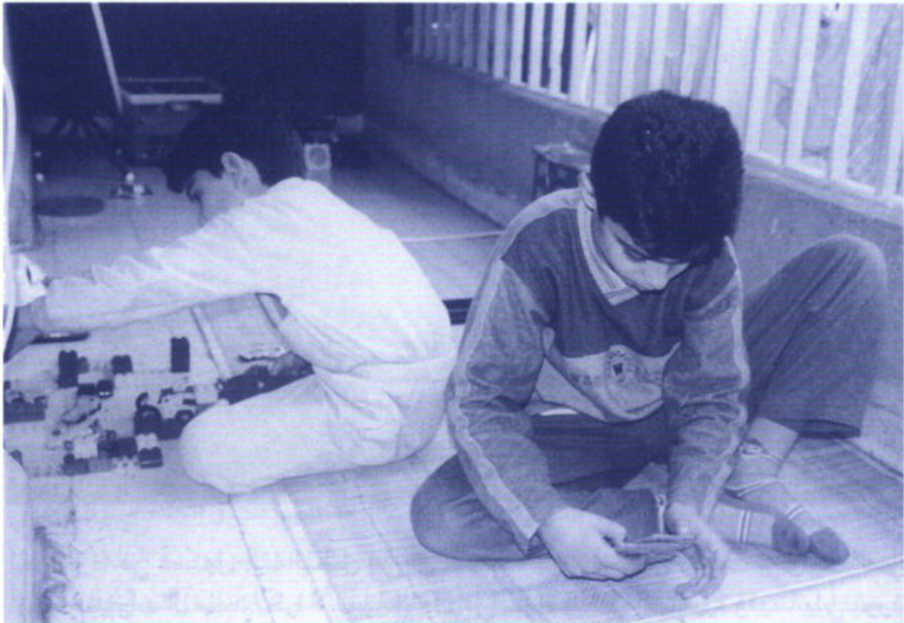
## 1 - تلخيص لأهم النظريات:

رأى «غروس» أن للعب قيمة وظيفية تسمح للولد أن يتأقلم مع محيطه؛ فمن خلال اللعب، يتدرب الطفل على اكتساب مهارات الإنسان الراشد، وبنفس الوقت يختبر محيطه. بمعنى أن اللعب يؤدي إلى تطوير القدرات الحسية والحركية، ومن ثم القدرة على بناء علاقات اجتماعية مع الآخرين.

أما «فرويد» فقد منح اللعب قيمة نفسية عميقة، بحيث أن الطفل، من خلال اللعب، يستطيع تنفيذ كل رغباته «الممنوعة»، وبذلك يتخلص من الشعور بالقهر والإحباط الناتجين عن عدم استطاعته الحصول على كل شيء يريده في الحياة اليومية، فاللعب يحل له هذه المشكلة! هذا ومن خلال اللعب أيضاً، يستطيع الطفل أن يتفاعل مع ظرف مخيف أو سلبي ويستوعبه في مخيلته، مما يجعل الظرف أقل وطأة وأكثر تقبلاً في حياته الواقعية.

ولقد طور «أريكسون» نظرة «فرويد» هذه لجعل اللعب عملية علاجية عند الأطفال، إذ إنه رأى أن اللعب يسمح للطفل أن يعبر عن مشاعره ومشاكله ومخاوفه، وأن يعوض عن الخبرات المؤلمة باستيعابها ومن ثم التحرر منها.

أما «بياجية» فتجاهل البعد النفسي العلاجي للعب، ورأى أن اللعب جزء لا يتجزأ



اللعب جزء لا يتجزأ من عملية التطور الذهني الطبيعي.

من عملية التطور الذهني الطبيعي عند الأطفال: ففي السنة الأولى، يأتي اللعب على شكل تدريب وتكرار لبعض النشاطات التي يجد فيها المولود لذة معينة، ومن ثم يصبح اللعب رمزياً، أي إن الطفل يمنح الأشياء المحيطة به صفات مختلفة من مخيلته (فالمكنسة تصبح حصاناً، والكرسي تصبح سيارة)، ومن خلال التدريب والتكرار واللعب الرمزي تتطور القدرات الفكرية وتزداد المفاهيم، ويبرز في العام الثالث اللعب المبنى على التمثيل (يمثل الطفل أنه يشرب العصير من كوب وهمي)، وهذا النوع من اللعب يترافق مع قدرة الطفل على إنشاء علاقة مع طفل آخر أو أكثر، فينتقل من اللعب المنفرد إلى اللعب الثنائي.

## 2. مراحل اللعب التطورية

هناك مرحلتان أساسيتان من تطور اللعب في حياة أولادنا: المرحلة البدائية، والمرحلة المتقدمة. ولكل من المرحلتين خصائصها المتجانسة مع عمر الطفل وقدراته العقلية والجسدية معاً.

لعب الأدوار: في المرحلة البدائية يحاول الطفل فهم وتحديد نفسه (أنا الماما، أنا البابا...) بينما الولد في المرحلة المتقدمة يحاول شمل الآخرين في تحديده للعالم حوله (أنا الشرطي، أنا الطبيب...)

كذلك، وضمن الدور الذي يلعبه، يكون توزيع وظائف الدور محدوداً بالنسبة للطفل في المرحلة البدائية (أنا الماما، أهز الطفل لينام)، بينما تتنوع الوظائف بالنسبة للولد في المرحلة المتقدمة (أنا الماما، أطعم الطفل، أحضر العشاء، أنظف البيت.....).

الاستعانة بالأدوات: في المرحلة البدائية، يلجأ الطفل لأدوات واقعية (هاتف حقيقي) أو شبه واقعية (هاتف للعب)، وتكون طريقة تفاعله مع الأدوات بسيطة ومحدودة (يمثل أنه يطلب الرقم ويقول «ألو»)، أما الولد في المرحلة المتقدمة، فيستعين بأي شيء من محيطه (فرشاة الشعر تصبح الهاتف) أو حتى يضطر لعدم الاستعانة بأي شيء (يضع يده على أذنه وكأنها سماعة الهاتف)، وتأتي طريقة تلاعبه بالأدوات المبتكرة هذه على شكل سيناريو معقد (يتصل بالطبيب لأن الطفل مريض).

عنصر الوقت: يمضي الطفل في المرحلة البدائية وقتاً ضئيلاً في لعبة معينة (يأخذ الهاتف، ويمثل أنه يطلب الرقم، ثم يذهب إلى أداة أخرى)، بينما الولد في المرحلة المتقدمة يركز على نفس اللعبة لفترة قد تتجاوز العشر دقائق (يقلد حواراً هاتفياً مع شخص وهمي على الخط الآخر).

العلاقة مع الآخر: يكون اللعب في المرحلة البدائية منفرداً، أي إن الطفل يتصرف خلال اللعب وكأنه لا يبالي بوجود شخص آخر معه، وقد تتكون العلاقة مع الآخر إذا كان هناك حاجة لشيء ما أو لإنسان ما لإنجاز اللعبة بشكل يرضيه. أما الولد في المرحلة المتقدمة، فيتشارك مع الآخرين في لعبه، إذ إنه يدرك أهمية اللعب الجماعي ومتعته بالنسبة لإنجاز اللعبة على الشكل الذي يرضيه.

التواصل اللغوي: في المرحلة البدائية، ينحصر التواصل اللغوي مع الآخرين بالأشياء وكيفية استخدامها، أما في المرحلة المتقدمة، فيتطور التواصل ليأخذ شكل الحوار حول موضوع اللعبة، أو حول الأدوار التي يلعبها المشتركون.

### 3 - منافع اللعب

هناك إجماع في الرأي لدى علماء النفس حول منافع اللعب في حياة الطفل بحيث أنه ينمي المهارات الاجتماعية والخيال والإبداع. هذا والمطلوب من الأهل توفير بيئة لأولادهم تشجع جميع أنواع اللعب،



بعض الألعاب تعزّز اللعب المنفرد وهي مهمة لتطوير القدرات الفكرية.

فالتنوع مهم جداً: بعض الألعاب المتوفرة في السوق تعزز اللعب المنفرد (مثل ألعاب التركيب أو الأقلام والمعجون) بينما ألعاب أخرى تهدف إلى بلورة القدرات الاجتماعية (مثل السيارات أو أواني الطبخ للدمى).

يجب على الأهل أن يتذكروا أيضاً أن معظم الألعاب التي نشتريها لأولادنا من شأنها تعزيز الهوية الجنسية عند الطفل، وتأدية الدور الجنسي المتوقع منه (الدمى وملابسها وأدوات الطبخ الصغيره للبنات، مقابل السيارات والطائرات والأسلحة للصبيان). هذه الممارسات من قبلنا تتناقض مع طبيعة الإنسان إذ إن الدراسات أشارت إلى أن الأطفال، خلال مراحل النمو المبكرة، ينجذبون إلى جميع أنواع اللعب، ذكورية أم أنثوية، بغض النظر عن جنسهم. لذلك فلا يجب على الأهل أن يقلقوا عندما يرون طفلتهم، في الرابعة من عمرها تلعب بسيارات أخيها بحماس، أو عندما يلاحظون أن ابنهم، في الثالثة من عمره يحتضن دمية أخته بحنان ويحاول إطعامها بالملعقة!

وأخيراً، ننصح الأهل بتوفير مواد «حرة» لأولادهم يستطيعون استخدامها كما يروق لهم ولأهداف متعددة، فعلب الكرتون الكبيرة التي قد يتكرم بها البقال تصلح لابتكار أجمل سيارة أو أسرع سفينة فضائية يستخدمها أولادكم لأيام وأسابيع من اللعب الخيالي!

## تطوّر النطق



إن للنطق علاقة وطيدة مع كل التغيرات الفكرية الحاصلة في هذه المرحلة، فمن خلال النطق يعبر الطفل عن العديد من المهارات الفكرية. بين السنتين والست سنوات، تصبح إنجازات الطفل في مجال النطق مذهلة ومدهشة، بحيث أن الأخطاء اللغوية التي يقوم بها تدل على أن إتقان اللغة يتم بطريقة ناشطة ومنظمة وذات قواعد ثابتة.

## أولاً - تطوّر المفردات

بغض النظر عن ارتياد الحضانة أم عدم ارتيادها، فالتطور الفكري عند الطفل بين السنتين والست سنوات حاصل من دون أي تعليم رسمي من قبل المحيط.

بعدما ينطق الطفل كلمته الأولى، تزداد مفرداته ببطء، فعند عيد ميلاده الثاني، تكون ذخيرته حوالي الخمسين كلمة، مما يعني أنه يكتسب منذ عامه الأول، كلمة جديدة واحدة كل أسبوع. ويفسر الخبراء هذا النمط البطيء بأنه يعود إلى أن الطفل بين عامه الأول وعامه الثاني يكون منهمكاً بالعديد من الأمور التي تلهيه عن اكتساب كلمات جديدة، فهو يتعلم المشي ويستكشف محيطه وكل ما فيه،



ويكتشف العالم والناس حوله. ولكن ابتداءً من العام الثاني وبعدهما يتقن الطفل المهارات الحركية الأساسية، تتسارع عملية اكتساب الكلمات الجديدة بحيث أنها تبلغ، في العام السادس، حوالي الأربعة عشر ألف كلمة، مما يعني أنه يكتسب ما يقارب التسع كلمات باليوم. والمذهل في ذلك كله هو أن هذا الإنجاز يتم من دون تعليم، أي إن الطفل يلتقط معظم كلماته تلقائياً من جراء تعرضه لها عبر الحوارات التي يسمعها أو القصص المحكية له أو من مسلسلات التلفزيون وبرامج الأولاد، وحتى الإعلانات الدعائية...

من الواضح أن بعض الكلمات يلتقطها الأولاد ويحفظونها بسرعة وسهولة أكبر من كلمات أخرى، ففي البدء يتكون قاموسهم بمعظمه من كلمات ترمز إلى أشياء ملموسة في محيط الطفل التي تم استكشافها ذهنياً وحسياً وحركياً. بعد ذلك، تُكتسب الكلمات التي تدل على أفعال (ذهب، ركض، كسر...)، وكذلك الكلمات التي تدل على أوصاف للأشياء (أحمر، مستدير، حزين...). لكن يجب أن نتذكر أن الأوصاف المربوطة ببعضها من حيث المعنى، يأخذ الولد وقتاً أطول لاكتسابها: مثلاً، يستطيع الطفل في عامه الثاني أن يستوعب الفرق بين «صغير» و«كبير»، لكن لا يستطيع التمييز بين «طويل» و«قصير». فبالنسبة له، صغير يعني قصير، وكبير يعني طويل..... هذا الإنجاز يتم في العام الرابع تقريباً. وفي الإطار نفسه، نرى أن الطفل يكتسب مفهومي «الآن» و«لاحقاً» قبل مفاهيم «الأمس، اليوم، غداً».

إن الأولاد يكتسبون الكلمات الجديدة باعتمادهم مبدأ الفروقات، أي إنهم يعتقدون أن كل كلمة يسمعونها فريدة من نوعها وفي معناها، فكلما يتعرض الطفل لمفردات جديدة، يحاول فوراً فهمها من خلال مقارنته لها بالمفردات التي يعرفها ويألفها، ولهذا السبب نرى أن الأولاد غالباً ما يرفضون كلمتين تعنيان نفس الشيء، ويصرّون على استخدامهما في ظروف خاصة بكل واحدة منهما.

هذا ونلاحظ أيضاً أن الأطفال في هذه المرحلة يستعملون الكلمات الجديدة بإبداع، ومنذ عامهم الثاني، نراهم يبتكرون تعابير طريفة جداً، مستخدمين ما لديهم من مفردات للتعبير عن مفاهيم جديدة لا يمتلكون بعد الكلمة المناسبة لها. فالسنوات الأولى من حياة أولادنا تعج بأمثلة عن هذه الابتكارات المذهلة، مثل الطفلة التي تقول «فستان البيت» وتعني البيجاما، أو «علبة الأقلام» وتعني المقلمة..... إضافة إلى ذلك، يبدأ الأولاد منذ عامهم الثالث بتأليف أمثلة حاذقة للتعبير عن مشاعر معينة، مثل الطفل الذي يقول «هناك قطار في بطني» عندما يسمع قرقرة معدته عند الجوع، أو «الغيوم تبكي» ليتحدث عن المطر. نلاحظ في هذه

الأمثلة كيف استعان الطفل بمقارنات حسية مرتكزة على معلومات ملموسة، ومع تطور قاموس مفرداته ومعرفته للعالم حوله، سوف يتمكن الولد من فهم أمثلة مجردة (مثل «الأصدقاء مثل المغنطيس») واستخدامها في حياته اليومية.

### ثانياً - تطور النطق بين السننتين والست سنوات

في عامه الثاني يبدأ الطفل بتكوين جمل من كلمتين. ومع أن قاموس مفرداته محدود جداً، فهو يستطيع استخدام هذه الكلمات بطرق مختلفة للتعبير عن أمور عديدة، مثل وصف الشيء أو مكان الشيء أو حالة الشيء من خلال مقاطع كلامية محدودة خالية من أدوات الربط، مثل الظرف والضمير وحرف العطف، الخ.

فعندما يقول الطفل «أكل غاتو» قد يعني ذلك في كلام الإنسان الراشد «إنني أتناول قطعة لذيذة من الحلوى في طبق جميل!» وحتى لو كرر الإنسان الراشد جملته المعقدة مراراً أمام الطفل لحثه على قولها، فقد يعود الطفل وينطق بكل بساطة «أكل غاتو!». نفهم إذن من خلال هذا المثل لماذا سميت المرحلة بين السننتين والثلاث سنوات «مرحلة الكلمتين»، إذ إن الطفل أصبح الآن قادراً على تكوين جمل من كلمتين تعبران عن علاقات أساسية مثل: اسم وفعل، أو اسم ومكان، أو اسم وصفة. في هذا العمر أيضاً يبدأ الطفل باستعمال النفي (ما بدي)، وبطرح الأسئلة («شو هيدا؟، شو بدي؟، وين راج؟»).

تدريجياً ومن خلال هذه المرحلة، يزداد قاموس المفردات عنده، فالطفل يكتسب حوالي العشرين كلمة في الأسبوع وفي عامه الثالث يستطيع التكلم بالجمع وعن الماضي والمستقبل.

بين السنة الثالثة والسنة الرابعة، تصبح جمل الولد أكثر تعقيداً، فهو الآن يستعمل ثلاث كلمات أو أكثر (اسم وفعل وشيء، أو اسم وفعل ومكان، الخ...)، ويتكلم عن الماضي بوضوح أكبر، ويتفنن باستعمال الجمع، ويستعمل التعابير المكانية بمهارة (مثل: فوق، تحت، على، الخ...). إنما نلاحظ العديد من الأخطاء اللغوية وأهمها التعميم حيث يحاول الطفل تطبيق قاعدة لغوية معينة في ظروف مختلفة، مثل قوله «برنيطات» بدلاً من «برانيط» و«كرسيات» بدلاً من «كراس».

إن مثل هذه الأخطاء تشير إلى قدرة الولد على استيعاب قواعد اللغة تلقائياً بمجرد السماع إلى اللغة المحكية حوله، والمذهل في الأمر هو أن تصحيح الأخطاء يكون أيضاً تلقائياً، وكأن الطفل يفهم تدريجياً أن هناك قواعد منتظمة للغة، وأن

هذه القواعد تحتوي على استثناءات تتطلب تعابير مختلفة.

ومع اقتراب العام الرابع تزداد جمل الطفل تعقيداً فهو الآن يستطيع ربط جمل مع بعضها للتعبير عن السببية، مثلاً: «إذا بتطلع لفوق بتوقع» أو «إذا بتضربني بشكيك عند الماما».

بين السنة الرابعة والسنة الخامسة، تبرز أسئلة «كيف» و«لماذا» و«متى»، ويستطيع الطفل ربط الجمل مع بعضها باستعمال واو العطف.

في هذا العمر أيضاً، يستطيع أن يروي قصة صغيرة (مع بعض الأخطاء في التسلسل الزمني للأحداث)، ويتقن العدّ من 1 إلى 10، علماً بأن بعض الأولاد في هذا العمر يستطيعون العد إلى ما فوق العشرين.

في المرحلة الأخيرة، أي بين الخامسة والسادسة، نلاحظ أن هناك فرقاً قليلاً جداً بين القواعد التي يستخدمها الطفل في كلامه والقواعد التي يستخدمها الراشدون في كلامهم. فابن السادسة يصبح محاوراً فعالاً، يستطيع إيصال أفكاره بوضوح إلى الغير، إذ تراه يستمع بانتباه إلى حديث الآخر، وينتظر دوره للتكلم، ويبقى ضمن الموضوع الواحد للحديث، فيبدو لنا وكأن الطفل أتقن كل هذه الجوانب الوظيفية العملية للنطق.

ويجب أن نذكر أن إتقان مهارات الحوار الفعال يكتسب على مدى السنوات الأولى من الحياة من خلال احتكاكه اليومي بالمراجع المحيطة به، أكان ذلك في البيت أم في الحضانة.

فمثلاً نعرف أن ابن الرابعة يدرك أن عليه تعديل نطقه ليتلاءم مع خصائص مستمعيه أو محاوريه (العمر والجنس والموقع الاجتماعي). كذلك فإن الطفل يعدل نوعية نطقه حسب هوية المحاور، فمثلاً إذا كان الشخص غريباً عنه، يستعمل الولد تعابير أكثر وضوحاً معه بالمقارنة مع تواجده مع شخص مألوف له (عضو من الأسرة، أو أصدقاء في اللعب) حيث لا يقوم بمجهود إضافي لإيصال أفكاره.

### ثالثاً - العوامل المؤثرة في تطوير النطق

كل ولد يختلف عن غيره من حيث عدد الكلمات التي يعرفها ويستعملها، فبعض الأولاد يتحلون بقاموس غني بالمفردات ويستعملونها في حديثهم اليومي بالشكل الملائم، والبعض الآخر يملكون قاموساً محدوداً من الكلمات السهلة.

إن لهذه الفروقات عند الأولاد تأثيراً بالغ الأهمية فيما يتعلق بإنجازاتهم

المستقبلية. ويجب أن نتذكر أن معظم اختبارات الذكاء تشمل أجزاء مهمة من شأنها تقييم نطق الولد. لذلك، فإن الطفل ذا القاموس الفقير والمحدود قد يعتبر أقل ذكاء من طفل ذي قاموس كبير وغني.

حاول العديد من الخبراء في مجال النطق معرفة العوامل المؤثرة التي تقف وراء فقر أو غنى قاموس المفردات، واستطاعوا أن يستخلصوا سبعة أنواع من الخبرات التي تؤثر على تطوير النطق عند الأولاد، وفيما يلي عرض لهذه الخبرات.

#### 1 - كمية الكلام الموجه مباشرة إلى الولد خلال الطفولة

تشير الدراسات في هذا الإطار إن نطق التوأم يتطور ببطء مقارنة بنطق الطفل الوحيد، وهذا الفرق يعود إلى كون أم التوأم منهكة في توزيع نفسها بين الولدين، وبالتالي تأتي كمية كلامها الموجه مباشرة إلى كل واحد منهما أقل من كلام الأم التي تستغل كل لحظة من وجودها مع ابنها الوحيد في إقامة حوار مباشر معه.

#### 2 - تسمية الأشياء التي نعرضها أمام الطفل

عندما يحرص الوالدان على تسمية كل شيء يقع تحت انتباه الطفل أو كل شيء يتفاعل معه الطفل في المحيط، يصبح الطفل أكثر انتبهاً لهذا الشيء، وبالتالي تصبح عملية قرن الشيء باسمه أسهل.

#### 3 - التحوار مع الولد خلال اللعب

إن تسمية الأشياء للولد غير كافية، إذ يجب على الوالدين أن يشاركا ابنهما في اللعب. فالكلام الذي يستعمله الوالدان خلال اللعب هو كلام سهل مكون من جمل قصيرة واضحة وقريبة جداً من قدرة الاستيعاب عند الطفل. إضافة إلى هذا، فالكلام خلال اللعب يسمح للطفل أن يدرك الربط بين الشيء والظرف المحيط به، مما يساعد لاحقاً على استخدام هذه الظروف نفسها كمرجعية لتفهم معنى الكلمات ولإدخال كلمات جديدة تتلاءم مع الظرف نفسه.

#### 4 - القراءة للطفل

من المهم جداً أن نعرض الكتب المصورة أمام المولود، وأن نتحدث عن كل صورة معه، وأن ننتظر ردة فعله لهذه الخبرة «المرئية - السمعية»، وقد تأتي ردات فعله على شكل إصدار إشارات صوتية هي تعبير عن ابتهاجه واهتمامه بما نقدمه له. بهذه الطريقة، ومنذ الشهر الخامس بعد الولادة، نحمله على التبادل «الحواري» مع الآخرين، ونجعله يقدر القيمة الاتصالية للنطق، كما أننا ندرجه على قواعد الحوار السليمة وهي الاستماع إلى الآخر ومن ثم «إبداء الرأي»؛ وكلما كبر الولد وأصبح

ينطق ببعض الكلمات يجب على الأهل أن يستعملوا الكتب المصورة لإغناء قاموس المفردات لديه، فيعلمون الطفل، من خلال الصور الجذابة، أسماء جديدة لأشياء عديدة قد يراها أو لا يراها في محيطه اليومي (مثل الطفل الذي يعرف كلمة «أخطبوط» في شهره الثامن عشر!). إن العديد من الدراسات تشير إلى أن الأطفال الذين يتعرضون لمثل هذا النوع من القراءة مع الأهل منذ الصغر ينطقون بشكل أسرع، وتكون جملهم أطول وأكثر تعقيداً من جمل الأطفال الذين لم يخضعوا لمثل هذه التجربة. المهم هنا هو أن عملية القراءة هذه يجب أن تكون ناشطة، وأن تهدف إلى حث الطفل على طرح الأسئلة حول ما يراه أمامه من صور وألوان وأشكال، وما نعينه هو أنه يجب أن يكون الطفل مشاركاً فعلاً بدلاً من أن يكون مجرد مستمع مستقبل للمعلومات. فكلما استجاب الأهل لأسئلة الطفل، ازدادت وتعمقت مفرداته. ولكن يجب التذكير هنا بأهمية التأكد من أن اكتساب كل هذه الكلمات الجديدة يتلاءم مع قدرة الاستيعاب عند الولد، فلا ينفع أن نحشور رأس الطفل بعدد هائل من المفردات من دون أن يكون استوعب معناها، وربطها بظروف معينة تساعد على ترسيخها في ذاكرته لمدى بعيد.



يلعب الأخوة دوراً مهماً في تعزيز حب المطالعة.

## 5- تشجيع الولد على استعمال الكلمات الصحيحة

يأتي هذا التشجيع من خلال الحفز الإيجابي من قبل الأهل لكل الكلمات التي ينطقها الطفل بالشكل السليم، وعندما تتميز الكلمة بقيمة وظيفية فعلية يعبر الطفل من خلالها عن احتياجاته أو مشاعره. إن هذا التشجيع يكون تلقائياً ضمن التبادل الكلامي اليومي في حياة الطفل، مثل الأم التي تعطي كوب الماء لطفلها عندما ينطق كلمة «ماء»، ولا تستجيب له عندما يقول «مبو». في هذا الإطار، ينصح الخبراء الأهل بأن لا يستجيبوا لمطالب الطفل عندما يلجأ هذا الأخير للإشارة، بل أن يشجعوه على التعبير عن احتياجاته مستخدماً الإصدارات الصوتية في البدء، ولاحقاً الكلمة الصحيحة للشئ الذي يريده.



يتعلم الطفل من خلال الكتب المصورة أسماء وكلمات جديدة وهكذا تتطور مفرداته.

## 6 - مشاهدة التلفزيون

هناك تأثير إيجابي للبرامج التلفزيونية المخصصة للأطفال على تطوير النطق، فالولد يتعلم الكثير من المفردات الجديدة من خلال مشاهدته مثل هذه البرامج، لكن لا يجب على الأهل أن يتكلموا على التلفزيون لتنمية قدرات ابنهم اللغوية، إذ يجب أن نتذكر أنه لا بديل للتبادل الكلامي مع الأشخاص الآخرين، فالتلفزيون لا يوفر للولد هذه الفرصة للاحتكاك والحوار والتواصل التي تجعل الطفل عنصراً ناشطاً وفعالاً في عملية اكتساب النطق.

## 7 - القراءة المستقلة

إن قدرة الطفل على القراءة هي أفضل الطرق لتنمية النطق عنده، فمن خلال القراءة يتعرض الولد إلى أشكال كلامية أكثر تعقيداً من الكلام الذي يستخدمه أهله معه في حواراتهم اليومية. من خلال القراءة، يتعلم الولد كلمات أكثر دقة من الكلمات التي يسمعاها من الكبار خلال حديثهم معه، وهي كلمات إجمالاً سهلة إذ إن الأهل يبسطون كلامهم عن قصد حين يتكلمون مع الصغار لكي يتأكدوا من استيعابهم لما يقال لهم.

## التطور الذهني

## 3



إذا أردنا أن نلخص طريقة تفكير الأولاد بين السنتين والست سنوات من عمرهم، نستطيع أن نقول إنها مزيج معقد من المنطق والخيال والاستنتاج الخاطيء، ويدهشنا، من ناحية، النضوج والإبداع في الكثير من أفعالهم وأقوالهم، ولكن من ناحية أخرى، يبدو أن تفكيرهم محدود وجامد... ومقارنة بالمرحلة السابقة من التطور التي تميّزت بالتفكير الحسي - الحركي، نلاحظ أن الولد يدخل الآن في مرحلة تتميز بازدياد هائل للنشاطات التمثيلية والرمزية، إذ أصبح قادراً على تشخيص وتحليل العالم بفكره.

### أولاً - نظرية "بياجيه" ومرحلة المعرفة ما قبل العمليات الإجرائية

يعتقد «بياجيه»، العالم السويسري الشهير الذي سبق وتحدثنا عنه في القسم السابق، في إطار التطور الذهني، أن جهاز التفكير المنطقي عند الطفل لا يكتمل قبل عمر السبع سنوات، كما أنه يرى أن النطق هو الوسيلة الأكثر مرونة للتحليل الفكري، فمن خلال فصله بين الفكرة



والفعل، يسمح النطق للمعرفة أن تكون أكثر فعالية مما كانت عليه في المرحلة السابقة، أي المرحلة الحسية - الحركية، إذ إننا عندما نفكر بالكلمات، نتعدى حدود الإدراك المؤقت، فنستطيع أن نتعامل مع الماضي والحاضر والمستقبل بنفس الوقت، وخلق صور شاملة ومتشابكة للواقع.

لكن «بياجيه» لم ير في النطق الدافع الأساسي لتطوير المعرفة عند الإنسان، بل أصراً على أن النشاط الحسي - الحركي بين الولادة والسنيتين هو الذي يضع الأسس للنطق كما للعب والتقليد عند الأطفال، وبالفعل نلاحظ أن هناك تنوعاً هائلاً للإنجازات الفكرية عند الأولاد قبل استعمالهم للكلمات!

وقد أطلق «بياجيه» على المرحلة بين السنيتين والسبع سنوات اسم «مرحلة ما قبل العمليات الإجرائية»: فالعملية الإجرائية هي عملية ذهنية تخضع لقوانين منطوية. وخلال هذه المرحلة من عمره، يبدو الطفل غير قادر على القيام بمثل هذه العمليات، إذ إن تفكيره محدود، ومتشنج، ومتأثر بشدة بمظاهر الأشياء الخارجية الملموسة، لذلك يبدو تفكير هذا الطفل للإنسان الراشد مشوهاً وغير صحيح.

ما هي أهم خصائص التفكير عند الطفل بين السنيتين والست سنوات؟

1 - الأنوية: يتميز التفكير في هذه المرحلة بالأنوية، ويتمحور كل تفكير الطفل على ذاته، إنما هذا لا يعني الأنانية، بل إن الطفل لا يدرك إمكانية وجود وجهات نظر مختلفة عن وجهة نظره هو، ويعتقد أن كل الناس تفكر وتشعر مثله هو. إن هذا التفكير الأنوي يجعل الولد يغير الحقائق لتتناسب مع إدراكه وذوقه وظروفه.

كذلك، يرى «بياجيه» أن لغة الطفل بين السنيتين والثماني سنوات هي لغة أنوية، أي إنها خاصة به، ويكونها الطفل بحسب قوانينه الشخصية: فعندما يبدأ الطفل بتكوين الجمل وذلك في عمر السنيتين، يستعمل إشارات نصف لفظية، حسب قول «بياجيه»، أي إن ما يقوله الولد لا يعني للمستمع أي شيء، بل إن معناه خاص به فقط. هذا وإن الولد غالباً ما يستعمل نفس الكلمة ليعني عدة أشياء أو مفاهيم (مثلاً: إذا رأى امرأة غريبة تقوم بحركة اعتاد الطفل أن يرى أمه تقوم بها، يسمي هذه المرأة «ماما»).

هذا وفي عمر السنيتين تبدأ الصورة الذهنية بالظهور عند الطفل، وهو يعبر عنها بالكلام معتقداً أن الآخرين يمكنهم رؤية الصورة نفسها، لذلك لا يحاول التعبير بوضوح، فهو يعتقد أن الصورة الموجودة في ذهنه هي نفسها عند الآخرين.

تتميز اللغة الأنوية بعدم التبادل اللغوي بين متحدثين، ويقوم الطفل في هذه

المرحلة بما يسميه «بياجيه» الحوار الجماعي، حيث يتكلم الطفل كأنه يتكلم مع مجموعة أولاد، بينما يكون الحوار مع نفسه، يختبر فيه الطفل كلمات جديدة وألفاظاً غريبة من دون معرفة معانيها ومن دون انتظار أي جواب!

في عمر الثلاث سنوات، ينشط تفكير الولد بصورة أسرع من قدرته على الكلام، فيرتبك ويحاول أن يلحق بتفكيره، فيسرع بالكلام ويتمتم ويتأتى أحياناً. لكنه مع امتلاكه اللغة ومع مساعدة الأهل بإظهار التفهم وطول البال، تتساوى سرعة الكلام مع سرعة التفكير تدريجياً. فمن المهم جداً خلال هذه المرحلة أن نعطي الطفل الوقت الكافي ليبر عن أفكاره بنفسه وأن لا نعبر بدلاً عنه.

في عمر الأربع سنوات، يردّد الطفل كلمات يسمعا من الراشدين من دون أن يفهمها ليختبر معناها مع الآخرين، وهو خلال اختبارات هذه، يخرع كلمات ويلعب بها، وهذا مما يزيد مهاراته اللغوية تدريجياً. لكن الإنجاز المهم في هذه المرحلة هو البدء باستعمال القواعد، وفهم ما يقال له إذا كان يعرف الكلمات التي يسمعا.

إن الأنوية التي تميّز لغة الأولاد خلال هذه المرحلة من النمو تؤدي إلى التفكير المتشجّع وغير المنطقي الذي يمتازون به. وتدرجياً، يصل ابن السبع سنوات إلى مراجعة طريقة تفكيره لكي تتلاءم مع محيطه الجسدي والاجتماعي.

2 - عدم القدرة على المحافظة: المحافظة هي الإدراك أن خصائص الشيء تبقى على ما هي عليه ولو تغيّر شكلها الخارجي. وقد قام «بياجيه» باختبارات عديدة على الأطفال ليدرس تطور هذا النوع من الإدراك. فمثلاً، إذا عرضت على طفل في عمر الثلاث سنوات كوبي ماء متشابهين، وسألته إذا كانا يحتويان على نفس الكمية من الماء، فيقول الطفل «نعم». بعد ذلك، إذا أخذت أحد الكوبين وسكبت ماءه في وعاء مسطح صغير وسألته الولد: هل نفس الكمية من الماء في الكوب والوعاء؟ فيجيب الولد: «لا، إن الكوب يحتوي على كمية ماء أكثر». فالولد في هذا العمر لا يستطيع أن يدرك أن مظهر الماء فقط تغير (من الكوب الطويل إلى الوعاء المسطح) ولكن الكمية بقيت نفسها. هذا لأن تفكير الطفل متأثر كل التأثير بالمظهر الملموس والحسي للأشياء، وهو أيضاً متمركز حول محور واحد، أي إن الطفل يركز كل اهتمامه وتفكيره على خاصية واحدة للشيء، مهملاً أو متجاهلاً الخصائص الأخرى في نفس الشيء.

إضافة إلى ذلك، يتميز تفكير الطفل في هذه المرحلة بعدم الارتداد، أي إنه لا يستطيع أن يتدرج ذهنياً في سلسلة خطوات، ومن ثم العودة بالاتجاه المعاكس إلى

نقطة الانطلاق (لا يستطيع أن يفهم أن  $2+1=1+2$ ) لذلك، ولأن الارتداد يجعل التفكير مرناً ومنظماً، فإن تفكير الطفل أو تحليله للأمور يأتي كمجموعة وقائع غير مترابطة، ومتناقضة مع بعضها، وكأن الولد يقفز من فكرة إلى فكرة دون إقامة أي رابط بينهما، بل يقيم علاقات سببية من صنع خياله بين الأشياء!

**3 -** عدم القدرة على التصنيف الهرمي: لأن تفكير الطفل في هذه المرحلة ينقصه المنطق، يجد الطفل صعوبة في التصنيف الهرمي، أي في تنظيم الأشياء ضمن مجموعات على ضوء أوجه التشابه أو الاختلاف بين المجموعات.

فمثلاً، إذا وضعت أمام ابن الست سنوات مجموعة ورود مؤلفة من عشر وردات صفراء وأربعة وردات حمراء، وسألته «أيهما أكثر، الورد أم الورد الأصفر؟» فيجيب الطفل أن الورد الأصفر أكثر، لأنه لا يستطيع أن يدرك أن كلاً من الورد الأصفر والورد الأحمر هما فئتان في مجموعة واحدة هي «الورد».

هذا ونلاحظ من خلال هذا المثل كيف أن الطفل في هذه المرحلة يميل إلى التمحور على خاصية واحدة للشيء (اللون الأصفر)، ويبدو غير قادر على القيام بعملية ارتدادية بالانتقال من الكل (الورد) إلى الأجزاء (ورد أصفر وورد أحمر) ومن ثم العودة إلى الكل.

فباختصار، يمكننا إن نقول أن تفكير الطفل في مرحلة ما قبل العمليات الإجرائية يشبه بنواح عديدة التفكير الحسي - الحركي، وهو تفكير مادي، متأثر بالخصائص الجامدة واللافتة لأشياء حوله، وغير مبال بالتبريرات المنطقية، مما يجعل الطفل غير مدرك للواقع الذي يخلفه مثل هذا النوع من التفكير على مجتمعه أو محيطه.

## ثانياً - تأثير «بياجيه» على عالم التربية

إن عبقرية «بياجيه» التي جعلته يضع مثل هذه النظرية الدقيقة في التطور الفكري كان لها تأثير عميق على عالم التربية، ولا يزال هذا التأثير فعالاً حتى يومنا هذا. ونستطيع أن نقول إننا اليوم، في القرن الحادي والعشرين، نلمس مدى أهمية مبادئه في مجالات ثلاثة هي:

**1-** التركيز على التعلم بالاكشاف: يرى «بياجيه» أن أفضل وسيلة للتعلم عند الطفل هي عندما ندعه يكتشف نفسه بالتفاعل المباشر مع محيطه. فصفوف اليوم مجهزة بمجموعة غنية من الأدوات والألعاب المصممة لتحفيز الاكتشاف والاستكشاف



الاكتشاف والاستكشاف من خلال اللعب.

(ألعاب التركيب، المكعبات بالألوان والأشكال المختلفة، زاوية المطالعة، زاوية الطبخ، زاوية الرسم والفن...).

**2 - الانتباه لجهوزية الطفل للتعلم:** يرفض «بياجيه» فكرة تسريع النمو عند الطفل أو استباقه، فالتعلم السليم يرتكز على مستوى التفكير لدى الطفل، ويجب على المعلمة أن تراقب تلامذتها وتصغي لهم، وأن تعرفهم على خبرات تسمح لهم باختبار مفاهيم ذهنية جديدة، وتعديل نظرتهم الخاطئة للعالم حولهم، ولا تحاول فرض مهارات جديدة قبل أن تتأكد من أن الطفل

مهتم وجاهز لمثل هذه المهارات، وإلا شجعنا الحفظ السطحي لمفاهيم راشدة بدلاً من الاستيعاب الحقيقي لمفاهيم متلائمة مع عمره وقدراته.

**3 - تقبل الفروقات الفردية:** أكد «بياجيه» أن لكل طفل نمطه الخاص في اكتساب وإتقان المفاهيم الذهنية. لذلك فإنه من الضروري أن تصمم المعلمة في صفها نشاطات فردية ضمن مجموعات صغيرة من الأولاد، وتقيم تطوّر كل طفل حسب مستواه الفعلي وليس حسب مستوى المجموعة.

### ثالثاً - العمليات الذهنية

**1 - الانتباه:** إن معظم أهل والمعلمات يلاحظون أن الطفل الصغير لا يمضي وقتاً طويلاً ملتزماً بنشاط معين، ويجد صعوبة بالتركيز على التفاصيل ويلتهي بسرعة... إنما القدرة على تثبيت الانتباه لفترات طويلة تزداد مع الوقت، فبينما نجد ابن الخمس سنوات متنقلاً من نشاط إلى نشاط، غير مركز انتباهه لفترة تتجاوز السبع دقائق، نلاحظ أنه مع دخوله المرحلة الابتدائية، يبدأ ابن السبع سنوات

بتوجيه انتباهه بشكل واضح ومركز على نشاطات معينة ولفترات طويلة تسمح له أن ينهي بشكل فعال النشاط الذي ابتداءه.

2- الذاكرة: إذا عرضت أمام الطفل مجموعة مؤلفة من عشر ألعاب، ثم أخفيتها عن نظره وطلبت منه أن يتذكر ما هي الألعاب التي كانت معروضة له، تلاحظ أن ابن السنتين قد يتذكر لعبة أو لعبتين، وابن الأربع سنوات قد يتذكر ثلاث أو أربع لعب فقط... إن هذا الضعف الملحوظ في ذاكرة الطفل خلال هذه المرحلة يعود إلى عدم قدرته على استعمال العمليات الذهنية اللازمة لتطوير الذاكرة، كما يفعل الإنسان الراشد. فمثلاً، عندما نحاول أن نحفظ معلومة معينة، قد نلجأ إلى وسائل عديدة مثل تكرار المعلومة في ذهننا، أو تنظيمها في إطار ذهني معين يجعل استخراجها لاحقاً عند الحاجة سهلاً... إن مثل هذه الوسائل مفقودة عند الطفل الصغير، وعلينا تدريبه تدريجياً على استعمالها لمساعدته على تطوير ذاكرته: فمثلاً، عندما نعلم الطفل على تنظيم الأشياء حوله ضمن مجموعات (الحيوانات الطائرة، الفاكهة، وسائل النقل، إلخ...) وتفهم الخصائص المشتركة لكل مجموعة، نساعده هكذا على الانتقال من التنظيم الملموس للمثيرات حوله إلى التنظيم الذهني لهذه المثيرات، وبالتالي نساهم في تطوير عملية التذكر عنده من خلال تدريبه على اللجوء إلى مثل هذه العمليات التنظيمية لأفكاره.

لكن يجب أن نذكر أيضاً أن الطفل لا يلجأ إجمالاً لعملية التذكر التي نستخدمها نحن في حياتنا، لأنه ربما لا يجد منفعة في تذكر المعلومات لمجرد المعلومات فقط! فلننا نعلم أن ذاكرة الطفل فعالة جداً عندما تكون موجهة نحو هدف مرغوب جداً (يتذكر أين أخفي لوح الشوكولاته عن أخيه، ويتذكر أن أمه سوف تصطحبه اليوم من المدرسة بدلاً من الباص!).

كما يجب أن نشير إلى أن ذاكرة الأطفال لتفاصيل الحياة اليومية مدهشة، وأن طريقة تذكرهم لهذه التفاصيل شبيهة جداً بالطريقة التي يستعملها الإنسان الراشد، أي إنهم يسترجعون في ذهنهم «سيناريو» عاماً للحدث آخذين بعين الاعتبار الزمن والمكان لكل حدث. وكلما كبر الولد كلما تدرج «السيناريو» من العمومية ليشمل تفاصيل الحدث، فمثلاً، إذا سألت طفلاً في الثالثة من عمره «ماذا تفعل عندما تذهب إلى المطعم» يجيب على الشكل التالي: «تأكل ثم تخرج». أما ابن الخمس سنوات، فقد تأتي إجابته على النحو التالي: «تدخل، تجلس على المائدة، تقرأ لائحة الطعام، تطلب طعامك ثم تأكله. ثم تدفع وتذهب إلى البيت».

إن مثل هذا التفكير المنتظم للأحداث اليومية نلمسه حتى عند الأولاد الصغار

جداً الذين لا يستطيعون التعبير بالكلام من خلال مراقبتهم وهم يلعبون ويمثلون هذه الأحداث (إطعام الدمية، تجشنتها، وضعها في الفراش...).

إن للأهل والمعلمات دوراً كبيراً في تطوير ذاكرة الأولاد لحياتهم اليومية، وإننا نشجّع الأم أن تتحاور مع ابنها عن الماضي، أن تسأله عدة أسئلة حول ما فعل، وأن تساعد على تنظيم إجاباته باعتماد تسلسل زمني واضح، وأن تزوده بمعلومات غنية وتفصيل دقيقة حول الأحداث الماضية بشكل منتظم.

#### رابعاً - المهارات الأكاديميّة



1 - القراءة والكتابة: أعار علماء النفس أهمية كبيرة للعمليات الذهنية الأساسية التي يستخدمها الأطفال في هذه المرحلة من الطفولة لاكتساب مبادئ القراءة والكتابة التي تهيئهم للتحصيل المدرسي لاحقاً، ورأوا أن الدراسة المعمّقة لمثل هذه العمليات تزودنا بمعلومات غنية حول قدرات الطفل من مواطن القوة أو نقاط العجز عنده.

نعلم اليوم أن الطفل يفهم اللغة المكتوبة قبل تعلّمه القراءة والكتابة بشكل رسمي، وهذا أمر بديهي إذ إن أولادنا، خاصة في المدن، يعيشون في عالم مليء

بالرموز المكتوبة، فكل يوم يشاهدون ويشاركون في نشاطات تستخدم هذه الرموز (مثل: كتب القصص والروايات في غرفته، والروزنامة في الصف، وبطاقات المعايدة في المكتبات، ولائحة التسوق التي تحضرها والدته قبل اصطحابه معها إلى البقال، والكلمات على المعلبات والمستحضرات والأدوات العديدة في المتاجر الكبرى، والملصقات والإشارات في الشارع، إلخ).

إن تعرض الطفل لمثل هذه الخبرات يومياً يدفعه إلى محاولة ربط هذه الرموز المكتوبة بمعلومات مفيدة في عالمه. كما يلاحظ الأهل أن ابنهم، في الثالثة من عمره، عندما يقرأون له قصته المفضلة قبل النوم، يستطيع «قراءة» مقاطع كاملة للقصة من خلال حفظه لهذه المقاطع. كذلك يميّز الأطفال بشكل واضح الإشارات المألوفة في حياتهم اليومية (نوع السجائر التي تدخنها والدتهم، اسم الجريدة التي يقرأها والدهم، اسم مطعمهم المفضل، حتى اسم شريط الفيديو الذي يشاهدونه كل يوم!).

لكن بالرغم من هذه القدرات المدهشة التي نلمسها عند الطفل في هذه المرحلة المبكرة من حياته، لا تزال عملية ربط اللغة المكتوبة بالمعنى بدائية جداً، فمثلاً، يعتقد الطفل أن الحرف الواحد يعني كلمة كاملة، أو أن كل حرف في إمضائك يرمز إلى اسم كامل.

تدريجياً، يراجع الطفل هذه المفاهيم على ضوء تطور قدراته الإدراكية والذهنية وتعرضه للكتابة في ظروف متنوعة، ومع تشجيع الأهل من خلال أنواع عديدة من التواصل المكتوب معه (قراءة القصص له، تشكيل الأحرف بالمعجون، استعمال الكمبيوتر لأهداف تربوية تتلاءم مع عمره...). هكذا يصبح الطفل أكثر إدراكاً



من المهم جداً إطلاع الأولاد على اللغة المكتوبة في عمر مبكر.

للخصائص العامة للغة المكتوبة، ويبدأ بابتكار رموز خاصة به تحتوي على العديد من خصائص الكتابة! فمثلاً، إذا طلبت من ولد في الثالثة من عمره أن «يكتب لك رسالة»، تلاحظ أنه بالفعل يحترم قواعد الكتابة، فيبدأ من اليسار إلى اليمين أو من اليمين إلى اليسار (حسب الظرف اللغوي الذي هو معرض له باستمرار) و«يكتب» أفقياً وكأنه يفهم معنى الأسطر، ويكوّن بعض الأحرف التي تشبه أحرفنا نحن تلقائياً.

في أواخر هذه المرحلة، أي عند اقترابه من العام الخامس أو السادس، يستطيع الطفل أن يركب كلمات كاملة بربط الأحرف بعضها مع البعض الآخر: إن معظم هذه الكلمات المركبة تحتوي على العديد من الأخطاء، (مثلاً، يعتقد أن كل حرف يشكل مقطعاً كلامياً محدداً) ولكن بالرغم من هذه الأخطاء يكون قد وصل إلى مفهوم مهم جداً هو أن الأحرف هي جزء من الكلمة، وتدرجياً يتعلم الطفل أن هناك قواعد معينة لتركيب الأحرف بعضها مع البعض الآخر للوصول إلى الكلمة الصحيحة.

هذا ونذكر الأهالي بأهمية تعريض أولادهم للغة المكتوبة في عمر مبكر من حياتهم، ويبدو أن قراءة القصص للأطفال وهم صغاراً تساهم بشكل فعال جداً في تطوير المهارات الأكاديمية عند الولد وتأمين نجاحه اللاحق في المدرسة.

2 - الحساب والرياضيات: مثل الكتابة والقراءة، إن الاستنتاج الرياضي يتطور منذ الطفولة المبكرة، فمنذ الصغر، يبدأ الطفل بإدراك وتمييز مفاهيم الحجم والكمية للأشياء (كثير، قليل، كبير، صغير...)، ويبدأ بالعد (يأتي العد في البدء على شكل عملية حفظ روتينية، ثم في الثالثة من العمر، يصبح الطفل قادراً على إقامة علاقة واضحة بين العد الشفهي وعد الأشياء أمامه). بين العام الثالث والعام الرابع، يدرك الطفل بأن الرقم الأخير الذي يقوله عندما يقوم بتعداد مجموعة أشياء أمامه يرمز إلى كمية هذه الأشياء، وهذا الإدراك يجعل قدرة الطفل على العد أكثر مرونة وفعالية. تدرجياً، وعند العام السادس، يستطيع الطفل أن ينتقل بالعد من مجموعة إلى مجموعة أخرى دون العودة إلى رقم «واحد»، فإذا ضمت المجموعة الأولى ستة أشياء، ينتقل الولد إلى المجموعة الثانية بالعد ابتداءً من رقم «سبعة» ليكمل عملية التعداد هذه بشكل سليم. كذلك، وفي هذا العمر أيضاً، يستطيع الولد أن يقوم بالعد العكسي ليعرف الباقي من المجموعة إذا أخذت منها بعض الأشياء. هكذا تبدأ عملية الطرح في ذهن الأولاد، وتدرجياً يصبح الولد قادراً على التعامل مع الأرقام من دون أن تكون الأشياء موجودة بشكل ملموس أمامه، فيأتي العد على الأصابع في هذا الإطار كخطوة انتقالية لتنفيذ عمليات الجمع والطرح تلقائياً.

هنا أيضاً نذكر الأهل بأهمية تعريض الطفل منذ صغره إلى خبرات العد في



حياته اليومية، مما يساعد على تطوير الاستنتاج الرياضي في عمر مبكر، ويساهم في ترسيخ المفاهيم الرياضية الأساسية في ذهنه بشكل متين: مفاهيم قد تصبح مرجعية مهمة جداً له لمواجهة المهارات الرياضية المتنوعة التي سوف يتعرض لها في حياته المدرسية.

**3 - مع أو ضد التعليم المبكر؟** هل حديثنا حول القراءة والكتابة والرياضيات في هذه المرحلة المبكرة من الطفولة يعني أنه يتوجب علينا أن نعرض أبناءنا إلى التعليم شبه المدرسي بهدف تطوير هذه الكفاءات؟

كل الخبراء في التربية المبكرة يحذرون من القيام بمثل هذه المحاولات! فالتعليم المبكر الذي يتطلب من الأطفال الجلوس بهدوء لفترات طويلة لتعلم القراءة أو الكتابة أو الرياضيات، لا يتناسب قط مع احتياجاتهم التطورية. مثل هذه المتطلبات قد تؤدي إلى إحباطهم وتولد لديهم مشاعر سلبية تجاه الخبرات المدرسية: فالتعلم التقليدي يقوم على حساب نشاطات أخرى (مثل اللعب، والتواصل الاجتماعي مع الرفاق، والحوار الغني مع الكبار) تهدف إلى تطوير القدرات الذهنية والاجتماعية عند الولد.

يعتقد الخبراء في هذا المجال أنه من الضروري توفير الأسس الأكاديمية اللازمة في هذا العمر، لكن من خلال وسائل حيوية وقريبة من واقع الأولاد اليومي. لذلك نرى أن معظم دور الحضانة والروضات اليوم مجهزة بمثل هذه الوسائل التي تعتمد



من المهم توفير الأسس الأكاديمية للطفل من خلال وسائل حيوية وقريبة من واقعه اليومي.

نشاطات متنوعة (مثل زوايا اللعب والمطالعة والرسم، إلخ) وتهدف إلى توفير الظروف المناسبة للأولاد لكي يستكشفوا ويتدربوا على المعرفة الأكاديمية. فترى داخل الصف أسماء التلاميذ أو أسماء الأشياء أو الأرقام مطبوعة بخط واضح لكي يتعرف الطفل إلى الرموز المكتوبة من خلال الظروف الحياتية التي يعيشونها كل يوم. كذلك فإن الكتب متوفرة في الصف وقريبة من متناول اليد مما يحث الولد على استكشافها في جو مرح يشجعه على أخذ المبادرات والتعبير عن احتياجاته ورغباته. هذا وإن دور الحضانة والروضات اليوم تؤمن للطفل التواصل الداعم مع الراشدين بهدف تطوير الاستقلالية عند الأولاد.

### خامساً - تأثير الجو المنزلي على التطور الفكري

إن الجو المنزلي الذي يترعرع فيه الطفل في هذه المرحلة المبكرة من النمو يبقى العامل الأهم في تطوير القدرات الفكرية. تشير الدراسات في هذا الإطار إلى أن الولد الذي يتميز بتطور ذهني سليم يأتي من بيئة منزلية سليمة.

#### خصائص الجو المنزلي لتشجيع تطور فكري سليم

- يوفر الوالدان الألعاب التي تساهم في ازدياد المعرفة عند الطفل.
- يوفر الوالدان الكتب التي تحث الولد على التآلف مع القراءة والكتابة.
- المحيط المنزلي نظيف، ومنظم، وخال من المخاطر.
- يوفر الوالدان الدفاء والتقارب العاطفي من خلال حفزهما و دعمهما للسلوكيات الإيجابية عند الطفل.
- يشجع الوالدان الطفل على الحوار والتواصل اللغوي من خلال إجابتهما على أسئلته بوضوح، وتعليقهما على أقواله في ظروف حياتية مختلفة.
- يصطحب الوالدان الطفل مرة كل أسبوع أو أسبوعين إلى أمكنة مثيرة تعرفه على نشاطات ومفاهيم جديدة تزداد من خلالها معرفته.
- يتجنب الوالدان استخدام العقاب الجسدي عندما يقوم الطفل بأعمال مشاغبة، بل يلجأ إلى الحوار معه لحل المشاكل.
- يهتم الوالدان بوضع قواعد للسلوك الاجتماعي الناضج، ويطلبان من الطفل أن يلتزم بهذه القواعد بشكل واقعي يتلاءم مع قدراته الاستيعابية لمثل هذه الأمور.

### سادساً - ماذا عن اختيار دار الحضانة الملائمة؟

في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم، أكثر من 65% من الأطفال بين السنتين والخمس سنوات يرتادون دور الحضانة بسبب عمل الأمهات خارج البيت.

في مجتمعاتنا الشرقية، أصبحت دار الحضانة عنصراً مهماً في حياة أولادنا، ليس لأن الأم الشرقية أصبحت تعمل خارج البيت، بل لأن الجميع يعتقد أنه من الأفضل وضع الطفل، ابتداءً من عمر السنتين، في دار الحضانة لتطوير قدراته الاجتماعية وكفاءاته اللغوية، ولتأهيله إلى الدخول إلى المدرسة لاحقاً.

إننا نعتقد أن دار الحضانة بالفعل تلعب دوراً مهماً جداً في كل من هذه المجالات الثلاثة، على شرط أن يكون اختيار دار الحضانة ملائماً، إذ يجب أن يعلم الأهالي أنه إذا وضع الطفل في دار حضانة غير كفوءة منذ صغره قد يؤثر ذلك بشكل سلبي جداً على كل نواحي التطور عنده، وبدلاً من أن يتأهل لدخول المدرسة بشكل سليم، تنشأ عنده مشاعر سلبية تجاه كل ما هو «مدرسة»، ويزداد تعلقه بأمه وخوفه من الانفصال عنها، وتبدأ حياته المدرسية بالمشاكل! لذلك، فإننا ننصح الأهل، عند اختيارهم دار حضانة لابنهم، أن يحسنوا الاختيار.

### مؤشرات هامة لاختيار الحضانة الجيدة

- نظافة المكان وجهاز التهوية داخل الصفوف.
- الأدوات التعليمية المتوفرة في الصف (تواجد الألعاب والكتب والأدوات الموسيقية).
- الأمكنة المخصصة للعب الخارجي آمنة.
- تواجد الألعاب الخاصة بالنشاطات الخارجية.
- عدد الأطفال ضمن المجموعة الواحدة (على أن لا يفوق الـ 16 طفلاً لمعلمتين).
- نوعية النشاطات المطروحة في الصف (برنامج النشاطات اليومي).
- كفاءة الحاضنات العلمية ومجال اختصاصهن.
- التنسيق مع أهالي الأطفال لتقييم تطورهم، وتوفير الحاضنة للإجابة على كل أسئلتهم.

## التطوّر العاطفي والاجتماعي



يتحول الطفل بسرعة بين الثانية والسادسة من العمر إلى كائن اجتماعي معقد، فخلال هذه المرحلة يبدأ بالتعبير بوضوح عن الأشياء التي يحبها والأشياء التي يكرهها، كما يكون أفكاراً جديدة حول هويته، ويتخذ مواقف يتشبّث بها في معظم الأحيان. في هذه المرحلة أيضاً، نشهد ظهور المبادئ الأولى للأخلاقية عند الأولاد، حيث يدمجون مفاهيم الصح والخطأ التي يكتسبونها من عالم الكبار بمحاولات فعّالة للدفاع عن مواقفهم الشخصية. ومع أن العدوانية والشجارات تحدث بشكل مكثف بين الأولاد في الطفولة المبكرة، يبدو وكأن التعاون هو الميزة الرئيسية، فبين السنتين والست سنوات تظهر الصداقات الأولى حيث يتحاور الأطفال بعضهم مع البعض الآخر، ويقومون بتمثيل الأدوار المتكاملة من خلال اللعب، ويتعلمون أن أفضل طريقة لاكتساب الصداقات والألعاب هي من خلال تقدير واحترام احتياجات الآخرين واهتماماتهم.

طبعاً إن الفروقات الفردية في المهارات الاجتماعية كبيرة جداً بين الأولاد، وسرعان ما تصبح جزءاً أساسياً من شخصيتهم: فهناك

الولد - القائد في الصف الذي يأخذ المبادرات ويبدى رأيه بكل ثقة، وبالمقابل، هناك الولد الذي يمضي معظم وقته بمفرده، يرسم ويلون ويركب الألعاب بكل هدوء ومن دون إزعاج أحد، وهناك الولد الذي يغضب بسرعة و يلهي كثيراً ولا يركز على أي عمل أمامه ويصعب عليه بناء صداقات مع الآخرين...

هذا وإن مراقبة لعب الأطفال خلال هذه المرحلة من النمو تشير إلى أن الذكور يفضلون اللعب مع الذكور، والإناث مع الإناث، وأن مواضيع اللعب التي يستغرق الأولاد باللعب بها ساعات من دون ملل تعكس المقاييس الجنسية في بيئتهم، والسلوكيات المتوقعة منهم حسب جنسهم داخل أسرهم.

### أولاً - نظرية "أريكسون" في التطور الاجتماعي

في نظريته الشاملة التي تناولت كل مراحل التطور الاجتماعي منذ الولادة حتى الشيخوخة، رأى «أريكسون» أن الأطفال بين الثلاث سنوات والست سنوات يمرون بأزمة نفسية - اجتماعية تتأرجح مشاعرهم خلالها بين نقيضين هما: المبادرة والذنب. يعني «أريكسون» بالمبادرة أن سلوك الطفل يتحول من سلوك عشوائي إلى سلوك هادف، حيث يبدو متحمساً لتحمل مهام جديدة، وللمشاركة في نشاطات جماعية، ولاستكشاف عالم الراشدين من خلال طلب مساعدتهم عند الحاجة. هذا ويعلق «أريكسون» أهمية كبيرة على عنصر اللعب في حياة الأطفال إذ إنهم من خلال اللعب، يختبرون مهارات جديدة بعيداً عن خطر الانتقاد أو الفشل، كما أن اللعب يسمح بخلق مجموعات صغيرة من الأولاد يتعلمون من خلالها المشاركة والتعاون نحو هدف واحد.

يجب أن نتذكر أن «أريكسون» انطلق في نظريته من نظرية «فرويد» في التحليل النفسي، وكان «فرويد» قد رأى أن هذه المرحلة في حياة الطفل تتميز بظهور «عقدة أوديب»، حيث يرغب الصبي أن تكون أمه ملكه هو، ويشعر بالكراهية والغيرة تجاه والده، «وعقدة إكثرا» حيث ترغب البنات بامتلاك والدها وتغار من والدتها. إن مثل هذه المشاعر تولد قلقاً حاداً عند الولد الصغير، إذ يشعر بأنه قد يفقد حب والديه، وأنه قد يعاقب لمشاعره هذه غير المقبولة. فللتغلب على هذا القلق الشديد، ولتجنب العقاب والمحافظة على حب الوالدين، يتكون عند ابن الثلاث سنوات جهاز «الأنا الأعلى» أو الضمير الذي يجعله يتشبه بالأب (إذا كان صبياً) أو بالأم (إذا كانت بنتاً).

هذا ويتبنى الصبي خصائص أبيه في شخصيته ويقلده في كل حركاته وكلامه

وأسلوبه، وبالتالي يتبنى المقاييس الأخلاقية والجنسية التابعة للمجتمع الذكوري، ونلاحظ نفس عملية التشبّه والتقليد عند البنات تجاه والدتها، وهكذا ينجح الطفل في التخلص من قلقه الشديد وشعوره بالذنب.

لقد أخذ «أريكسون» فكرة «الأنا الأعلى» أو الضمير ووسعها في نظريته، فرأى أنه لا يجوز تربية الطفل في هذه المرحلة من نموه على أسس التهديد والانتقاد والعقاب، إذ إن ذلك يؤدي إلى تفاقم في مشاعر الذنب عنده مما يؤثر سلباً على تطور شخصيته: فيفقد ثقته بنفسه، ويخاف أخذ المبادرات لمواجهة الظروف الجديدة، ويخجل بسرعة نتيجة عملية ضبط النفس التي يمارسها بشكل مبالغ على نفسه...

إن مرحلة الطفولة المبكرة بين السنتين والست سنوات هي مرحلة تطوير صورة ذاتية إيجابية: مهارات اجتماعية جديدة، وأسس المفاهيم الأخلاقية وصورة واضحة حول الهوية الجنسية. وإذا كان الشعور بالذنب متفاقماً في هذه المرحلة، تتكاثر المخاوف والترددات عند الطفل بدلاً من أن يكتسب شعوراً بالمسؤولية وثقة بالنفس مما يسمح له بأخذ المبادرات واستكشاف عالمه بشكل سليم.

### ثانياً - التطور العاطفي في الطفولة المبكرة

إن الاكتسابات الجديدة في القدرات الذهنية وفي التعبير اللغوي عند الطفل تواكب التطور العاطفي خلال المرحلة بين السنتين والست سنوات، فنلاحظ بالفعل أن هناك تحسناً تدريجياً في تفهم المشاعر الذاتية كما مشاعر الآخرين، وهذا التطور العاطفي يؤدي إلى بروز المشاعر المعقدة مثل الذنب والحسد والكبرياء والحرج والخجل.

في العامين الثاني والثالث، يعبر الطفل عن مشاعره بالإشارة إلى أسباب ونتائج ومظاهر الشعور، وتدرجياً يتطور استيعابه للمشاعر ويتعقد، ففي الرابعة أو الخامسة من عمره، يستطيع أن يقدر بشكل صحيح أسباب العديد من الانعكاسات العاطفية الرئيسية. مثلاً إذا سألت ابن الرابعة لماذا يبدو صديقه حزينا، قد يجيبك «إنه حزين لأنه مشتاق لأمه». كذلك وفي هذا العمر، يستطيع الطفل أن يتنبأ بالسلوك المقرون بشعور معين، مثلاً، يعرف أن طفلاً غاضباً قد يعتدي على غيره! وفي هذا الإطار، نلاحظ أن الأطفال في هذه المرحلة من النمو يستعملون اللغة العاطفية ليس فقط للتعليق أو لتفسير مشاعر الآخرين بل أيضاً للتأثير على سلوكهم، ويبتكرون العديد من الاستراتيجيات الفعالة للتخفيف من المشاعر السلبية عند الآخرين. مثلاً، يحاول الطفل من خلال معانقته ولداً آخر التخفيف من حزنه، أو إرضاء ولد غاضب من خلال إعطائه شيئاً يرغبه بشدة.

لكن بالرغم من القدرات المدهشة عند الأطفال في تحليل وتغيير مشاعر الآخرين، لا يزال تطوّرهم العاطفي محدوداً، إذ إنهم غير قادرين على استيعاب المشاعر المجردة مثل الامتنان أو الحسد أو الشفقة.

ضبط المشاعر: إن تطور النطق عند الطفل يساعده على ضبط مشاعره، وبين الثالثة والرابعة من عمره، يستخدم الطفل عدداً كبيراً من الوسائل لتحويل المشاعر المزعجة إلى مشاعر مريحة، مثلاً نرى أنه يغطي عينيه أو أذنيه عند رؤية مشهد أو سماع صوت مخيف، أو يتكلم مع نفسه («ماما ستأتي بعد قليل») أو يعدّل أهدافه (يقرر الطفل أنه لا يريد اللعب مع هذه المجموعة من الأولاد بعدما يشعر أنهم ينبذونه).

هذا يعني أنه مع التقدم بالعمر، ومع الإدراك المتزايد لهذه الوسائل، تخف الانفجارات العاطفية عند الطفل، وبالفعل، في عمر الثلاث سنوات، يستطيع الطفل أن يتصنّع في عواطفه (مع أن هذه «الأقنعة» العاطفية تكون مقصورة على العواطف الإيجابية مثل السعادة أو الدهشة، علماً بأنه يصعب على الأولاد كما على

الراشدين تصنع الحزن أو الاشمئزاز، وذلك أمر بديهي؛ إذ إن معظم الحضارات تشجع الإنسان على إظهار المشاعر الإيجابية وإخفاء المشاعر السلبية بهدف تأمين علاقات جيدة بين الناس، والأطفال في هذه المرحلة من النمو يجتهدون لتنفيذ هذه القاعدة الاجتماعية).



إن قدرة الطفل على ضبط عواطفه يكتسبها عن طريق مراقبته للراشدين حوله، فعندما يلاقي الأهل صعوبة في ضبط شعورهم بالغضب أو العدائية، يلاقي الأطفال الصعوبة نفسها.

إن الحوارات القائمة بين

الوالدين وأولادهما حول التوقعات السلوكية المرغوبة اجتماعياً مفيدة جداً لترسيخ القواعد الاجتماعية، وإرشاد الأولاد حول تطوير الوسائل لضبط المشاعر.

المشاعر المعقدة: مع تطور الصورة الذاتية عند الطفل، يزداد إدراكه لإطراء ولوم الآخرين حياله ولتأثيرهما على صورته الذاتية، وهناك ميل لاختبارهما في ظروف مختلفة نوعاً ما عن الظروف التي تحدث على هذه المشاعر عند الأولاد الأكبر سناً كما عند الراشدين. فمثلاً، ابن الأربع سنوات قد يشعر بالذنب لأي تصرف يقع في خانة المشاغبة، حتى ولو كان من غير قصد، بينما ابن الثماني سنوات يشعر بالذنب فقط عند قيامه بمشاغبة عن قصد (مثل الكذب أو الغش). هذا وإن تواجد الآخر يبدو عنصراً مهماً لاختبار هذه المشاعر عند الطفل الصغير، فهو يعتمد على مديح الأم أو المعلمة لشعوره بالاعتزاز («ما أجمل هذه الصورة التي رسمتها!») ولا يختبر الذنب أو الخجل إلا إذا تم سلوكه تحت مراقبة أو كشف الآخر.

إن هذه المشاعر المعقدة تلعب دوراً مهماً في تطوير المفاهيم الأخلاقية عند الطفل، وتدرجياً يتكون ما نسميه «بالبوليس الداخلي»، أي إن تواجد الآخرين لا يعود ضرورياً لحفز مثل هذه المشاعر (لا يعود بحاجة إلى مديح الآخر لكي يشعر بالاعتزاز لعمل ما أو إلى توبيخ الآخر لكي يشعر بالذنب حيال سوء تصرفه).  
تطوير التعاطف مع الغير: تعتبر قدرة الطفل على التعاطف مع الغير من أهم



تتطور الصورة الذاتية عند الطفل مع ازدياد إدراكه لمحبة الآخرين له أو لنفورهم منه.



المحرّكات للسلوك الاجتماعي السليم التي تحثه على المشاركة وتقديم المساعدة للآخرين عند الحاجة، ويظهر التعاطف في عمر مبكر جداً إذ نلاحظ أن ابن الثلاث سنوات يهب لتطمين ومواساة شخص حزين أو متألم أمامه. مع تطوّر النطق عنده، يزداد اتكاله على اللغة من منظار الآخرين، وهكذا تزداد قدرته على التعاطف خلال سنوات الطفولة الوسطى.

إن للأهل تأثيراً كبيراً في تطوير التعاطف، فعندما يتصرف الوالدان بدفء وتشجيع وتعاطف مع مشاعر أولادهم، نرى أن الأولاد يستجيبون بنفس الأسلوب حيال مأساة الآخرين، والعكس صحيح: فالطفل الذي يعاقب ويوبّخ باستمرار في البيت، لا يظهر أي نوع من التعاطف تجاه الآخرين، بل يقابل ذلك بالخوف والغضب والعدوانية.

### ثالثاً - العلاقات الاجتماعية في الطفولة المبكرة

إن المهارات الاجتماعية تتطور بسرعة خلال هذه المرحلة من النمو، وتساهم في ذلك العلاقات مع الآخرين، خاصة مع الأطفال من نفس العمر (الأتراب) الذين يوفرون للطفل خبرات غنية جداً في الحوار والمشاركة والتصميم والتعاون، الخ.

أهمية اللعب: رأت «ميلدرد بارتن» في السبعينيات أن مراقبة سلوك الأطفال بين سنتين والخمس سنوات من العمر ضمن المجموعة تجعلنا نميز بين مراحل مختلفة لنوعية اللعب عندهم. فبين العام الثاني والعام الثالث، يقضي الطفل معظم وقته في اللعب المنفرد حيث يبدو غير مهبال لوجود الأولاد الآخرين في محيطه، ويراقبهم أحياناً ولكن لا يشاركهم اللعب. تدريجياً، يتحول هذا النوع من اللعب إلى نوع شبه اجتماعي، تسميه «بارتن» اللعب المتوازي، أي إن الطفل يلعب قرب الأولاد الآخرين ويستعمل نفس الأدوات لكنه لا يحاول التدخل أو التأثير عليهم من خلال الكلام أو الحركة، ونلاحظ أن اللعب المتوازي شائع عند الأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين الثلاث والست سنوات، عندها تظهر بوادر المشاركة في اللعب حيث تراهم منهمكين بألعاب مستقلة عن ألعاب الآخرين، إنما يتبادلون الألعاب والكلام خلال اللعب، إلى أن يصبح اللعب، في العام السادس، من نوع اللعب بالتعاون، وهو لعب اجتماعي مئة بالمئة، حيث يلعب الأولاد مع بعضهم، فتصبح نشاطاتهم موجهة نحو هدف واحد، وهو إنجاز اللعبة (مثل لعبة «القطار» حيث يجلس الأولاد على المقاعد ويتخذ أحدهم دور قائد القطار والآخرين دور الركاب، أو لعبة «بيت بيوت» حيث يتخذ كل ولد ضمن المجموعة دوراً محدداً لخلق «سيناريو» ملائم لإتمام اللعبة على أكمل وجه)!



يبدأ اللعب بالتعاون أو اللعب الاجتماعي في  
العام السادس.



بين العام الثاني والعام الثالث، يقضي الطفل  
معظم وقته في اللعب المنفرد.

إن معظم الأهالي، عند مراقبتهم لأولادهم خلال اللعب، يلاحظون أن محاولة «بارتن» هذه لتصنيف أنواع اللعب بشكل تدرجي حسب عمر الولد، لا تتطابق كلياً مع ما يحصل على الأرض عند الأولاد. فبالرغم من أن نسبة اللعب المنفرد بالفعل تنخفض مع العمر، يبقى شائعاً بكثرة بين العامين الثالث والرابع (يشكل 40% من وقت اللعب في هذا العمر)، كما أن اللعب المتوازي لا يختفي كلياً مع التقدم بالعمر، إذ نلاحظ أن الطفل حتى في عامه السادس يقضي ما يقارب 20% من وقته في هذا النوع من اللعب.

ما يجب أن نلفت انتباه الأهل إليه هو أننا عندما نقيم سلوك الطفل، ننظر إلى درجة النضوج الفكري في كل نوع من أنواع اللعب المطروحة أعلاه، والهدف هو طمأنة الأهل حول قلقهم عندما يتساءلون إذا كان ابنهم الذي يلعب بمفرده في أغلب الأوقات يتطور بشكل طبيعي: فقط بعض أشكال اللعب المنفرد تثير القلق، وهي عندما نلاحظ أن الطفل يمضي وقتاً كبيراً في القيام بحركات بسيطة متكررة مع أو من دون أشياء، كالركض بشكل دائري في الغرفة من دون هدف معين، أو درجة سياراة إلى الأمام وإلى الخلف لفترة طويلة من الوقت أيضاً بشكل تكراري... أما إذا كان الطفل يمضي الكثير من وقته في لعب وظيفي منفرد، أي بالرسم والتلوين أو تركيب المكعبات حسب تصميم معين، أو اللعب بالمعجون لخلق أشكال معينة، فلا

داعي أبداً للقلق. إن مثل هؤلاء الأطفال يتحلون إجمالاً بنسبة ذكاء عالية، وعندما يلعبون مع الآخرين يبرزون مهارات اجتماعية جيدة.

الصداقات الأولى: إن كلمة «صداقة» تعني لنا المشاركة والتفاهم والعاطفة المتبادلة بين شخصين أو أكثر، تكتسب نضوجاً مع الوقت وتتحدى الأزمات الظرفية. إن لدى الأولاد الصغار مفهوماً بدائياً لمعنى الصداقة، فيعرفون مثلاً أن الصديق هو إنسان يحبهم وأنه إنسان يلعبون معه لوقت طويل، فكما نلاحظ، أن هذا المفهوم مبني على خصائص ملموسة (الصداقة مربوطة بنشاط اللعب وبالمشاركة في الألعاب). ولا يتناول مفهوم الزمن أو الثقة المتبادلة («أنت صديقي» عبارة يقولها الطفل لطفل آخر إذا كانا يلعبان بشكل متناسق، أما إذا حدث خلاف بينهما في اليوم التالي، يقول الطفل «أنت لست صديقي!»، ويرفض اللعب معه لبقية النهار!). لكن بالرغم من ذلك، تتميز الصداقات الأولى بصفات معينة، مثل العفوية في التعبير العاطفي والشفهي، والحفز المتبادل من خلال التحية والمدح، ونوع من الخصوصية القائمة بين الصديقين.

بعض الأولاد ليس لديهم القدرة على بناء صداقات من هذا النوع، وفي هذه الخانة نضع الطفل العدواني المتطلب الذي يحث الأولاد الباقين على النفور منه، وسوف نرى لاحقاً في هذا الفصل ما هي العوامل المؤدية لمثل هذا السلوك عند الأطفال.



الصديق، بالنسبة للطفل، هو إنسان يحبه ويلعب معه وقتاً طويلاً.

## رابعاً - أسس التطور الأخلاقي

إن المفاهيم الأخلاقية الأولى تبرز عند الأطفال من خلال تواصلهم مع الكبار ومع أترابهم، وهناك أمثلة عديدة في الحياة اليومية في كلامهم تشير لنا بأنهم بالفعل يستوعبون القواعد الأخلاقية («أنت كذاب!»، «لا يمكنك أخذ الأشياء من دون أن تطلب الإذن» أو «أنت جلست هنا المرة السابقة، اليوم جاء دوري!»...).

كل ذلك يعني بأن «الضمير» يتكون في عمر مبكر جداً، ومعظم علماء النفس يرون أن الأخلاقية تكون في البدء متأثرة جداً بإرشادات وأوامر الكبار، وتدرجياً تصبح هذه المفاهيم داخلية، وهكذا يصبح الطفل قادراً على التصرف بشكل أخلاقي من دون مراقبة أو إشراف الأهل، وتعمم هذه التصرفات على ظروف مختلفة.



تتحول الأخلاقية من تأثير إرشادات وأوامر الكبار الى عملية داخلية حيث يحاسب الولد نفسه دون إشراف الكبار.

في هذا الإطار، يجب أن نذكر بأن أسلوب التربية الذي يعتمد على التهديد بالعقاب أو بفقدان حب الوالدين لا يؤدي إلى تطور أخلاقي سليم عند الولد بل العكس، فالولد الذي ينمو في جو مليء بالتهديدات والأوامر المتسلطة والعنف الجسدي لا يشعر بالذنب بعد المشاغبة أو أذى الغير، ويبدو ضعيفاً في ضبط انفعالاته (مثل الغضب أو القهر). كذلك فالولد الذي يهدده والداه بالكف عن حبه يستجيب

بتطوير درجة عالية من اللوم الذاتي («إنني عاطل، لا أحد يحبني») وشعور بالذنب بشكل مبالغ فيه، فيضطر معظم الأحيان، للتخلص من هذا الشعور المؤلم، أن ينكر أنه فعل شيئاً سيئاً، وهكذا يتطور عنده ضمير ضعيف، وفي الحالات القصوى لا

وجود للضمير، مما يشكل خطراً كبيراً على تطور الشخصية لاحقاً.

إن تطور الضمير مسألة مهمة جداً في ترسيخ المفاهيم الأخلاقية، وعلينا أن ننبه الولد إلى تأثير سلوكه السيء على الآخرين («إذا استمررت في دفعه هكذا، سوف يقع ويكسح» أو «إنه حزين جداً لأنك أخذت منه لعبته»)، وكلما كان تفسيرنا لأفعاله متلائماً مع قدرته للاستيعاب كان هذا الأسلوب فعالاً حتى مع أولاد في الثانية من عمرهم.

إن فعالية هذا الأسلوب التربوي تكمن في أنه يرشد الطفل إلى السلوك الصحيح في ظروف مستقبلية، ويحثه على السلوك الاجتماعي السليم (التعاطف مع الآخر، المشاركة، التعاون). بالمقابل، الولد الذي يقلق باستمرار ويتوقع العقاب أو فقدان حب والديه، لا يدري كيف يتصرف!

كيف يتعلم الولد السلوك الأخلاقي؟

المراقبة والتقليد: يعتقد العديد من علماء النفس أن الطفل يتعلم السلوك الأخلاقي السليم من خلال مراقبته للآخرين وتقليدهم، خاصة خلال السنوات المبكرة في الحياة. هذا وتشير الدراسات إلى أن الطفل يميل إلى تقليد شخص لطيف ومتعاطف معه، وليس شخصاً بارداً ولا مبال به، كما أنه يختار إجمالاً أشخاصاً ذوي سلطة (الأب، الأم، الأخ الأكبر) وأشخاصاً يطبقون فعلاً ما يقولونه، ولا يكتفون بإلقاء العظات الأخلاقية بل يتصرفون أيضاً بهذا الاتجاه أمام الطفل.

العقاب وبدائله: معظم الأهل يوافقون أن العقاب الذي يعتمد على التأنيب والانتقاد وضرب الولد غير فعال على المدى البعيد. صحيح أننا قد نلجأ إلى مثل هذه الأساليب في بعض الحالات الاستثنائية (مثلاً، إذا ركض ابنك في الثالثة من عمره إلى وسط الشارع رافضاً الإمساك بيدك)، ولكن عندما نرسم الأهداف العامة للسلوك الذي نرغبه في أولادنا (مثل التكيف الاجتماعي) فلا بد من أن نلجأ إلى أساليب أخرى. فالعقاب من خلال الأساليب السلبية يؤدي إلى استجابة مؤقتة من قبل الطفل ولا يحدث تغيرات جذرية في سلوكه. هذا وإن العقاب السلبي (التأنيب، الصراخ، الضرب) يحث الطفل على تبني هذا الأسلوب واتخاذ كنموذج سلوكي يعتمد عليه في تعاطيه مع الآخرين، فيصبح عدوانياً وسريع الانفعال، ولا يعرف التعبير عن غضبه وقهره إلا من خلال الصراخ والاعتداء على الآخرين. كذلك فإن العقاب السلبي يجعل الطفل يبتعد عاطفياً عن الشخص المعاقب (والوالدين إجمالاً) مما يجعل فرص التقارب بين الولد والأهل في أوقات الأزمات الحقيقية في الحياة قليلة وضعيفة جداً، ويقطع باب التواصل بينهما، وكلنا نعلم

كم هو التواصل مهم لحل العديد من المشاكل التي يمرّ بها أولادنا في المراحل التطورية المختلفة.

وأخيراً نذكر الأهل بأن العقاب الصارم هو مجرد «فشة خلق» لحالة توتر يعيشونها، ويأتي الضرب أو الصراخ على الولد كتنفيس لهذا التوتر. لهذا السبب، هناك خطر كبير أن تتفاقم حدة العقاب عند الأهل مع الزمن من دون أن يلاحظوا، وقد يلجؤون إلى وسائل أعنف من الوسائل التي كانوا يستعملونها في السابق. فما هي البدائل للعقاب السلبي؟

جميع الخبراء في التربية ينصحون بفترة استراحة حيث يرسل الطفل إلى غرفته أو أي غرفة حتى يهدأ ويفكر بالسلوك الملائم. إن مثل هذه الوسيلة تمنح أيضاً الأهل فرصة «للتنفيس» بعيداً عن الولد.

الوسيلة الثانية هي نزع الامتيازات («لن تلعب في الخارج»، «لن تذهب إلى السينما»).



الصراخ على الولد لا يصحّ السلوك بل يخيف الطفل الصغير.

الوسيلة الثالثة هي اعتماد الانتظام في تطبيق نوع العقاب الذي نلجأ إليه، فعندما يسمح الوالدان للطفل أن يشاغب في ظرف معين و يؤنبونه بشدة في نفس الظرف ولكن بوقت مختلف، يخلق ذلك عنده حالة ضياع بالنسبة لما هو السلوك الملائم!

رابعاً، إن الدفاء والتقارب في نوعية العلاقة التي تربط الطفل بوالديه يعطيان للعقاب فعالية أكبر: إن الطفل الواثق من محبة وعطف والديه يتقبل أو يستوعب العقاب كإرشاد صالح

للتصرف ويقتنع به، خاصة عندما يأتي العقاب مرفقاً بالشرح الواضح للولد حول سوء تصرفه وتأثيره على الآخرين.

خامساً، يرى الخبراء في هذا المجال أنه يجب على الأهل حفز و تشجيع السلوك الإيجابي عند الولد والتخفيف قدر الإمكان من الظروف التي تحت الطفل على المشاغبة (مثلاً، خلال نزهة طويلة في السيارة حيث قد يمل الأولاد ويبدأون بالمشاغبة، باستطاعة الأهل أن يوفر لهم ألعاباً أو كتباً للتسلية والترفيه).

### خامساً - العدوانية

ابتداءً من العام الأول، نلاحظ أن العديد من الأطفال يلجؤون إلى العنف من وقت إلى آخر في تعاملهم مع الغير، وفي هذه المرحلة من العمر، تبرز العدوانية على شكلين:

1 - العدوانية الوظيفية: عندما يرغب الطفل شيئاً ما بشدة، قد يصرخ أو يدفع أو يعتدي على أي إنسان أو شيء يقف بطريقه.

2 - العدوانية المتعمدة: وهي عندما يضرب الطفل طفلاً آخر بهدف الأذى.

عند حوالي عمر الأربع سنوات، تخفّ العدوانية الوظيفية بشكل ملحوظ مع تطور القدرات الفكرية والنطق عند الطفل، بينما تزداد العدوانية المتعمدة بين الأربع والسبع سنوات، علماً أن نسبة حدوث العدوانية خلال احتكاكات الأطفال قليلة مقارنة بنسبة المبادرات الإيجابية التي تحصل بينهم.

نعلم أيضاً أن الذكور يتصرفون بشكل عدواني أكثر من الإناث، والسبب وراء هذا الفرق بين الجنسين يعود إلى عوامل بيولوجية تم التأكد منها من خلال عدد هائل من الدراسات في هذا الإطار (أهمية دور الهرمونات الذكورية في تصرف الإنسان)، وإلى عوامل بيئية حيث يفرض المجتمع توقعات معينة لسلوك الإنسان حسب جنسه (نتوقع من الفتى أن يكون عدائياً ومنافساً في تصرفاته، بينما نشجع الفتاة على الرضوخ والتسامح والتعاون).

دور العائلة في تطوير العدوانية: تلعب العائلة دوراً رئيسياً بل الدور الأهم في تطوير العدوانية عند الطفل، فعندما يهدد الوالدان الولد وينتقدانه ويضربانه، يؤدي ذلك إلى رفضه إطاعة أوامرهما، ويثابر في رفضه هذا حتى يعودا ويستجيبا لمطالبه.

إن هذا النمط يتكرر مراراً عديدة خلال النهار، ويؤدي إلى جو مشحون بالتوتر داخل الأسرة، وغالباً ما يتصاعد الأمر، ففي المرة المقبلة عندما يشاغب الولد، يلجأ

الوالدان إلى أسلوب أكثر قساوة مما يجعل الولد أكثر تحدياً لهما، وتحدت الحالة هكذا حتى يرضخ أحد الفريقين للآخر على شكل غالب ومغلوب في حلقة مفرغة من القلق والانفعال العصبي بين أعضاء الأسرة.

إن الطفل الذي يتزعزع في مثل هذه الأجواء يتعلم أن ينظر إلى العالم من خلال منظور عدائي حيث يتوقع الغضب والضرب من الغير، ويرى نية سيئة في كل أفعال الآخرين حتى ولو لم تكن موجودة، مما يجعله يعتدي عليهم من دون سبب!

لسوء الحظ، إن الأطفال العدوانيين يعانون من مشاكل فادحة في التكيف الاجتماعي، فهم إجمالاً منبوذون من زملائهم، وراسبون في دراستهم، وعند المراهقة يميلون إلى الانحراف في سلوكيات غير مقبولة اجتماعياً.

مساعدة الأولاد العدوانيين: قبل مساعدة الولد، يجب مساعدة الأهل! فعلى الوالدين أن يدركا أن أسلوبهما التربوي غير كفؤ، وأنهما يحتاجان إلى بدائل لأنواع العقاب الذي كانا يعتمدان عليه لتربية أولادهما.

لذلك فالأهل بحاجة إلى توعية من خلال قراءة الكتب التربوية للإطلاع على أساليب التربية الناجحة، أو من خلال حوارات بناءة مع أصدقاء لهم قد يزودونهم



من خلال اللعب يتعلم الطفل التمييز بين الواقع والخيال فيتجنب أذى الآخر لأنه يدرك أنها مجرد لعبة.



ببعض النصائح الفعّالة، أو حتى من خلال استشارات مع اختصاصي في الإرشاد الأسروي، مع أن هذا النوع من الاختصاص لا يزال نادراً في مجتمعاتنا الشرقية. على الأهل أن يتعلموا أساليب جديدة للتعامل مع أولادهم مبنية على عدم الرضوخ والاستسلام لرغبات الولد، وعلى إرفاق الأوامر بالحوار المنطقي مع الولد حسب قدراته الفكرية، وعلى تبديل الكلام السلبي (إهانات وانتقادات لاذعة) والعنف الجسدي بوسائل عقابية أكثر فعالية، مثل نزع الامتيازات أو استخدام «فترة الاستراحة».

أما بالنسبة للطفل العدواني، فعلى المعلمة في المدرسة أن تشجعه على التعبير عن مشاعره، وعلى تفهم مشاعر الآخرين والتعاطف معهم. وعليها أيضاً أن تدريبه على استخدام وسائل إيجابية للتواصل مع الغير من خلال استعمال الدمى والتمثيل (لعب أدوار مختلفة تتحاور ضمن أزمات معينة وتسعى إلى حل هذه الأزمات)، والمناقشة الجماعية لوسائل فعّالة لحل المشاكل القائمة بين الأولاد، ومحاولة تطبيق هذه الوسائل داخل الصف.

تأثير التلفزيون على السلوك: إن مشاهدة العنف على التلفزيون يشجع الأولاد على التصرف العدواني، وقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن برامج الرسوم المتحركة المخصصة للأطفال تحتوي على أعلى نسبة من مشاهد العنف مقارنة بأي برنامج آخر. (21 مشهد عنف في ظرف ساعة واحدة!).

إن الأطفال دون الثامنة من العمر يتأثرون كثيراً بالتلفزيون، خاصة أنهم لا يفهمون كثيراً ما يشاهدون، ولأنهم لا يملكون القدرة على ربط المشاهد العديدة ضمن وحدة قصصية ذات معنى، وبالتالي لا يربطون تصرفات البطل بالدوافع التي حثته على مثل هذه التصرفات وعواقبها. كذلك، فإن الطفل في هذا العمر لا يميّز بسهولة بين الواقع والخيال التلفزيوني.

إن مئات الدراسات تؤكد أن مشاهدة العنف على التلفزيون تزيد السلوك العدواني عند الأولاد ضمن العائلة وفي المدرسة، ويبدو أن هذا التأثير السلبي طويل المدى إذ إن هناك أكثر من دراسة تابعت تطور الأولاد على مدى سنوات عديدة وبيّنت أن المراهقين والراشدين الذين شاهدوا البرامج العنيفة بكثرة خلال طفولتهم يميلون إلى اللجوء إلى أساليب عدائية لحل مشاكلهم، ويكونون أكثر عرضة للانحراف في نمط حياتي غير محبذ اجتماعياً مقارنة بالمرهقين والراشدين الذين لم يمضوا أوقاتاً كثيرة بمشاهدة العنف على التلفزيون.

## نصائح لحماية الأولاد من تأثير التلفزيون السلبي

- وضع قوانين ثابتة بالنسبة لعدد ساعات المشاهدة، والمثابرة في تطبيق هذه القوانين (ينصح أطباء الأطفال في العالم بساعتين فقط يومياً).
- عدم استعمال التلفزيون كمكافأة أو عقاب، لأن ذلك قد يزيد من جاذبيته للطفل.
- على الأهل أن يتجنبوا مشاهدة التلفزيون بكثرة أمام أولادهم، وبالأخص البرامج والمسلسلات العنيفة.
- الإشراف على محتوى البرامج التي يشاهدها الطفل، وتشجيعه على مشاهدة برامج ذات مضمون إيجابي بدلاً من البرامج التي تتميز بالعنف (حتى الرسوم المتحركة).
- من الأفضل أن يشاهد الأهل (الأم على الأقل) التلفزيون مع الأولاد ومساعدتهم على فهم ما يرون على الشاشة، والتمييز بين الخيال والواقع، والتعبير عن عدم موافقتهم على سلوكيات معينة تظهر على الشاشة، وتعليم الطفل على اتخاذ نظرة ناقدة حيال ما يشاهده بدلاً من التلقّي السلبي لكل القيم والمفاهيم التي تظهر من خلال البرامج و الدعايات المتلفزة.



### سادساً - الغيرة

لا بد من الغيرة بين الإخوة أن تنشأ في كل أسرة، وإذا لم تكن مفرطة فهي تساعد الأولاد على أن يصبحوا أكثر تسامحاً واستقلالية وكرماً. إجمالاً، كلما كان الوالدان متفقيين ومتواصلين بشكل إيجابي، كانت الغيرة بين الأولاد أقل حدة، فعندما يكتفي الولد بالعاطفة الدافئة التي يحصل عليها من والديه، لا يشعر بالحقّد تجاههما كلما أعارا الانتباه لآخرته.

إن ما يجعل الطفل مطمئناً في

عائلته هو الشعور بأن والديه يحبانه ويتقبلانه كما هو. أما إذا كانا يقارنانه باستمرار بأخيه أو بأخته، علنياً أو باطنياً، فهو يدرك ذلك ويحزن ويحقد على الأخ أو الأخت وعلى والديه.

في أغلب الأحيان تستاء الأم من مشاكل الغيرة بين أولادها، وتحاول حل النزاعات بتطبيق مبدأ الحق المثالي، فتشتري مثلاً لكل ولد من الأولاد اللعبة نفسها؛ ولكن ما يحصل هو التالي: بدلاً من أن يفرح الأولاد بألعابهم المتشابهة كلياً، تراهم يتفحصون بدقة لعبة الأخ أو الأخت لكي يكتشفوا فرقاً واحداً قد يؤكد لهم أن الأم تميز بينهم! ذلك لأن الأم بتصرفها هذا أكدت للولد أنها اشترت له نفس اللعبة لكي لا يعتقد أنها تفضل أخاه عليه، بينما ما كان يجب عليها أن تؤكد له أنها اشترت له اللعبة لأنها تعرف أنه يرغبها بشدة.

كلما قلّت المقارنات بين الإخوة، سلبية كانت أم إيجابية، جرت الأمور بشكل أفضل، فعندما نقول للولد: «كن مهذباً مثل أختك» نجعله يبغض أخته وفكرة التهذيب معاً. كذلك، فعندما نقول للفتاة المراهقة «لا تنزعجي لأن أختك لديها أصدقاء أكثر منك، فأنت أذكى منها وهذا هو الأهم»، قد نساهم في تخفيف كآبتها لعدم تمكنها من جذب الأصدقاء، ولكن بنفس الوقت ندعم ونعزز رغبتها بالمنافسة مع أختها.



الشجار بين الإخوة أمر طبيعي ومن الأفضل عدم أخذ موقف مع أحد الإخوة ضد الثاني.

من الأفضل أن لا يتدخل الوالدان في شجارات الإخوة، فعندما يهب الأهل لمعرفة من المذنب ولمعاقبته، يؤدي ذلك إلى الشعور بالغيرة عند الفريق المعاقب، وما يجب أن ندركه كأهل هو أن السبب الرئيسي لشجارات الإخوة هو الغيرة، ولأن كل واحد من الإخوة يرغب

بأن يكون هو المفضل لدى والديه! لذلك، فعندما يسرع الأهل لأخذ موقف معين مع أحد الإخوة ضد الثاني بهدف معرفة من المحق ومن المذنب، يشجعون أولادهم على المشاجرة من جديد. وهكذا تصبح المعركة قائمة مثل مسابقة لمعرفة من من الفريقين سوف ينال رضى الأم...

إذا شعر الوالدان أن عليهما التدخل لإنهاء معركة ما بين الأولاد، من الأفضل أن يطلبوا بكل بساطة وضع حد للشجار، وعدم الإصغاء للجدال القائم، وإظهار لامبالاة تجاه من المحق ومن المذنب، والتركيز على ما يجب القيام به عملياً باقتراح حلول وسطية بين الإخوة، أو إلهائهم بنشاط مختلف كلياً عما كانوا يقومون به، أو حتى فصلهم بإرسال كل واحد منهم إلى موقع حيادي خال من المثيرات.

الغيرة من المولود الجديد: إن الغيرة شعور قوي جداً، وأكثر إزعاجاً عند الطفل الصغير، لأنه لا يفهمه ولا يعرف كيف يتخلص منه، وهذا الشعور يكون إجمالاً أقوى عند المولود الأول، لأنه قد اعتاد على أن يكون هو محط أنظار الجميع من دون أي منافس، بينما يكون المولود الثاني أو الثالث قد اعتاد على أن يتقاسم انتباه وعاطفة والديه مع إخوته الأكبر سناً، إنما هذا لا يعني أن المولود الثاني أو الثالث لا يشعر بالمنافسة تجاه المولود الجديد، فالشعور موجود حتماً، ونعتقد أن المهم هنا هو كيفية تعاطي الأهل مع هذا الوضع، وليس كون الطفل مولوداً أولاً، أو ثانياً، أو ثالثاً...

كما نذكر بأن الشعور بالغيرة من المولود الجديد يكون في أوجه عند الأطفال دون الخامسة من العمر، لأنهم لا يزالون يعتمدون كثيراً على والديهم.

لا أحد يستطيع أن يلغي كلياً الشعور بالغيرة والمنافسة عند الأولاد، لكن باستطاعتنا التخفيف من حدة هذا الشعور أو حتى تحويله إلى شعور إيجابي، فإذا أدرك الطفل أن لا مبرر لمخاوفه من المنافس الجديد، فإن ذلك من شأنه تقوية شخصيته مما يسمح له أن يتعاطى مع ظروف المنافسة اللاحقة في حياته (في المدرسة، أو العمل، أو المنزل) بشكل أفضل.

بإمكاننا مساعدته بترجمة مشاعره بالكلمات بقولنا له مثلاً: «أنا أعرف أنك منزعج من أخيك الصغير ولكن ضربه لن يفيد»، أو «أنا أحبك وأحب أخاك أيضاً، وهو يحبك كثيراً».

هذا وقد يعبر الطفل عن غيخته من خلال قنوات عديدة، منها حركية سلوكية، ومنها كلامية، ومنها نفسية... وقد يؤدي أخاه مباشرة بضربه بالمكعبات، أو قد يكون أكثر تهديباً فيطلب من الأم بعد يومين من الولادة أن ترجع المولود إلى المستشفى. وقد يتصرف بغضب تجاه أمه بتوسيع البيت عمداً، أو قد يرغب بأن

يكون هو المولود الجديد (يريد زجاجة الحليب مجدداً!) ويعود إلى سلوكيات طفولية مثل التبول في ملابسه أو فراشه بعد أن يكون قد نظف، أو مص الإصبع أو التكلم بطريقة غير ناضجة... أو إلى الاتكال كلياً على أمه (يتبعها بشغف في كل أنحاء البيت).

كيف يجب على الأهل أن يتصرفوا حيال كل هذه الأمور؟

- من المهم جداً تحضير الطفل مسبقاً إلى فكرة المولود الجديد.
- إن مجيء المولود الجديد إلى البيت لا يجب أن يقترن بتغيرات جذرية في حياة الطفل (مثل وضعه في دار الحضانه، أو المباشرة في تنظيفه، أو نقل ألعابه وحاجياته الخاصة إلى غرفة أخرى لاستعمال غرفته للمولود الجديد، أو نقله إلى سرير أكبر لأن المولود الجديد سوف ينام في سريره الصغير...).
- عندما تعود الأم من المستشفى إلى البيت مع المولود الجديد، من الأفضل أن يكون الولد خارج المنزل لبضع ساعات، مما يسمح للأم أن تقوم بكل الترتيبات اللازمة لمولودها بكل هدوء وتركيز، دون أن تقلق على مشاعر الأخ الأكبر الذي يقف مراقباً، شاعراً أن لا أحد يهتم به...
- في الأسابيع الأولى بعد الولادة، من الأفضل أن لا يتصرف الأهل بحماس كبير تجاه المولود الجديد (يتكلمون عنه باستمرار، يبتهجون أمام جماله...)، وأن يحاولوا المحافظة على برنامج الطفل اليومي قدر الإمكان (وقت الغذاء، وقت الاستحمام، وقت قراءة القصة قبل النوم، إلخ) لكي لا يشعر بأن أخاه الجديد أتى ليأخذ مكانه، ولإحداث بلبله في حياته مما يؤدي إلى عدم الشعور بالأمان.
- ممازحته بلطف وفكاهة عندما يبدي بعض التصرفات الطفولية (مثل رغبته في أن يشرب الحليب بالزجاجة) بدلاً من انتقاده أو تأنيبه لأنه يتصرف «مثل الصغار!».
- على الأهل أن يساعدوا الطفل في إبراز جانبه الناضج بالمدح الصادق والعفوي («كم أنت قوي»، «كم أنا فخورة بك لأنك تساعدني في البيت!»).
- لا يجب أبداً أن نقول للطفل إننا نفضله على المولود الجديد، فالطفل يخاف من الأهل المتحيزين، فإذا فضله أمه اليوم على أخيه، قد تفضل أخاه عليه غداً!
- يجب علينا أن نسمح للطفل أن يتصرف كالمعاون لنا بإعطائه بعض المسؤوليات خلال عملية الاهتمام بالمولود الجديد.

- إن الأقارب يلعبون دوراً كبيراً في التخفيف من مشاعر الغيرة عند الولد، أو العكس تماماً، أي في إشعال حذتها، لذلك يجب الانتباه لهذا الأمر والطلب منهم بكل لباقة عدم إظهار دهشتهم وإعجابهم واهتمامهم بشكل مبالغ فيه وحماسي بالمولود أمام الطفل.

التصرف العدواني تجاه المولود الجديد: يجب علينا أن ندرك أن ما نسميه الشعور بالغيرة حيال المولود الجديد هو بالفعل مزيج من الحب والغيرة، لذلك عندما نتعامل مع طفل يظهر غيرته بشدة تجاه أخيه أو أخته من خلال الاعتداء عليه أو عليها بالضرب، يجب أن نفهم أن واجبنا ليس هو قمع الغيرة، بل مساعدته على التعبير عن حبه تجاه الأخ أو الأخت، لأن الحب، بالنهاية، جزء لا يتجزأ من الغيرة!

عندما يضرب الطفل أخاه، يهب الوالدين ضده ويضربانه أو يؤنبانه بشدة على ما فعل، إن ذلك يجعل الطفل يكره أخاه لأنه يشعر بأن والديه يفضلانه عليه، وأنه قد يفقد حبهما مما يجعله أكثر قلقاً وأكثر شراسة في الداخل. لذلك ففي مثل هذه الظروف، هناك ثلاث مهام أمام الأهل:

- 1 - يجب حماية المولود الجديد من الاعتداء.
  - 2 - يجب أن نوضح للولد أن لا تسامح في هذا الأمر، وأن ضرب المولود غير مقبول، بل إنه يستطيع أن يعبر عن مشاعره من خلال طرق أخرى.
  - 3 - التأكيد للولد أننا لا نزال نحبه كثير، وأنه بالفعل ولد طيب، وخير.
- بكلام آخر، يجب أن يدرك الولد أننا نتفهم مشاعره (حقده تجاه المولود الجديد، خوفه من أننا لا نحبه بقدر ما نحب المولود) وأننا نتقبلها، ولكن ما لا نتقبله منه هو الاعتداء على المولود للتعبير عن هذه المشاعر. في هذه الظروف، يستحسن احتضان الولد بحنان بدل من تأنيبه ولومه على ما يقوم به، والتكلم معه على الشكل التالي: «أنا أعرف ماذا تشعر، أنت تتمنى أن يكون أخوك غير موجود لكي نهتم بك أكثر، ولكن لا تقلق، نحن نحبك مثل السابق وسنحبك دائماً مهما شعرت». هكذا نقدم له البرهان الأقوى لعدم ضرورة القلق.

عندما يكبر المولود الجديد ويصبح قادراً على التنقل من مكان إلى مكان باستقلالية، تبدأ مشاكل من نوع آخر، إذ إنه يريد أن يكتشف ألعاب أخيه الأكبر وأن يأخذها. هنا تبدأ النزاعات والمعارك الكبرى بين الأخوين! ننصح في هذه الحال أن توضع كل ألعاب الأخ الأكبر في غرفة أخرى حيث لا يستطيع الأخ الأصغر أن



على الأهل أن يساعدوا الطفل في إبراز جانبه الناضج وتحويل الشعور بالغيرة الى شعور إيجابي.

يقصدها أو في جارور معين في إحدى الخزائن مع قفل خاص بالأخ الأكبر يتمكن من فتحه أو قفله متى يشاء، مما يجعله يشعر بالأهمية والمسؤولية.

العديد من الأهل يصرون على أن يتشارك الإخوه ألعابهم: من الأفضل أن نقترح على الأخ الأكبر أن يعطي لأخيه الصغير الألعاب التي أصبحت مملّة بالنسبة له، هكذا يشعر بنضوجه ويعتز بهذا الشعور، مما يجعله أكثر كرمًا تجاه أخيه الصغير... عندما نفرض بقوة على الولد أن يتشارك ألعابه مع أخيه الأصغر سنًا، يؤدي ذلك إلى ازدياد الحقد تجاهه، إذ إنه يشعر أن لا أحد يفهمه، وأنهم يفضلون أخاه عليه.

### سابعاً - أساليب التربية المعتمدة

لقد حددت ثلاثة أنواع للأسلوب التربوي المعتمد داخل الأسرة وفقاً لنوع السلطة التي تمارس فيه: الأسلوب المتسلط والأسلوب المتسامح والأسلوب ذو السلطة، أو ما يسميه الخبراء الأسلوب الديمقراطي.

الأسلوب المتسلط: وهو مبني على الطاعة والخضوع والأمر والنهي، ويعتمد أحياناً كثيرة على العنف الجسدي أو الكلامي.

الجو النموذجي في مثل هذه الأسرة يتلخص بالموقف التالي: إفعل كذا لأنني أنا

قلت ذلك أو «... لأنني أنا أريد ذلك». فتقتصر السلطة على جملة أوامر وتعليمات على الولد أن يتقيد بها وإلا عوقب. فالسلطة هذه هي إرادة الأهل، ولا تواصل بين الأهل والأولاد.

بينت الدراسات أن الأولاد الذين ينمون داخل مثل هذه الأسر يفتقرون إلى الاستقلالية والقدرات الإبداعية والثقة بالنفس، ويميلون إلى عدم احترام القواعد والأوامر عندما يكونون من دون رقابة، مما يؤدي إلى أزمات حادة في سن المراهقة. كذلك تشير الدراسات إلى أن هؤلاء الأولاد يكونون إجمالاً قلقين وغير سعداء، ولديهم ميل للعدوانية في علاقاتهم مع الآخرين عند القهر، فالذكور يظهرون درجة عالية من الغضب والتحدي، أما الإناث فيعتمدن على الآخرين، ويفتقرن إلى حب الاطلاع والاستكشاف، ويتراجعن أمام التحديات.

أما الأسلوب المتسامح، فلا قوانين ولا قواعد فيه لتنظيم الحياة العائلية، وطبعاً لا مراقبة ولا إشراف. فالطفل في مثل هذه الأسرة يستطيع أن يتخذ قرارات في عمر لا يزال فيه عاجزاً عن أخذ القرارات: يأكل متى يشاء، وينام متى يشاء، ويشاهد التلفزيون متى يشاء... ولا يطلب منه أن يتصرف بهذيب، أو أن يساعد في الأعمال المنزلية. فالأهل أنفسهم في مثل هذه العائلات لا يملكون الثقة الكافية في قدرتهم للتأثير على تصرفات أولادهم، وبالتالي فالطرق التي يسلكونها في تربية الأولاد عشوائية وغير فعّالة.

تشير الدراسات إلى أن الأولاد الذين ينمون في هكذا جو تربوي يصبحون متطلبين بشكل مبالغ فيه، ويعتمدون كثيراً على الآخرين، ويصعب عليهم ضبط انفعالاتهم، ويثورون كلما طلب منهم أن يقوموا بشيء يتناقض مع رغباتهم العاطفية؛ ونستطيع القول إن مثل هؤلاء الأولاد يتميزون بدرجة منخفضة جداً من النضوج العاطفي.

الأسلوب ذو السلطة أو الأسلوب الديمقراطي: نلمس درجة عالية من التكيف بين الأهل والأولاد يتميز بتأمين المحبة والاحترام، إلى جانب السلطة الخيرة المبنية على قوانين وقواعد يعرفها الولد ويدرك معناها. إن الوالدين في مثل هذه الأسر يعتمدان على المنطق والديمقراطية في نظرتهم إلى التربية، مما يؤدي إلى إدراك واحترام حقوق كل من الأهل والأولاد. حسب الدراسات، قد تنتج هذه العائلات أشخاصاً يثقون بأنفسهم، ويتمتعون بنسبة عالية من الاستقلالية الذاتية والقدرة على الإبداع، كما أنهم يشعرون أكثر من غيرهم أنهم يستطيعون التأثير على ما يجري في حياتهم، وتوظيف طاقاتهم للوصول إلى الأهداف التي يحدونوها.



## ثامناً - دور الأب في التربية

باختصار على الأب أن يكون الرفيق، والمعلم، والمرشد الأخلاقي، والمحامي، إضافة إلى كونه مؤمن الرزق للبيت... صحيح أننا في الماضي لم نعر الاهتمام الكافي لدور الأب في حياة الأولاد، وهذا أمر طبيعي، إذ إن الأم هي التي تقوم إجمالاً بكل ما يتعلق بتربية الأولاد، وتمضي وقتاً أكثر من زوجها مع أولادها. ولكن منذ عشرين سنة بدأت الأبحاث تركز على دور الآباء، واعترف الإختصاصيون أنهم بالفعل كانوا يتجاهلون أهمية هذا الدور.

فاليوم، حسب الإحصاءات العالمية، يمضي الآباء 33% من وقتهم مع أولادهم، وهي نسبة عالية مقارنة بالوضع منذ عشرين عاماً (حسب إحدى الدراسات، يمضي الأب اليوم من ساعتين إلى ثلاث ساعات مع أولاده، بينما كان يمضي حوالي الاثني عشر دقيقة يومياً منذ 35 عاماً). ولكن ليس مفهوم الوقت هو المهم، إنما نوعية تواجد الأب في حياة أولاده هي التي تهمننا.

نعم، للأب دور مهم جداً في تربية الأولاد، وتأثير عميق في حياتهم؛ ويتلخص هذا الدور في النقاط التالية:

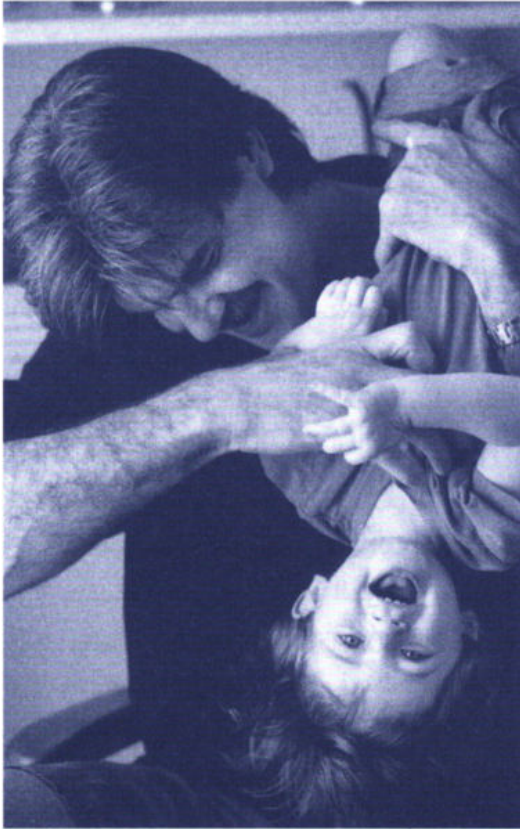
1 - إن الأب بكل بساطة مختلف عن الأم في أسلوب تواصله مع الأولاد، وكأن هناك شفرة (code) سرية بينه وبين ولده، أو على الأقل صلة مميزة. وغالباً ما تكون الأم غير مدركة لنوعية هذه الصلة، إنما يأتي الولد ويوضح لها بنفسه هذا الأمر، عندما يقول لها مثلاً: «البابا يرسم أحسن منك»، أو «البابا علمني هيك، أحسن منك!»...

2 - إذا راقبنا كيف يحمل الأب المولود الجديد، نلاحظ أنه عندما يقترب منه، يبدأ أولاً بدغدغته، ثم يحمله في الهواء، وينطنطه إلى الأعلى... والأولاد يحبون ذلك كثيراً، فهناك دراسة بينت أن ابن الثمانية أسابيع يستطيع أن يميّز بين الذكور والإناث عندما يقتربون منه، فعندما يتوقع المولود أن والده يقترب منه ليحمله، يفتح عينيه كثيراً، ويرفع كتفيه، وتتسارع دقات قلبه وكأنه يتنبأ بالإثارة! وبالفعل يشبه الأب هنا نسخة عملاقة من إحدى الألعاب البراقة التي تصدر جميع أنواع الأصوات نعطيها لأولادنا لإثارة حواسهم... إن هذه الإثارة الحسية الجسدية مهمة جداً للدماغ في مرحلة نموه.

كذلك لاحقاً عندما يكبر الأولاد، يستمر الأب في تأمين هذه الإثارة الحسية الجسدية (ألعاب المصارعة على السرير، والمشاركة في ألعاب الكرة، وركوب

الدراجة، إلخ.) والأولاد، خاصة الذكور منهم، يبحثون عن ذلك وينتظرون والدهم بشغف لممارسة مثل هذه الألعاب.

3- يوفر الأب ظروف التحدي لأولاده، فهو إجمالاً يتوقع منهم أكثر مما تتوقعه الأم: مثلاً، عندما ترى الأم أن هناك حاجزاً أمام ابنها، تركز لنزعه من أمامه، بينما الأب يدعه مكانه وكأنه يشجع ابنه على تحدي الحاجز... وإذا وقع الولد، يصيح الأب: « هيا، إنهض، باستطاعتك أن تقوم بذلك!»، وقد يحتضنه ويقبله لبرهة، ولكن بعدما يهدأ الطفل، يعود الأب ويشجعه على المحاولة من جديد... هذا شيء لا تفعله الأم، وكأنها غير مستعدة لتكرار الظرف إذا كان فيه مخاطرة. إننا نلاحظ أيضاً هذه الأمور في



طريقة التحدث مع الطفل، مثلاً قد نسمع الأب يقول له: «تستطيع ركوب الدراجة، كل أصحابك يستطيعون!»؛ هذا شيء لا تقوله الأم أبداً لأولادها!

قد يشعر القارئ أن هناك تناقضاً بين أسلوب الأب وأسلوب الأم، وأن ذلك مضر بالنسبة للأولاد... إننا لا ننظر إلى هذه الأمور كتناقض بل كتكامل في توزيع الأدوار ضمن العائلة، فمثلاً عندما يقع الطفل أرضاً خلال تعلمه ركوب الدراجة، تهول الأم لتهدئته ويعود الأب فيشجعه للمحاولة مجدداً، إننا لا نرى في ذلك تناقضاً. فالولد يحتاج إلى أن يعرف أن هناك أحداً

سوف يكون موجوداً إذا فشل (دور الأم) ولكن إذا لم يدفع الولد إلى الأمام (دور الأب) فإنه لن يحاول شيئاً في حياته!

4 - إن لغة الأب تختلف عن لغة الأم، فالأب إجمالاً يستعمل كلمات معقدة خلال تحدثه مع أولاده، أي إنه لا يقوم بالمجهود الذي تقوم به الأم تلقائياً لتسهيل اللغة للولد ولتتأكد أنها أوصلت له رسالتها. هذا وإن استخدام لغة راشدة مع الأولاد مقابل لغة مبسطة قد يساهم في إغناء القدرات اللغوية عندهم.



5 - يوافق الجميع على أن سلطة الأب التربوية أقوى من سلطة الأم، فالأب يستخدم حاجزاً عاطفياً أكثر من الأم في تعامله مع أولاده، فيسهل على الأب أكثر من الأم أن يقول بصرامة: «اذهب الآن إلى غرفتك!» لأنه يقول ذلك من دون أن يفتح المجال لأيّة مداعبة عاطفية من قبل الولد، وهو شيء لا تقدر الأم عليه! فكلنا نعلم أن الآباء أقلّ تسامحاً من الأمهات في مثل هذه الأمور...

6 - إن الأب يجهز ولده للعالم الحقيقي، وهو يشعر بالفعل أن هذه مسؤوليته، فتراه مثلاً لا يتسامح بالنسبة لآداب المائدة، فيصر على أن يستعمل الطفل الشوكة بمفرده، بينما ترى الأم مصرة على توصيل اللقمة إلى فم ابنها بيدها! حتى كلامياً، يستعمل الآباء أسلوباً تخاف الأم إستعماله: «إذا استمرّيت في هذا السلوك، سوف يقولون عنك إنك أبله». إن الأم لا تقول شيئاً كهذا لابنها، فهي لا تريد أن يصطدم بالواقع الأليم... أما الأب، فلا يتردد في ذلك...

حتى عندما يكبر الأولاد، يستمر الأب في أسلوبه هذا، فمثلاً قد يقول لابنته المراهقة التي تخجل كثيراً من زملائها: «إذا استمرّيت هكذا سوف يضحكون عليك ويصفونك بالبلهاء»... إن الأم تخاف من إرسال هكذا صورة سلبية عن العالم في

أذهان أولادها، فهي تريد أن تحميهم، ولذلك تلجأ إلى أسلوب ملطف، أقل حدة من أسلوب الأب...

7- إن الأب يعطي لأبنائه صورة واقعية عن عالم الرجال، إذ نلاحظ مثلاً أنه، عندما ينفرد مع أولاده، يريهم كيفية استعمال بعض الأدوات «الذكورية»، ويديريهم على الرياضة، ويأخذهم معه إلى المكتب، وإلى ملاقاتة أصدقائه الرجال، إلخ... كل ذلك مهم جد بالنسبة للابن الذي يحتاج إلى إطار واقعي يتعايش فيه ضمن مفهوم «الرجولية»، وإذا لم يكن الابن على علاقة سليمة مع أبيه، فمن أين سيحصل على هذا الإطار؟

نلمس ذلك يومياً في حياتنا مع أولادنا، فعندما تتعطل آلة معينة في البيت مثلاً، ينتظر الولد عودة والده من العمل لكي يصلحها، حتى ولو كانت الأم قادرة على تصليحها... فهذا مثل عن «الإطار الرجولي» الذي تحدثنا عنه سابقاً، والذي يحبّ الابن أن يلجأ إليه، إذ إنه يعطيه نوعاً من المرجعية في بحثه عن هويته الجنسية.

8- الأب سند مهم للأم، ولعلّ هذه النقطة هي الأكثر تأثيراً على النمو السليم للأولاد؛ فالزواج هو كناية عن فريق عمل متكامل يسند الأب فيه الأم وتسد الأم فيه الأب. فعلى الأب أن يعرف كيف يعطي الأم من وقته ومن عاطفته، وهي تجد في ذلك راحة نفسية وعاطفية تسمح لها أن تعطي أولادها أكثر. وعندما نقول «سنداً»، لا نعني فقط أنه يأخذ الأولاد بنزهات شيقّة، أو يقرأ لهم القصص، أو يساعد في الطبخ، بل نعني أنه يقدر المجهود الذي تبذله زوجته في تدبير الأمور المنزلية والتربوية، ويحترمها ويعرّز حقوقها، مما يعطي الأم الطاقة العاطفية التي هي بحاجة إليها لمتابعة مسيرتها ضمن عائلتها - فحتى لو لم يقدّم الأب بأي من النشاطات التي ذكرناها أعلاه، يكفي أن يقدر زوجته كلامياً وفعالياً، وهذا هو الأهم.

9- إن التواجد النوعي للأب في الحياة العائلية يضمن نجاح الأولاد: كل الدراسات تشير أن للعلاقة السليمة بين الأب والأولاد تأثيراً كبيراً على قدرة الأولاد على التكيف في المجتمع، والإبداع في جميع النشاطات الحياتية، منها الأكاديمية والرياضية والاجتماعية.

ونذكر أخيراً بأن الأولاد الذين تمتعوا في طفولتهم ومراهقتهم بعلاقة جيدة مع آبائهم، يصبحون أزواجاً ناضجين وصالحين في المستقبل.

## تاسعاً - بعض المشاكل الشائعة في هذه المرحلة

### 1 - الكذب

إن حب الاطلاع عند الأطفال في هذه المرحلة من حياتهم حاد جداً، فهم يريدون أن يعرفوا معنى كل شيء يتعرفون إليه، ويكون خيالهم غنياً جداً، ويربطون كل شيء بأنفسهم، فعندما يسمع الطفل أحداً يتحدث عن السفر بالطائرة يسأل فوراً: «متى أصعد إلى الطائرة؟»، وعندما يسمع أحداً يتحدث عن مرض معين، يسأل فوراً: «هل سأصاب أنا بهذا المرض؟».

هذا وعندما يستطرد ابن الرابعة في سرد قصة من خياله فهذا لا يعني أنه يكذب، إذ إنه لا يعرف أين ينتهي الواقع وأين يبدأ الخيال ... لذلك تراهم يعشقون القصص والروايات التي نخبرهم إياها أو نقرأها لهم، لذلك أيضاً يخافون كثيراً من البرامج التلفزيونية العنيفة.

إن تأليف القصص في هذا العمر أمر طبيعي، والولد يخترع هذه القصص من أجل المتعة. فلا داعي لتأنيب الولد ومعاقبته عندما يقوم بهذا النشاط، أو حتى جعله يشعر بالذنب، كما أنه لا يجوز مناداته بالكاذب. كذلك فلا داعي للأهل أن يقلقوا من هذا الأمر طالما كان الطفل سعيداً واجتماعياً مع بقية الأولاد. لكن إذا أمضى الطفل وقتاً كثيراً من النهار يتحدث عن أصدقاء ومغامرات خيالية ليس لهدف المتعة بل كأنه يصدقها فعلياً، فقد يشير ذلك ربما إلى أنه غير راضٍ عن حياته، هنا يفضل تشجيعه على بناء صداقات مع رفاق من نفس العمر، ومساعدته على الاستمتاع واللعب معهم، كما أن ذلك قد يطرح سؤالاً آخر يتعلق بنوعية العلاقة التي تربطه مع والديه.

في كل الأحوال، عندما نواجه ولداً يكذب، يجب علينا أخذ عنصرين بعين الاعتبار: أولاً، وظيفة الكذب، وثانياً، استمراريته وتطوره.

### كيف يتطور الكذب عند الطفل؟

في عمر الثلاث أو أربع سنوات، يكتشف الولد أن هناك خياراً جديداً في الحياة، وهو أنه يستطيع أن لا يقول كل شيء! بعدها يكتشف أنه بإمكانه أن يقول أشياء غير موجودة (مثل اختراع القصة).

إن الانتقال من الاكتشاف الأول إلى الاكتشاف الثاني مرتبط بشكل وثيق جداً بتطور النطق، فالكذب عند الطفل هو تأكيد له أن عالمه الخيالي الداخلي يبقى له هو وملكه الشخصي، من هنا تأتي رغبته بأن لا يقول كل شيء وأن يخفي بعض الأشياء

عن الآخرين. وبما أن الطفل، في هذه المرحلة، لا يملك القدرة الذهنية لتمييز العالم الحقيقي من العالم الخيالي، آخذين بعين الاعتبار النمط السريع لتطور النطق المرافق لهذه المرحلة، نفهم لماذا يستمتع الطفل باختراع وتأليف القصص أمام الآخرين.

لكن، في عمر الست والسبع سنوات، يبدأ الولد بالتمييز بوضوح بين الصح والخطأ في محيطه، وهذا أمر طبيعي في مجرى التطور الأخلاقي عند الإنسان. ففي مثل هذا العمر تترسخ الأخلاق والقيم الاجتماعية الصالحة بشكل وطيد، وهكذا يتعلم الطفل من ناحية أن قول الحقيقة شيء مرغوب فيه اجتماعياً، ومن ناحية أخرى، يتعلم أن الكذب قد يساعده في الدفاع عن نفسه في ظروف معينة. ما هي أنواع الكذب التي نلمسها عند الولد؟

هناك الكذب الوظيفي (وهو شبيه بكذب الكبار)، أي الكذب لكسب امتياز معين أو منفعة معينة، مثل الكذب حول العلامات المدرسية. إن ردة فعل المحيط على هذه الأكاذيب هي التي تقرر مصير هذا السلوك. فالأمبالاة أو التصديق يعززان الكذب عند الولد ويساعدانه على تعميمه إلى ظروف مختلفة.

أما المبالغة في تلقين الدروس والمواعظ الأخلاقية فقد تؤدي إلى وقوع الولد في سلسلة من الكذب المتكرر (يكذب مرة ثانية لتغطية الكذبة الأولى)، فيعتبر أن الكذب هو الطريقة الوحيدة والأسهل للتعامل مع متطلبات الأهل والمدرسين، أو لتغطية مشاكل خطيرة.

من المهم جداً أن نشير إلى الولد أننا انتبهنا إلى أكاذيبه من دون الإصرار المبالغ على ذلك، هكذا يتعلم الطفل أن الكذب لا ينفع، علماً بأن أكثر أسباب الكذب هي لفت الانتباه، أو الانتقام من الأهل.

كما أننا نذكر بأهمية دور الأهل كنماذج في حياة أولادهم: في الكثير من الأحيان، يكذب الأهل على أولادهم، وهكذا تصبح كلماتهم من دون مصداقية أو قيمة لدى الولد، ويصبح الكذب مع الوقت أسلوب التعامل المميز وربما الوحيد مع الآخرين داخل المنزل وخارجه.

أما النوع الثاني فهو الكذب التعويضي، وهو أيضاً يمنح الولد امتيازاً معيناً ولكن هذا الامتياز هو إعطاء صورة ذاتية أفضل بالنسبة له، مثلاً، عندما يخترع الولد عائلة أغنى أو أجمل، أو عندما يخترع إنجازات مدرسية متفوقة، أو بطولات رياضية خارقة، أو حياة غرامية مثيرة...

في الطفولة، تعتبر هذه الاختراعات طبيعية، حتى أن بعض الأولاد يطورون ما

نسميه «بالرواية العائلية»، وهي كناية عن عائلة منسوجة من خيال الطفل، وهي كبيرة ومعقدة ويدور فيها كل أنواع الحوار بين أعضائها، أو يخترع الطفل أخوا توأماً له ويتحاور ويلعب معه...

حتى عمر الست سنوات، لا داعي للقلق حيال هذا الأمر، طالما كان الولد سعيداً في أسرته، واجتماعياً لديه أصدقاء، ولا يتصرف بغرابة في البيت وفي المدرسة. أما إذا استمرت هذه الممارسات عنده بعد هذا العمر، فيتوجب علينا التدخل لمعرفة السبب الحقيقي وراء هذه التخيلات: فإذا كان الوالدان بعيدين عاطفياً عن ابنهما ولا يظهران الحنان والمحبة التي يحتاجها، فقد يخترع الطفل عائلة محبة عطوفة سخية بالتعبير العاطفي تجاهه... وإذا كان الوالدان متسلطين ويعاقبانه بشدة، فقد يلجأ الولد إلى اختراع أخ أو رفيق شرير ليلومه على كل التصرفات السيئة التي قام بها أو قد يفكر بالقيام بها.

أخيراً، نود إنذار الأهل بعدم الانجراف في خيالهم أمام الأولاد بشكل مفرط، فهناك أهل يحبون كثيراً ملء حياة أولادهم بقصص خيالية. إن ذلك قد يجعل الولد يقارن باستمرار بين قصص والأعيب أهله وقصص وألعاب الرفاق أو حتى المعلمة

### إرشادات لمواجهة الكذب عند الأولاد

- عدم تحقير الولد أو جعله يشعر كأنه مجرم.
- عدم مناداة الولد بالكاذب (عدم التصنيف).
- عند الاكتشاف أن الولد يكذب، نقول له بكل بساطة: «أخبرني كيف كان الأمر، لا كيف تريده أنت أن يكون».
- التأكد من أن الولد يعلم أنك تحترمه لأنه قال الحقيقة.
- يجب أن يعلم الطفل أنه سوف يفقد ثقة الآخرين إذا استمر بالكذب، وتوضيح هذا الأمر له باستخدام وسائل ملموسة (قصص - ألعاب...).
- إذا كذب الولد بأمر واحد فقط أو على شخص واحد فقط، فقد يعني ذلك أن هناك مشكلة مهمة قائمة حول هذا الأمر أو هذا الشخص، ويجب التدخل فوراً لمعالجة الوضع.
- يجب أن يعلم الطفل أنك تريد الاستماع إلى الحقيقة بكل بساطة، حتى ولو كان في الأمر ما يحرجه، وأنت تريد مساعدته وليس معاقبته.

في المدرسة ولا يجدها مثيرة، وتدرجياً يفقد الاهتمام بالأولاد وبالمدرسة وينعزل، خاصة في مرحلة الروضات.

## 2 - السرقة

حتى عمر الست سنوات، لا نعتبر أخذ الطفل شيئاً يحبه سرقة، فمعظم الأولاد يأخذون غالباً ما يريدون عندما يرونه، ويجب تعليمهم بشكل تدريجي وكلما كان الظرف ملائماً (في السوبر ماركت مع أمه عندما يأخذ لوحاً من الشوكولا عن الرف، أو عند عودته من بيت صديقه مع لعبة في جيبه) مفهوم المشاركة، وتدريبهم على أن يطلبوا الإذن إذا أرادوا شيئاً. أما إذا استمر هذا السلوك بعد العام السادس حيث تصبح المفاهيم الأخلاقية واضحة في ذهن الأولاد، فهناك العديد من الأمور التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار إذا أردنا التدخل لمساعدة الطفل.

موقع السرقة: المكان هو البيت أولاً وأعضاء الأسرة هم الأشخاص المستهدفون للسرقة (الأم بالأخص)، ومن ثم الجيران، فالمدرسة، فالنادي، إلى أن تطال المحلات والأمكنة العامة.

الأشياء المسروقة: في البدء تكون الأشياء تافهة (مثل أنواع معينة من الطعام، ألعاب صغيرة...)، ثم تصبح ذات فائدة (مثل المال)، أو أشياء يرغبها الولد بشدة (كتب، أقلام حبر، حلي أو مجوهرات...)، أو يحبّ تجميعها. من المهم أيضاً أن نذكر أن الشيء المسروق أحياناً ليس له أية قيمة خاصة للولد، فتكون السرقة فقط من أجل السرقة!

استعمال الشيء المسروق: أحياناً يُستهلك الشيء فوراً، وأحياناً أخرى يخبئه الولد ويعيش حالة قلق وخوف من أن يكشف. كما أن هناك أولاداً يسرقون ويتركون الشيء المسروق بشكل واضح وظاهر وكأنهم يريدون أن يكشف أمرهم. وهناك أخيراً الولد الذي يسرق الشيء ليدمره أو ليوزعه على الآخرين («السارق الكريم»)، أو يسرق لخلق الأصدقاء.

شخصية الطفل السارق: هناك اختلافات كثيرة في الشخصيات، فعند الطفل الصغير، الشعور بالذنب ضئيل جداً، لكن عندما يكبر، هناك إجمالاً صراع داخلي حاد عند الولد وقلق كبير حول الفعل، فهو إجمالاً ينزوي بعد القيام بفعله ويشعر بالقلق الشديد وبدرجة عالية من الذنب. لكن أحياناً يتصرف الولد وكأنه من حقه أن يحصل على الشيء، أي إنه يطالب بشيء حرم منه وتأتي السرقة كتعويض عن نقص ما أو لتصحيح حالة ما.

إن الولد السارق إجمالاً لا يثق بالآخرين، ولا يتمكن من إقامة علاقات حميمة مع



الغير (عند المراهقة نراه يسرق مالم من أهله «لشراء» صداقات). وهو ولد غير سعيد، ومنعزل، وعلاقته مع أهله غير وطيدة (يغار من إخوته، يحقد على والديه...).

أسباب السرقة عند الولد: إن الأسباب الظاهرة المباشرة للسرقة كثيرة، وأهمها: ضغط من الأقران، أو لإظهار الشجاعة أمام الأصدقاء، أو بسبب الحاجة (الفقر).

أما الأسباب المبطنة فعديدة: قد يسرق بسبب الغضب من أهله فيحاول استرداد الحنان والتفهم الذي يشعر أنه يفترقه. وفي هذا الإطار، نلاحظ أن معظم حالات السرقة تحدث في ظروف انفصال عائلي من طلاق أو غيره، أو في العائلات ذات

### ما هي التدابير المناسبة لمواجهة السرقة عند الأولاد؟

- يجب إفهام الولد أن السرقة غير مسموحة وغير مقبولة كلياً ضمن تقاليد العائلة.
- عند اكتشاف السرقة، يجب التصرف بصرامة: على الأهل أن يعرفوا من أين أتى الولد بالشيء وإفهامه أنه يجب رده أو دفع ثمنه.
- التأكد من أن الطفل لم يستفد من السرقة تحت أي ظرف كان.
- عدم إذلال الولد وإحراجة وتسميته «بالص».
- بعدما يعاد الشيء المسروق إلى مصدره، من الأفضل عدم فتح الموضوع ثانية مع الولد.
- مراقبة سلوك الطفل بعد حادثة السرقة، فإذا تكرر الفعل قد تكون السرقة ناتجة عن مشاكل خطيرة معقدة في تطوره العاطفي، ويجب معرفة السبب الحقيقي بمساعدة إختصاصي نفسي يكشفه ويصمم الخطة العلاجية المناسبة.

الأسلوب التربوي المتسلط حيث القوانين الأخلاقية الصارمة والقواعد التربوية المتشنجة أو العكس تماماً، أي العائلات المتسامحة حيث الإهمال الكلي حيال المفاهيم الأخلاقية.

فالتعامل بقسوة مع فعل السرقة يؤدي إلى أن يكون الولد صورة ذاتية سلبية («أنا سارق»)، ويعتبر نفسه مصدر شكوك الجميع مما يجعله يكرر السلوك وكأنه يريد تأكيد شكوك الآخرين فيه!

أما إهمال السلوك من قبل الأهل فيؤدي إلى أن يشعر الولد وكأنه معذور في سلوكه هذا، أو حتى كأنه مسموح له أن يسرق.

## 3 - الخوف

إن العالم الطفولي في معظمه عالم سحري تتشابك فيه الأمور الواقعية بالحياة الخيالية... وتتشعب في مخيلة الطفل مخاوف عديدة نعتبرها بمعظمها حالات طبيعية قصيرة الأمد...

## أ - تطور المخاوف عند الأولاد

- الخوف من الغرباء: ابتداءً من شهره الثامن، يبدأ المولود بإظهار حالة من الرعب عندما يتواجد أمام إنسان غريب، حتى ولو كانت أمه مع قبعة جديدة، أو والده إذا وضع نظارات مختلفة! تزول هذه الحالة إجمالاً عند الشهر الخامس عشر من عمره.

- مخاوف العام الأول: بالرغم من حب الاستكشاف للأشياء غير المألوفة الذي يتزايد خلال العام الأول، تنشأ مخاوف عديدة عند الطفل، أهمها: الخوف من شيء غريب يتحرك فجأة أو يصدر صوتاً قوياً، والخوف من بعض الكتب حيث الصور تبرز خارج الصفحات عند فتحه، والخوف من المظلة التي تفتح فجأة أمامه، والخوف من نباح الكلب، ومن صفارة سيارة الشرطة، إلخ... من المخاوف الشائعة أيضاً في هذا العمر، الخوف من الاستحمام، فهو يخاف من الانزلاق تحت المياه، أو من الصابون داخل العيون، أو من سماع صوت الماء يجري من الحنفية. إننا لا نحبذ إرغام الطفل في هذا العمر على الاستحمام في المغطس إذا كانت لديه هذه الحالة من الرعب حيال الاستحمام، بل نفضل استخدام «التلييف» الملطف بالماء والصابون، واستعمال الشامبو الخاص بالأطفال الذي لا يزعج العين، والانتظار بصبر حتى يزول هذا الخوف تدريجياً، حيث يستطيع الطفل الجلوس مجدداً في المغطس بهدوء ومن دون خوف.

- مخاوف العام الثاني: تتميز هذه المرحلة من حياة الطفل بالقلق من الانفصال عن الأم، أو عن الوالدين معاً. إن ذلك يعود إلى مدى إدراك الطفل بأن أمانه يعتمد على كونه قريب من والدته.

نلاحظ أن هذا القلق يتفاقم عند وقت النوم، حيث يقاوم الطفل بشدة فكرة الذهاب إلى السرير، ويفرض على والدته البقاء معه أو إلى جانبه حتى ينام، وغالباً ما يلجأ إلى عذر الذهاب إلى الحمام فقط لكي يبقيها مستنفرة معه. نصيحتنا للأم في مثل هذا الظرف هو الجلوس إلى جانب سرير الطفل بكل هدوء، وعدم مغادرة الغرفة قبل التأكد من أن الطفل قد نام، حتى ولو اضطرت الأم أن تتبع هذا الأسلوب لأسابيع عديدة، بالنهاية سوف تنجح.

كذلك، من الأفضل تجنب التغييرات الجذرية في حياة الطفل خلال هذا العام، وعدم الإفراط في الرعاية والحماية (الهرولة إلى الغرفة كلما بكى الطفل، والتعبير الواضح عن الشعور بالذنب كلما اضطررنا إلى مغادرة البيت...)

- المخاوف بين الثلاث والخمس سنوات: تبرز في هذه المرحلة المخاوف التي هي من نسج الخيال: الخوف من الظلام، ومن الكلاب، ومن الموت، ومن المعاقين... فمخيلة الطفل في هذه المرحلة من حياته تكون قد تطورت إلى درجة أنه يستطيع أن يضع نفسه مكان الآخر ويتصور المخاطر التي يواجهها، ففضوله يتفاقم ويتشعب في كل الاتجاهات، ويريد أن يعرف سبب كل شيء، وأيضاً علاقة الأشياء به، فإذا سمع أحداً يتحدث عن الموت، يريد أن يعرف ما هو الموت وهل هو سوف يموت يوماً ما.

إن هذه المخاوف تكون شائعة عند الأولاد الذين خضعوا في طفولتهم المبكرة لممارسات شبه قاسية عند عملية الإطعام، أو التدريب على النظافة، حيث غذيت مخيلتهم بالقصص المرعبة أو التهديدات العديدة. كذلك نلاحظها عند الأولاد الذين ترعرعوا في عائلة مفرطة العناية والحماية.

### بعض النصائح للتخفيف من مخاوف الولد:

- مسؤولية الأهل ليست مكافحة الخوف عند الولد. لأن الخوف شعور طبيعي موجود عند كل الأولاد. المهم هو مساعدة الولد في اكتساب استراتيجيات بناءة للتعامل مع مخاوفه.
- طمأنة الولد الخائف وتهديته وتوفير الثقة والأمان له.
- عدم السخرية من الولد، وعدم محاولة إقناعه بأن مخاوفه غير منطقية أو تافهة.
- التحلي بالصبر حيال هذه المخاوف لأنها سوف تزول لكي تأتي مخاوف أخرى مكانها (ننصح الأهل بمراجعة الجدول الوارد في نهاية الفصل).
- تجنب الأفلام المرعبة على التلفزيون، أو القصص التي تحتوي على مضمون مخيف وصور مفزعة.
- توفير الفرص الكافية للاختلاط مع أولاد من عمره، فكلما انهمك وشارك في نشاطات خارجية، خف قلقه من مخاوفه الداخلية.
- يجب تشجيع الولد على التعبير عن مخاوفه، وأن يتكلم عنها.

## ب - الخوف من المدرسة

نلاحظ أن الخوف من المدرسة شائع أكثر عند الذكور مما عند الإناث، ويبرز بين عمر الخمس سنوات والثلاثة عشر عام. إن الولد الذي يعاني من الخوف من المدرسة يرفض الذهاب إليها لأسباب غير عقلانية، ويظهر ردات فعل عميقة وحادة جداً عندما نحاول إرغامه على الذهاب. فماذا يحصل آنذاك؟

عند ساعة الذهاب، تصيبه حالة من الهيجان والرعب، ويبكي ويتوسل لأهله كي يبقيانه في البيت، ويعدّهما أنه سوف يذهب غداً. أما إذا أرغماه فتجتأحه حالة من الهلع البالغ، ويقفل على نفسه غرفته، أو يهرب باكياً. في هذه الظروف لا أحد يستطيع التحاور معه (أحياناً أخرى قد يذهب إلى المدرسة وهو في حالة هدوء، لكن سرعان ما يهرب ويعود إلى البيت). في معظم الأحيان يشكو من أعراض جسدية (ألم في الرأس، في المعدة، تقيؤ...) ونادراً ما تلاحظ أية عدوانية في تصرفاته.

بعد زوال خطر الإرغام على الذهاب إلى المدرسة يهدأ الولد بشكل مفاجيء، وهو إجمالاً ولد سهل ومتعاون خارج إطار هذا الخوف. في البيت، لا يرفض الدرس، بل بالعكس يدرس جيداً وكأنه يريد أن يعوّض ما فاتته، وفي معظم الأحيان يتميز مستواه التعليمي بالتفوق.

عندما نسأله عن عدم رغبته بالذهاب إلى المدرسة، يخلق أسباباً ومبررات عديدة، مثل: «الأستاذ قاس جداً معي» أو «الأولاد يضحكون علي» أو «إن المدرسة غير جيدة» أو يدعي المرض من أجل التغيب.

تشير الدراسات التي أقيمت حول الخوف من المدرسة إلى أن معظم هؤلاء الأولاد ينتمون إلى نوع معين من العائلات، حيث تكون الأم هي نفسها امرأة قلقة جداً، وتبالغ في حمايتها وعنايتها لابنها، وبالتالي تعزز الاتكالية عنده، فهو بالفعل ولد شديد التعلق بأمه، ويحطل بعض علماء النفس (أمثال: فرويد، وكلاين) هذه العلاقة بين الأم والابن بأنها تتسم بدرجة عالية من العدوانية الباطنية المكبوتة تجاه أمه، تلك الأم التي تجتاح عالمه بشكل فادح، وأن حالة القلق الشديد التي يشعر بها الولد حيال هذه العدوانية المكبوتة تجعله يخاف أن يغادر البيت لأنه يخشى حدوث أي مكروه لأمه وهو بعيد عنها وغير قادر على حمايتها فيكون بالتالي هو المسؤول المباشر عن هذا الأذى. أما بالنسبة للآب، فهو إجمالاً غير

موجود (جسدياً أو عاطفياً) في الحياة العائلية، وتبدو العلاقة بينه وبين الولد فقيرة جداً وهو لا يوفر الطمأنينة والأمان للولد.

إن الأسباب وراء الخوف من المدرسة متنوعة، وقد تكون موضوعية (لا أصدقاء له ويشعر بالوحدة، أو هناك تمييز اجتماعي أو عنصري حياله، أو لأنه الأصغر سناً في الصف ولا يتكفّف مع بقية الأولاد، أو لأن المعلمة ترعبه بأسلوبها الخاص...)، أو باطنية ونفسية (مثل الولد الذي يقلق بأن سوءاً ما سوف يحصل في البيت عند غيابه، ونجد مثل هذه الحالات إجمالاً في العائلات حيث الشجارات العنيفة المستمرة بين الوالدين، أو حيث هناك تهديد بالطلاق...)

نذكر بأن مخاوف الأطفال هي حالات طبيعية، حتى الخوف من الذهاب إلى

### نصائح عامة لمواجهة الخوف من المدرسة

- التحلي بالصبر حيال المشكلة، والإدراك أن هناك سبباً معيناً لرفض الولد الذهاب إلى المدرسة، ولا يتصرّف هكذا فقط لأنها مجرد «عادة سيئة» أو «غنج ودلع».
- عدم الرضوخ إلى رغبة الولد بالبقاء في البيت.
- طمأننة الولد بأنك ستذهب معه لتقيّم الوضع في المدرسة، وأن كل شيء سيكون على ما يرام ولا داعي للقلق لأنك معه.
- في المرحلة الأولى، اصطحاب الولد إلى المدرسة، والبقاء معه لوضع ساعات (بالاتفاق مع المعلمة) للتأكد من أنه بدأ يتكيف مع المعلمة والأولاد، ومن ثم مغادرة المدرسة معه. (هذه المرحلة قد تمتد من يومين إلى أسبوعين!).
- قراءة قصص لطيفة حول المدرسة، ولعب لعبة «المدرسة» معه في البيت باستخدام الألعاب والدمى.
- عند انتهاء المرحلة الأولى (أي عندما أصبح الولد بالفعل متكيفاً مع الجو المدرسي) إخباره أنك غداً لن تبقى معه ولكنك سوف تعود إلى المدرسة لاصطحابه إلى البيت، وإن المعلمة سوف تهتم به.
- التنسيق مع المعلمة لكي توفر له الانتباه والحنان والأمان خاصة في الأيام الأولى من بقائه بمفرده في المدرسة، على أن تخفف ذلك تدريجياً لكي يتشجع الولد على التصرف باستقلالية واتخاذ المبادرات والمشاركة العفوية في نشاطات الصف.

المدرسة، ولكن عندما لا يتمكن الولد من تجاوز هذا الخوف، وعندما يصبح الخوف حالة مَرَضِيَّة مثل التي وصفناها آنفاً تسيطر على مشاعره ونشاطاته اليومية لفترة زمنية طويلة، تصبح نوعاً من الرُّهاب وتصنف في علم النفس ضمن خانة اضطرابات القلق اللاتطبيعي.

نوع المخاوف	العمر بالسنوات
مخاوف سَمْعِيَّة (القاطرات - الرعد - المكائس الكهربائية) مخاوف بصرية (الألوان القائمة - المجسمات الضخمة - العرائس المتحركة) مخاوف مكانية (الانتقال إلى بيت جديد) مخاوف شخصية (الانفصال عن الأم وقت النوم - خروج الأم من البيت)	2
مخاوف من الحيوانات والأحجام الضخمة (الناقلات)	2 1/2
مخاوف بصرية (المسنون - الأقنعة - الغلام - حيوانات - رجال الشرطة - اللصوص) مغادرة الأم أو الأب (خاصة ليلاً)	3
مخاوف سَمْعِيَّة (الماكينات) الغلام - الحيوانات البرية - مغادرة الأم (خاصة بالليل)	4
فترة خالية نسبياً من المخاوف (إذا كانت موجودة، تكون واقعية مثل الخوف من الإيذاء - الأشرار - الاختطاف - الكلاب - الخوف من عدم عودة الأم أو الأب إلى المنزل)	5
تزايد المخاوف: سَمْعِيَّة (جرس الباب - التليفون - الأصوات المخيفة - أصوات الحشرات) خرافية (الأشباح - العفاريت - الساحرات) - مكانية (الضياء - الغابات) العناصر الطبيعية (النار - الماء - الرعد - البرق) اختباء أحد في المنزل أو تحت السرير - النوم المنفرد - البقاء في حجرة مغلقة - الخوف من ألا يجد أمه عند العودة للبيت أو أن يحدث لها أذى أو أن تموت - اعتداء أحد عليه بالضرب - الجروح والدم	6
مخاوف بصرية (الغلام - الممرات الضيقة - الظلال على الجدران) الخوف من الحروب والدمار - الجوايسيس واللصوص - اختباء أحد في المنزل - الوصول متأخراً إلى المدرسة - فقدان حب الآخرين	7

## لمحة موجزة لأهم المحطات التطورية عند الطفل بين السنتين والست سنوات

العمر	التطور الحركي	التطور الاجتماعي والتواصل	التطور الذهني
سنتان ونصف	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يصعد وينزل الدرج مستنداً الى الحائط</li> <li>- يقفز في مكانه</li> <li>- يرفس الكرة بقدمه</li> <li>- يلتقط الأشياء الصغيرة بأصابعه</li> <li>- يرسم خطأ عامودياً</li> <li>- يبدأ بركوب الدراجة (3 عجلات)</li> <li>- يستعمل الملعقة والشوكة</li> <li>- يستطيع ارتداء حذائه</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يقلد جميع الأصوات بسهولة</li> <li>- يستعمل جملاً من 3 الى 5 كلمات</li> <li>- يستعمل الجمع في كلامه</li> <li>- يستطيع اللعب بمفرده</li> <li>- بالعابه</li> <li>- يحاول الإعتماد على نفسه في العديد من المهارات</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يفهم وظيفة الأشياء</li> <li>- يعتمد على الخيال في لعبه</li> <li>- يفهم معنى الماضي والمستقبل</li> </ul>
3 سنوات	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يلتقط الكرة</li> <li>- ينسخ الدائرة</li> <li>- يمسك القلم جيداً</li> <li>- يستعمل المقص مع مساعدة</li> <li>- يغسل يديه ووجهه جيداً</li> <li>- يرتاد المرحاض بمفرده</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يلجأ الى العنف لحل مشاكله</li> <li>- يبدأ باللعب مع الآخرين</li> <li>- يتقبل الفراق عن أمه أكثر من ذي قبل</li> <li>- تبرز عنده الفضولية الجنسية</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يطابق الأشياء المشابهة</li> <li>- يعد من 1 الى 3 أشياء أمامه</li> <li>- يعرف جنسه</li> <li>- يلعب مع الآخرين لكنه لا يفهم قواعد اللعبة</li> </ul>
4 سنوات	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يتحكم في استخدام المقص</li> <li>- يقفز على قدم واحدة</li> <li>- يرتدي السروال بمساعدة</li> <li>- ينسخ المربع</li> <li>- يرسم شخصاً من 3 أعضاء</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يلعب مع الآخرين</li> <li>- يستمع الى القصة ويجيب على الأسئلة حول الأحداث</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يستطيع العد من 1 الى 10</li> <li>- يميز بين الألوان</li> <li>- يعرف سبب الحدث</li> </ul>
5 سنوات	<ul style="list-style-type: none"> <li>- ينسخ المثلث جيداً</li> <li>- يرسم بيتاً</li> <li>- يرتدي سرواله من دون مساعدة</li> <li>- يفرك اسنانه ويغسل وجهه ويديه جيداً</li> <li>- يحاول ربط الحذاء</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يستطيع أن يخبر قصة مع تسلسل زمني للأحداث</li> <li>- قاموسه يحتوي على ما يقارب 2500 كلمة.</li> <li>- يستعمل جملاً معقدة ومركبة</li> <li>- يصبح أقل أنانية</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يطابق الصور المتشابهة</li> <li>- يعد من 1 الى 15</li> <li>- يستطيع ان يعد حتى 15 شيئاً أمامه</li> <li>- يستطيع تصنيف الأشياء</li> <li>- يبرز الخيال والابداع في رسوماته</li> </ul>

## 168 ..... الفصل 1 : التطور الجسدي والحركي

- اولا : النمو الجسدي
- ثانيا : مشاكل صحية شائعة في الطفولة الوسطى
- ثالثا : التطور الحركي
- رابعا : الفروقات الفردية

## 176 ..... الفصل 2 : التطور الذهني

- اولا : العمليات الذهنية حسب نظرية «بياجية»
- ثانياً : الإنتباه
- ثالثاً : الذاكرة
- رابعا : التعلم الأكاديمي
- خامسا : تطور النطق في الطفولة الوسطى
- سادساً : الإعاقات التعليمية
- سابعا : الطفل الموهوب



# طفلك

## بين السادسة والحادية عشرة

الفصل 3 : التطور العاطفي والإجتماعي ..... 192

أولاً : نظرية « أريكسون » للتطور الإجتماعي

ثانياً : الصورة الذاتية

ثالثاً : التطور العاطفي

رابعاً : التطور الإخلاقي

خامساً : الصداقات والتصرف الإجتماعي

سادساً : تأثير العائلة على التطور الإجتماعي

سابعاً : الطلاق

ثامناً : العنف ضد الأولاد

## التطوّر الجسدي والحركي



إن المرحلة التي تمتد من الست سنوات حتى الأحد عشر عاماً تدعى مرحلة الطفولة الوسطى، فخلال هذه المرحلة، نحمل أولادنا مسؤوليات جديدة، وكأننا نهيئهم للدخول إلى عالم الراشدين. فالمدرسة تلعب دوراً كبيراً في هذه المهمة من خلال مساندتها للأهل في تدريب أولادهم على تحمّل هذه المسؤوليات في مجتمع معقد لاكتساب درجة أعلى من الاستقلالية والكفاءة والإنتاجية.

### أولاً - النمو الجسدي

عند عمر الست سنوات، يكون الدماغ قد بلغ 90 % من حجمه الطبيعي، ويستمر الجسد في عملية نمو بطيء مقارنة بالمرحلة الأولى (من الولادة حتى السنتين) حيث كان النمو الجسدي سريعاً جداً.

فمن العام السادس حتى العام الحادي عشر، يزداد طول الطفل حوالي الستة سنتيمترات سنوياً، ويزداد وزنه ثلاثة كيلوغرامات سنوياً. هذا وتبدو الإناث أخف وأقصر من الذكور بين العام السادس والعام الثامن، ولكن ابتداءً من العام التاسع ينعكس هذا الاتجاه، فنلاحظ قفزة مهمة في نمو الإناث عند اقترابهن من العام العاشر.

وعند الذكور كما عند الإناث، يبدو أن القسم الأسفل من الجسد ينمو بسرعة كبيرة، لهذا السبب غالباً ما تلاحظ الأمهات أن سراويل ابنها لم تعد صالحة للارتداء، كذلك الأحذية، بينما لا يلاحظن فرقاً كبيراً في القمصان أو الجاكيتات.

عندما نتكلم عن النمو الجسدي، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الفروقات الفردية التي نلاحظها بين الأولاد، وهي ناجمة عن عوامل عديدة، أهمها: دور الوراثة، ودور البيئة. إن حجم الجسد يأتي أحياناً نتيجة عمليات تكيف تطوري لمناخ معين، فمثلاً نلاحظ أن الجسد الطويل النحيف موجود بشكل نموذجي في المناخات الاستوائية الحارة، بينما نجد الجسد القصير الممتلئ في المناطق القطبية الشمالية الباردة.

هذا وإن الأولاد ذوي القامة الطويلة يعيشون عادة في البلاد الصناعية المتطورة، حيث الطعام متوفر بكثرة، ونسبة الأمراض المعدية متدنية جداً، بينما الأولاد ذوو القامة القصيرة يعيشون إجمالاً في البلاد النامية والمتخلفة، حيث الفقر والمجاعة، والأمراض شائعة.

كذلك، يلاحظ الخبراء أن هناك تغيرات مهمة في حجم الجسد من جيل إلى جيل في البلاد الصناعية حيث يبدو أولاد اليوم أطول وأثقل من والديهم وأجدادهم عندما كانوا في عمرهم. يلاحظ هذا الاتجاه في معظم البلدان الأوروبية، وفي اليابان، وكذلك في الولايات المتحدة، ويُعتقد أن هذا النضوج الجسدي المبكر لدى أولاد اليوم يعود إلى التقدم الكبير في المجال الصحي، والسياسة الغذائية في هذه البلدان.

#### النمو العظمي

خلال مرحلة الطفولة الوسطى، يزداد العظم طولاً وعرضاً، وتزداد العضلات قوة، مما يعطي الأولاد في هذه المرحلة مرونة حركية مذهشة، وليونة جسدية استثنائية، تمنحهم القدرة على القيام بالتواءات جسدية في الرياضة والرقص والمباريات المختلفة...

في هذه المرحلة أيضاً، يحدث نمو مهم جداً في هذا الإطار، وهو تبديل «أسنان الحليب» بالأسنان الدائمة، فبين العام السادس والعام الثاني عشر، تتبدل كل الأسنان الرئيسية (وعدها عشرون) بالأسنان الدائمة، فتقع أولاً الأسنان القواطع في الوسط (الأسنان الأمامية العليا والسفلى) وتبدو الأسنان الدائمة كبيرة جداً لبعض الوقت، ولكن مع نمو عظام الوجه، بالأخص في منطقتي الفك والذقن، يزداد وجه الطفل طولاً ويتسع الفم مما يسمح للأسنان الجديدة أن تتخذ على شكلها النهائي المتجانس. إنما نلاحظ أن حوالي ثلث الأطفال في هذا العمر يعانون من

مشكلة في ترتيب أسنانهم، حيث أن الأسنان العليا لا تتلائم مع الأسنان السفلى بالشكل الطبيعي، مما يؤدي إلى صعوبات في العض أو مضغ الطعام. إن هذه المشكلة قد تكون ناتجة عن عادة مص الإصبع عند الولد بعد تكوين الأسنان الدائمة.

### ثانياً - مشاكل صحية شائعة في الطفولة الوسطى

يبدو الأولاد في أحسن حالاتهم الصحية خلال مرحلة الطفولة الوسطى، وهذا يعود إلى عوامل عديدة أهمها: التغذية السليمة، والنمو السريع لجهاز المناعة في الجسد مما يمنح وقاية كبيرة ضد الأمراض، وبالفعل، نلاحظ أن الالتهابات والأمراض المعدية تخفّ عما كانت عليه في المرحلة السابقة.

لكن بالرغم من ذلك، فهناك مشاكل صحية مختلفة تظهر خلال هذه المرحلة، ومعظمها تطال الأولاد في الطبقات الاجتماعية ذات الدخل المحدود، وفي البلدان الفقيرة حيث التغطية الطبية والخدمات الصحية غير متوفرة مجاناً، فنرى أن معظم هذه العائلات لا تستطيع الإنفاق على الكشوفات الطبية التي قد تساهم بشكل فعّال جداً في الوقاية من بعض الأمراض. هذا وإن عدداً هائلاً من هؤلاء الأطفال يتعرعون في منازل تنقصها الضروريات الأساسية لبيت مريح وطعام مغذ.

اضطرابات النظر والسمع: إن المشكلة الصحية الشائعة في هذه المرحلة هي قصر البصر، أو الحسر، وتشير الإحصاءات إلى أن حوالي 25% من الأولاد بين العام العاشر والحادي عشر يعانون منه. كما نلاحظ أن نسبة الحسر أعلى عند الإناث منها عند الذكور، وأن الوراثة تلعب دوراً رئيسياً في هذا الإطار. لكن الحسر متعلق أيضاً بالخبرة، فالقراءة في الضوء الخفيف، والجلوس قرب شاشة التلفزيون أو جهاز الكمبيوتر، والرسم الدقيق، والخياطة... كلها نشاطات تساهم في زيادة احتمال حدوث قصر البصر عند الأولاد.

أما بالنسبة للسمع، مع أن التهابات الأذن تصبح أقل نسبياً مما كانت عليه في المراحل السابقة من النمو، لا يزال حوالي 3 إلى 4% من الأولاد في الطفولة الوسطى يصابون بمثل هذه الالتهابات التي، إذا لم تعالج بالطرق المناسبة، قد تؤدي إلى فقدان السمع.

لذلك فإن المعاينات الطبية المنتظمة للكشف عن أية اضطرابات في البصر والسمع في هذه المرحلة مهمة جداً، بهدف الوقاية والمعالجة المبكرة قبل تفاقم المشكلة.

سوء التغذية: إن الأطفال في هذه المرحلة يحتاجون إلى نظام غذائي متوازن وسليم يوفر لهم الطاقة اللازمة للنجاح في حياتهم المدرسية، والانخراط الفعّال في النشاطات الجسدية المتنوعة.

إن العديد من الأطفال ينهمكون إلى درجة عالية في اللعب والصدقات والنشاطات الجديدة، ويمضون وقتاً قليلاً على المائدة! فلتتعويض عن وجبة الفطور السريعة جداً إجمالاً، ننصح بتوفير وجبة خفيفة صحيّة في المدرسة (جبنة، خضار، فاكهة، الخ...).

طالما يشجع الأهل الطعام الصحي ويوفّرونه لأولادهم، فإن النواقص الغذائية الخفيفة الناتجة عن جدول يومي ناشط وحافل لن تؤثر على نمو الطفل. لكن لسوء الحظ، إن سوء التغذية المزمن، خاصة في البلدان الفقيرة، قد يؤدي إلى تأخر في نمط النمو الجسدي، وتدن في الذكاء، وضعف في التنسيق الحركي، ونقص في الانتباه.

تأثير الحوادث: إن الحوادث تزداد في هذه المرحلة من التطور حتى مرحلة المراهقة، مع نسبة أعلى لدى الذكور مقارنة بالإناث. هذا وإن معظم الحوادث تحصل نتيجة تصادم على الدراجات، وحالات وقوع خلال مباريات رياضية متنوعة من ألعاب الكرة إلى التزلج، وحوادث ناجمة عن اللعب بالنار، الخ ... إن الأولاد في هذه المرحلة يمضون وقتاً أطول من السابق بعيداً عن أهلهم، ويحبون المجازفة في نشاطات غير مألوفة، وغالباً ما يرغبون في مخالفة قواعد السلامة الأساسية التي يحاول أهلهم تعليمهم إياها.

لذلك ننصح الأهالي بعدم اللجوء إلى قوانين صارمة بما يخص مبادئ السلامة العامة، أو إلى نظام عقابي شديد، أو أسلوب تربوي غير منتظم... إن مثل هذه الممارسات السلبية تحث الولد على تحدي تعاليم الأهل والتمرد عليها، وتجعله يرغب أكثر فأكثر بالمخاطرة من خلال المجازفة في سلوكيات تعرضه والآخرين للخطر...

إن المدرسة أيضاً في هذه المرحلة تلعب دوراً رئيسياً في تعليم مبادئ السلامة العامة للطلبة، ونعتبر أنه من مسؤوليات المدرّس أو الناظر الإشراف على سلوكيات التلامذة خلال حصص اللعب الحر، ونوصي بأن تكرّس فقرات عديدة ضمن منهج التربية المدنية لترسيخ هذه المبادئ في أذهان الأولاد من خلال الشرح الواضح والتمارين التطبيقية والمناقشات حول مواضيع وخبرات يطرحها الأولاد أنفسهم يتعلمون من خلالها الحلول المناسبة للمحافظة على سلامتهم وسلامة الآخرين.

## ثالثاً - التطور الحركي

إن الازدياد في حجم الجسد وقوة العضل في مرحلة الطفولة الوسطى يترافق مع تطور في التنسيق الحركي، علماً بأن النضوج على الصعيدين الفكري والاجتماعي يسمح للأولاد أن يستخدموا مهاراتهم الحركية الجديدة في طرق أكثر تعقيداً من السابق. ونلاحظ هذا الأمر في نوعية اللعب الذي يمارسه الأولاد خلال هذه المرحلة من حياتهم.

التطور الحركي الرئيسي: نلاحظ تنسيقاً أكبر في كل المهارات الحركية (الركض، القفز، الوثب، ألعاب الكرة) بين العام السادس والعام الحادي عشر. ففي هذا العمر، يقفز الأولاد فوق الحواجز بمهارة، ويتسابقون بالركض بسرعة مذهلة، ويقفزون على الحبل بمرونة مدهشة، ويرمون الكرة ويتلقونها ويرفسونها بقوة، ويتأرجحون ويتدلون من محاور

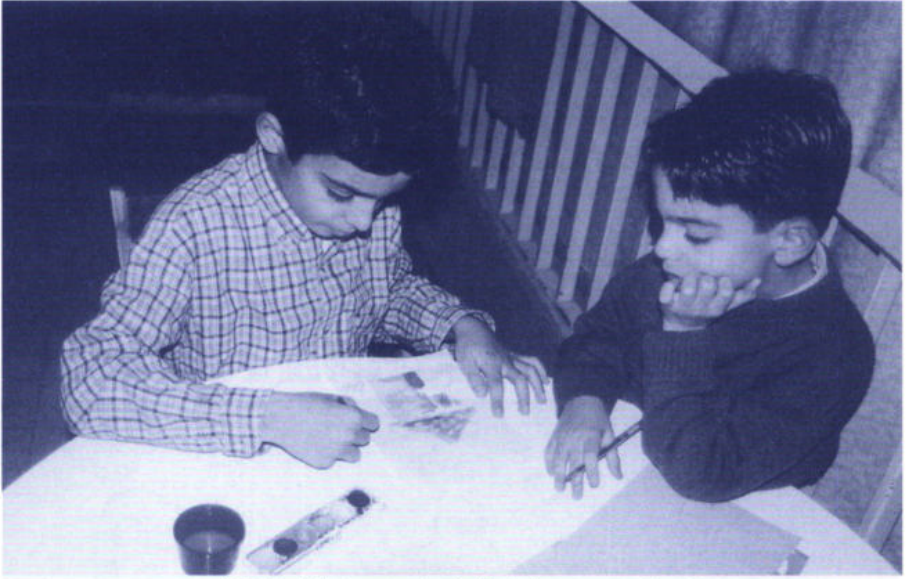
عالية بكل رشاقة، ويستطيعون السباحة معتمدين تقنيات مختلفة... كيف نفسر هذا التطور الحركي المهم؟

1 - إن الأولاد في هذه المرحلة يكتسبون مرونة كبيرة في حركاتهم، لأن أجسادهم أصبحت أكثر ليونة وتمدداً.

2 - إن التطور في التوازن عند الأولاد يساهم إلى حد بعيد في تطوير مهارات رياضية عديدة، مثل الركض والقفز والوثب ورفس الكرة ورميها بعيداً نحو هدف معين.



يكتسب الجسد الرشاقة وخفة الحركة.



يبرز التطور الحركي الدقيق في ألعاب التركيب كما في الكتابة والرسم.

3 - نلاحظ عند الأولاد في هذا العمر نسبة عالية من الرشاقة وخفة الحركة ودقتها وسرعتها، كما نرى مثلاً في القفز على الحبل.

4 - هناك ازدياد في القوة الجسدية إجمالاً، ونلمس هذه القوة في كل النشاطات الرياضية التي يقوم بها الولد، فيأتي مثلاً رفسه للكرة أقوى مما كان عليه سابقاً، كذلك تكون وثباته خلال الركض أو القفز أعلى وأبعد.

التطور الحركي الدقيق: إن الحركات الدقيقة تتحسن أيضاً بشكل ملحوظ خلال مرحلة الطفولة الوسطى، ونلمس ذلك عندما نراقب مدى استمتاع الأولاد في ألعاب تركيبية معقدة، فالصبيان يمضون ساعات طويلة في بناء طائرات وسفن ومراكب فضائية بكل دقة وتركيز، بينما نرى الفتيات يمضين وقتاً وافراً في صنع الحلوى بواسطة الخيوط الرفيعة والخرز الملون، أو في الحياكة، أو الرسم والتلوين... إن هذا التحسن في الإطار الحركي الدقيق نلمسه أيضاً وخاصة في الكتابة والرسم.

بالنسبة للكتابة، عند بلوغ الطفل العام السادس، يستطيع كتابة كل أحرف الأبجدية، ويكتب اسمه كاملاً، وكذلك الأرقام من 1 إلى 10، بدقة ووضوح. لكن خطهم يكون إجمالاً كبيراً وذلك لأنهم يستخدمون كل الذراع خلال عملية الكتابة بدلاً من التركيز على المعصم والأصابع. ونلاحظ أيضاً أن الأولاد في هذا العمر يتعلمون إجمالاً كتابة الأحرف الكبيرة في اللاتينية قبل الأحرف الصغيرة، لأنها

أسهل، إذ تعتمد على خطوط أفقية وعمودية، بينما الأحرف الصغيرة تحتوي على الكثير من الالتواءات والنقاط. هذا وإن الوضوح في الكتابة يزداد تدريجياً ليس فقط لأن الولد أصبح يكتب بدقة أكبر، بل لأنه أيضاً أصبح قادراً على إنتاج أحرف ذات علو منتظم ومدى منسق.

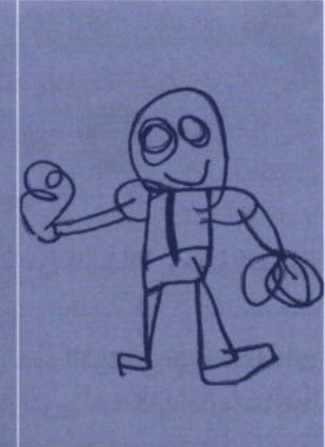
أما بالنسبة للرسم، فنلاحظ خلال هذه المرحلة تحسناً كبيراً من ناحية الدقة والتنظيم والتفصيل في رسومات الأولاد. لنأخذ رسم الرجل كمثل لتوضيح هذا التطور عبر ثلاث مراحل مختلفة من النمو:



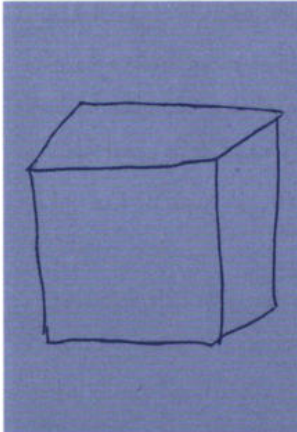
رسم الشخص عند فتاة في الثانية عشرة



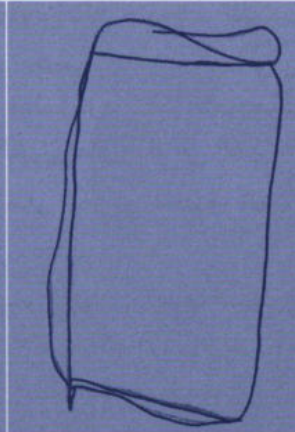
رسم الرجل عند طفل في الثامنة



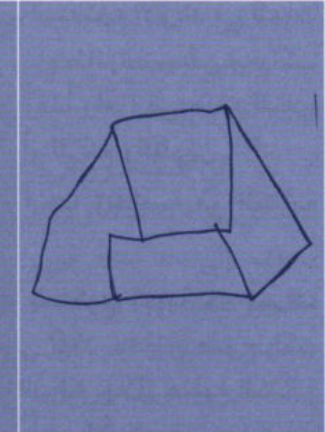
رسم الرجل عند طفل في الخامسة



رسم ثلاثي الأبعاد لطفل في الثامنة



رسم ثلاثي الأبعاد لطفل في الخامسة



رسم المكعب عند طفل في الخامسة



## رابعاً - الفروقات الفردية

كما في كل مجالات التطور، هناك فروقات فردية تميّز كل ولد عن الآخر من ناحية تطوره الحركي، وهذه الفروقات ناجمة عن تأثير العوامل الوراثية والبيئية في آن واحد.

فالبنية الجسدية تؤثر بشكل ملحوظ على الإنجازات الحركية الرئيسية (الطفل الطويل ذو العضلات يتفوق في بعض المهارات على الطفل القصير النحيف). كذلك فالأهل الذين يشجعون أولادهم على الرياضة والانخراط في نشاطات تتطلب التمرين الجسدي يجعلونهم يستمتعون بهذه النشاطات ويتقنونها بمهارة.

هذا وإن الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الولد أيضاً تؤثر في تطوير العديد من المهارات الرئيسية أو الدقيقة، فنرى الأولاد من الطبقات الميسورة يبرعون في مجالات عديدة، مثل رقص الباليه أو الجمباز أو كرة المضرب أو العزف على آلة موسيقية، وكلها نشاطات مكلفة لا يستطيع الطفل من الطبقات الاجتماعية ذات الدخل المحدود الالتحاق بها.

كذلك فإن الفروقات الجنسية تبرز في هذه المرحلة: نلاحظ مثلاً أن البنات يبرعن في مجالات الحركات الدقيقة (الكتابة والرسم)، وأيضاً في مجالات تتطلب التوازن ودقة الحركة (القفز على الحبل)، ولكن الصبيان يتفوقون عليهن في المهارات الحركية الرئيسية الأخرى، مثل الركض والقفز العالي والقفز العريض وألعاب الكرة...

إن هذا الفرق يعود لأسباب وراثية في التكوين العضلي لدى الذكور وأيضاً لأسباب بيئية حيث لا يزال حتى يومنا هذا وفي كل المجتمعات ميل لتشجيع الرياضة عند الذكور وإهمال نسبي لهذه الناحية عند الإناث من خلال تربيتهم وفق توقعات معينة مبنية على الدور الاجتماعي التقليدي حسب جنس الولد.

## التطوّر الذهني



لتفهم التطور الذهني في مرحلة الطفولة الوسطى يجب الأخذ بعين الاعتبار عدة عوامل أهمها الفروقات الفردية التي تميّز كل ولد عن ولد، وتأثير العوامل الوراثية والعوامل البيئية على نكاه الطفل، وقدرات الاتصال المتوفرة لدى كل إنسان من لغة وقواعد ومفردات، وأخيراً دور المدرسة في عملية التعليم والتطوير.

### أولاً - العمليات الذهنية حسب نظرية "بياجيه"

إن الطفل يدخل في هذا العمر مرحلة العمليات الملموسة، أو مرحلة المعرفة الإجرائية، وتظهر علامات وصوله إلى التفكير الإجرائي من خلال تخليه التدريجي عن العشوائية الغريزية والتفكير الحسي - الحركي واتكاله على الحدس، فتنحول العمليات الفكرية عنده إلى نشاط فكري أكثر منطقاً وتنظيماً ومرونة من قبل.

هناك العديد من العمليات الفكرية التي يستطيع الطفل في هذه المرحلة إنجازها، وأهمها:

قدرة الطفل على التنسيق بين الجوانب العديدة للشيء: بدلاً من

التركيز على جانب واحد، مثلما يفعل ابن الأربع أو خمس سنوات. هذه القدرة الجديدة تسمح له أن يدرك أن أي تغيير حاصل في ناحية من نواحي الشيء، يعوّض بتغيير في ناحية أخرى من الشيء. مثلاً، يدرك أن كمية الماء الموجودة في كوبين مختلفين هي نفسها بغض النظر عن شكل الكوب، فكمية العصير الموجود في كوب طويل ورفيع هي نفسها الكمية الموجودة في كوب قصير ومسطح.

الارتداد: وهو قدرة الولد على التفكير التسلسلي في خطوات معينة لحل مسألة ما ومن ثم اتخاذ الاتجاه المعاكس، أو الارتداد، بالعودة إلى نقطة الانطلاق. مثلاً، يفهم الولد أن  $7 + 8 = 15$ ، وأن  $15 = 8 - 7$ . إن هذه القدرة هي أساس التفكير المنطقي، إذ إن كل عملية فكرية تحتوي على عملية عكسية منطقية قابلة للارتداد.

التصنيف: يستطيع الأولاد في هذه المرحلة تصنيف الأشياء بشكل فعال، فيكتسبون القدرة مثلاً على ترتيب الأشياء بشكل هرمي في فئات عامة وفئات مصغرة، وهذه القدرة واضحة جداً في بعض النشاطات التي يقوم بها الأولاد في هذا العمر، مثل تجميع الأشياء (الطوايع، قطع النقود المعدنية، دمي من البلدان المختلفة...)، وقد يمضي ابن العاشرة ساعات طويلة في ترتيب وفرز قطع مجموعاته هذه في علب مختلفة مع رمز معين لكل مجموعة، وقد يعدّل هذا الترتيب من وقت إلى آخر بابتكار فئات جديدة لمجموعته وإعادة تصنيف القطع حسب هذا الترتيب الجديد، إلخ...

التسلسل: أي قدرة الطفل على ترتيب العلاقات بين الأشياء تصاعدياً أو تنازلياً، أي من الأكبر إلى الأصغر وبالعكس، ومن الأثقل إلى الأخف، ومن الأطول إلى الأقصر، والعكس صحيح. إن ابن الخامسة قد يقوم ببعض الترتيب التسلسلي لكن تأتي العملية بشكل عشوائي، بينما نلاحظ أن ابن السابعة يعمل حسب خطة منتظمة وواضحة، تشير إلى أنه أصبح قادراً على التمييز بين صفات الأشياء وإقامة علاقة بينها لتصبح سلسلة متتالية ومتتابة. هكذا يستطيع ابن الثامنة مثلاً أن يفهم أنه إذا كان العود (أ) أطول من العود (ب)، والعود (ب) أطول من العود (ت)، فالعود (أ) أطول من العود (ت).

مفهوم المسافة والزمن والسرعة: إن إدراك الطفل لمفهوم المسافة يتحسن مع تطوره العقلي (قرب الأشياء من بعضها البعض أو بعدها)، وتدرجياً يصبح قادراً على دمج مفهوم المسافة مع مفاهيم أخرى مثل الزمن والسرعة، يستوعب أولاً العلاقة الإيجابية بين السرعة والمسافة (إذا أسرع في الركض تصل إلى مكان أبعد)، وبين الزمن والمسافة (النزهة التي تستغرق وقتاً أطول توصلك إلى مكان أبعد). لاحقاً

وتدرجياً، يكتسب الولد القدرة على إدراك العلاقة السلبية بين السرعة والزمن (كلما أسرع، كلما نقص الوقت الذي تحتاجه للوصول إلى هدفك).

### ثانياً - الانتباه

يعتبر الانتباه من أهم مكوّنات النمو الذهني، ويتأثر بشكل عميق جداً بتطور المعرفة والإدراك عند الطفل. ففي المرحلة بين الست سنوات والأحد عشر عاماً، تكتسب قدرة الطفل على الانتباه ثلاث صفات جديدة، هي: الانضباط، والتكيف، والتنظيم.

الانضباط: كلما كبر الولد، استطاع أن يضبط انتباهه، أي أن يعيره للأمور التي تحتل الأولوية في إطار تفكيره وتركيزه، وأن يهمل الأمور الجانبية. إن هذا التطور المهم في الانتباه نلاحظه بين عمر الست سنوات والتسع سنوات.

التكيف: أي إن الولد يصبح قادراً على تركيز انتباهه بمرونة حسب متطلبات الظرف المحيط (مثلاً، إذا عرضت أمام ابن التاسعة مجموعة بطاقات مصورة للمقارنة، يستطيع بكل مرونة أن ينتقل فكرياً من قاعدة إلى قاعدة في تقويمه للبطاقات، فقد يعتمد قاعدة الحجم أولاً، ثم ينتقل إلى قاعدة اللون، ومن ثم إلى قاعدة الشكل، إلخ... إن ابن الخامسة عاجز عن هذه المرونة الفكرية). هذا وإن ابن العاشرة يستطيع أن يكيّف انتباهه مع المعلومات التي يتعرض لها خاصة عندما يتعلم مفهوماً جديداً: مثلاً، نلاحظ أنه عندما يدرس لائحة كلمات لامتحان في الإملاء، قد يعير انتباهه الأكبر للكلمات الجديدة التي لا يعرفها، وقد يهمل الكلمات المألوفة.

التنظيم: إن عملية الانتباه تصبح أكثر انتظاماً في هذا العمر، وكأن الولد يضع هدفاً عاماً أمامه مع خطة معينة، ويسير ضمن هذه الخطة بحذاقها: مثلاً، عند مواجهة مهمة معقدة، يستطيع ابن التاسعة أن يقرر ما العمل أولاً، ويضع تخطيطاً منتظماً لعمله.

### ثالثاً - الذاكرة

مع تطور الانتباه عند الولد، تنمو الذاكرة ومعها العمليات الذهنية لتخزين المعلومات وحفظها. ففي هذه المرحلة، تتطور التقنيات للتذكر من السهل إلى المعقد حسب متطلبات المرحلة، وهي متطلبات كثيرة ومتنوعة، إذ إنها مرحلة الدخول إلى

التعليم الابتدائي، وهو التعليم الأساسي الذي يشكل قاعدة المعرفة عند الإنسان. في هذه المرحلة نفرض على الولد أن يتعلم جداول الضرب، وأسماء عواصم العالم، والقواعد الأساسية للغة، وأهم خصائص مراحل تاريخية معينة، إلخ... إن كل هذه المعلومات تتطلب عمليات ذهنية متطورة لحفظها.

في عمر الست سنوات، يلجأ الطفل إلى «التكرار» كوسيلة فعالة لحفظ المعلومات (مراجعة الاستظهار مرات عديدة لحفظه نهائياً)، وتدرجياً، في عمر التسع سنوات، يستخدم الولد وسيلة أخرى هي «التنظيم» (يضع كل العواصم الأوروبية في خانة واحدة، والعواصم الإفريقية في خانة أخرى، ويقوم بحفظها على هذا النحو). ومن الواضح أن هذه الوسيلة أكثر فعالية من التكرار المحض، وتشير إلى تطور المهارة الذهنية عند الولد في تنظيم المعلومات بهدف تخزين العدد الأكبر منها.

هذا وفي أواخر هذه المرحلة، أي في حوالي عمر الأحد عشر عاماً، يبدأ الولد باستخدام وسيلة ثالثة هي «التوسيع»، أي خلق علاقة بين معلومتين من مجموعتين مختلفتين (مثلاً، إذا طلب من الولد أن يحفظ لائحة مكونة من كلمات مختلفة لا علاقة بينها من حيث المعنى، مثل «قلم» و«تفاحة» و«فراشة»، قد يلجأ الولد إلى خلق صورة ذهنية تجمع بين هذه الكلمات «رسم الطفل بالقلم تفاحة وفراشة»). إن هذا التوسيع يتطلب مجهوداً فكرياً متطوراً، فعلى الولد أن يترجم المعلومات إلى صور، ومن ثم ربط هذه الصور ضمن علاقة من ابتكاره.

من خلال هاتين الوظيفتين (التنظيم والتوسيع)، يستطيع الولد أن يدمج المعلومات ضمن قوالب معنوية مما يساعده على حفظها للمدى البعيد في ذاكرته، وهذا المخزون للمعلومات يتسع مع الزمن ويزداد تنظيماً. إجمالاً، نلاحظ أن الأولاد الذين يستخدمون هاتين الوظيفتين في عملية حفظ المعلومات عامة (مواد مدرسية أو غير ذلك)، يتميزون باندفاع أكبر تجاه التعلم، ويكتسبون المعلومات بصورة أسرع، فتكون قاعدة المعرفة الأساسية عندهم أكبر مما عند الأولاد الذين لا يملكون الوظائف المعقدة للحفظ.

يجب أن نذكر في هذا الإطار أن التعليم المدرسي يشجع التدريب على مثل هذه الوظائف، ولكن الأهم هو نظرة التلميذ إلى نفسه في عملية التعلم كعنصر فعال وناشط يتلقى المعلومات من خلال عمليات ذهنية تعتمد على الانتباه إلى المعلومة، والتركيز عليها، واختيارها من بين معلومات أخرى، وربطها بمعلومات سابقة، والاستعانة بوسائل معينة لحفظها، إلخ...

## رابعاً - التعلّم الأكاديمي

في هذه المرحلة من عمر الطفل يبدأ التعليم المنهجي للمواد الأكاديمية مثل القراءة والرياضيات، فعند عمر العشر سنوات من المفترض أن يكون الولد قادراً على قراءة النصوص بشكل بارع، والإجابة على الأسئلة المتعلقة بهذه النصوص بسهولة، كما أنه يصبح خبيراً في العمليات الحسابية من جمع وطرح وضرب.

هذا وإن العديد من الدراسات اليوم تلقي الضوء على العمليات الذهنية التي يستعملها الأولاد في تعلمهم لهذه المواد، وعلى مكونات المهارة التعلمية وكيفية تطورها، بهدف طرح وتصميم وسائل تعليمية تساعد التلاميذ على إتقان مهارات فعّالة للتعلّم.

القراءة: تتطلب القراءة مجموعة مهارات، مثل القدرة على إدراك الأحرف المنفردة ثم ربطها ببعضها البعض وترجمتها إلى ألفاظ صوتية، وحفظها في الذاكرة، وإدراك علاقتها بمفاهيم معينة، ومن ثم ربط كل معاني الأجزاء المقروءة إلى وحدة متكاملة من حيث الشكل والمعنى. وتعمل كل هذه المهارات بشكل تلقائي، وإذا كانت إحدى هذه المهارات ضعيفة تكون القدرة على القراءة ضعيفة.

هناك نظريتان أساسيتان لتعليم القراءة: فدعاة النظرية الأولى يعتقدون أن تعلم القراءة موازٍ للتعليم الطبيعي للغة، ويرون أنه من الأفضل تعريض الأولاد، منذ البداية، إلى النص بشكله الكامل (القصة مثلاً)، لكي يقدر الولد القيمة التواصلية للغة المكتوبة. فطالما كانت القراءة شاملة وهادفة إلى معنى معين، يكون الولد مندفعاً لاكتشاف المهارات المحددة التي سوف يحتاجها للقراءة بمفرده، وذلك من خلال اكتسابه أكثر فأكثر خبرة مع الكلمة المكتوبة.

أما دعاة النظرية الثانية فهم مقتنعون أنه يجب تعريض الأولاد لمواد مبسطة ومحددة مثل الحروف (بدلاً من الكلمات والجمل)، أي القواعد الأساسية لترجمة الرموز المكتوبة إلى أصوات. ويعتقد هؤلاء الخبراء أن قراءة النص الكامل تأتي فقط بعدما يكون الولد قد أتقن أبجدية اللغة أي ربط الرموز بالأصوات.

حتى يومنا هذا لا يزال الجدل قائماً بالنسبة للوسيلة الأفضل في تعليم القراءة، ما أدى إلى نشأة نظرية ثالثة ترى أن دمج هاتين الوسيلتين قد يكون هو الطريقة الأفضل: هكذا، نعلّم الطفل إدراك العلاقة بين الحرف والصوت، فنساعده على اكتشاف كلمات جديدة لم يرها من قبل، وعندما تصبح هذه العملية تلقائية عنده، يصبح جاهزاً للانتباه إلى عمليات ذهنية أكثر تعقيداً، مثل استيعاب المعنى الكامل

للنص المقروء. وفي هذا الإطار، ينبّه الخبراء إلى عدم المبالغة في التركيز على التفاصيل الدقيقة للفظ على حساب المعنى، إذ إن الولد قد يفقد من جرّاءها الهدف الحقيقي للقراءة، وهو فهم ما يقرأ! فهناك عدد كبير من المعلمّات في المرحلة الابتدائية اللواتي يفدن أن بعض الأولاد يقرأون النصوص بمهارة ومن دون أخطاء لغوية لكنهم لا يفهمون ما يقرؤون!

الرياضيات: يدخل الطفل مرحلة التعليم الابتدائي مع معلومات غنيّة في مفهوم الأعداد والعد، ويبدأ بتطبيقها على مهارات حسابية أكثر تعقيداً. مثلاً، يستوعب الأولاد مفهوم الضرب كنوع من الجمع المتكرّر، فعندما تطرح على ولد في السابعة من عمره المسألة التالية: «لدى سمير خمسة أقلام، ولدى فادي ثلاثة أضعاف هذا العدد، فكم قلماً يمتلك فادي؟»، قد يجيب من خلال العملية الذهنية التالية: (خمسة زائد خمسة زائد خمسة).

ليكون تعليم الرياضيات سهلاً وفعالاً يجب أن يرتكز على مثل هذه القاعدة: إن كل مفهوم جديد (جداول الضرب مثلاً) يجب أن يقوم على ما يمتلكه الطفل من معلومات سابقة (مفهوم الجمع)، تمهّد له اكتساب المفاهيم الجديدة حسب تسلسل منطقي يتلاءم مع تطور قدراته العقلية.

ولكن، لسوء الحظ، نلاحظ أن طريقة تعليم الرياضيات داخل الصف لا تأخذ بعين الاعتبار هذه القاعدة الأساسية، ففي معظم الأحيان، يُلقن الولد إجراءات لحل المسائل من دون ربطها بما يملكه مسبقاً من معلومات حسابية ولو بطريقة غير منهجية. فالنتيجة هي أن الولد يحاول تطبيق قاعدة تشبه ما قد تعلمه في السابق ولكن تأتي إجابته خاطئة، لأنه بالفعل لم يستوعب أساس هذه القاعدة الجديدة، إذ لا علاقة لها بما يعرفه من قبل.

يعتقد الخبراء في هذا المجال أن معظم الصعوبات التي يعانيها الأولاد في تعلم الرياضيات ناتجة عن هذا الخلل في نوعية تعليم الرياضيات، حيث توفر القليل جداً من المعلومات حول أسباب هذه الإجراءات الجديدة التي نريد أن يتعلمها، ونطلب من الولد فقط حفظها من خلال التدريب المتكرر من دون فهمها.

في هذا الإطار نلاحظ مثلاً أن الأولاد في المجتمع الياباني يتفوقون في مهاراتهم الحسابية على أولاد المجتمع الأميركي، حيث تعليم الرياضيات يرتكز على الحفظ بالتكرار، بينما يمضي الأولاد في الصفوف اليابانية وقتاً طويلاً في استكشاف المفاهيم التحتية للمفاهيم الجديدة وربطها بمعرفتهم السابقة بشكل متسلسل ومنطقي.

## خامساً - تطور النطق في الطفولة الوسطى

نلاحظ أن مجموع مفردات ابن الست سنوات كبير جداً، إذ يعرف حوالي أربع عشرة ألف كلمة، وهذا المجموع يزداد ليشمل حوالي الثلاثين ألف كلمة عند بلوغ سن الرشد. هذا وإن المعرفة المعنوية (معاني الكلمات) تصبح أكثر تنظيماً وترتيباً مع العمر، وهذا التغيير يسمح للولد أن يستخدم الكلمات بدقة أكبر، والتفكير بها بطرق مختلفة عما كان عليه سابقاً، فمثلاً، إذا سألت ابن السادسة أن يعرف كلمة «سكين» قد يجيب «عندما نقطع الجزر»، أو كلمة «دراجة»، فيجيب «لها دواليب وجنزير ومقود». في أواخر المرحلة الابتدائية، تسأل ابن الحادية عشر أن يعرف كلمة ما، فتلاحظ أن التعريف يصبح أكثر شمولية، وقد يحتوي على إقامة علاقات معينة بين المفاهيم، فمثلاً، لكلمة «سكين»، قد يعطي التعريف التالي: «هي أداة لتقطيع الأشياء، فالمنشار قد يعتبر سكيناً، وكذلك بعض أنواع الأسلحة». إن هذا التطور في استخدام اللغة يشير إلى قدرة الولد على التفاعل مع معاني الكلمات من دون الاعتماد على وسائل ملموسة للتعبير الشفهي عن مفاهيم معينة، كما أنه يصبح قادراً على إضافة كلمات جديدة إلى قاموسه بمجرد استماعه إلى تعريف معين. بالإضافة إلى ذلك، فإن أولاد هذه المرحلة يستطيعون استيعاب المعاني المختلفة للكلمة الواحدة، مما يسمح لهم أن يفهموا، بين عمر الثماني والعشر سنوات، التعبيرات المجازية («إنها تكذب كما تتنفس»، «إن بصره حاد مثل النسر»). هذا وإن روح النكتة تبدأ بالتطور في هذا العمر، فالحزازير والألغاز شائعة جداً بين أولاد المرحلة الابتدائية كما التلاعب اللفظي على الكلمات. إن مثل هذه الممارسات الكلامية غير موجودة في المرحلة قبل الابتدائية: فابن الخامسة مثلاً قد يضحك من نكتة ليس لأنها نكتة مضحكة بل لأنها هراء بالنسبة له، كما أنه عاجز عن رواية حزورة ناجحة، بل حتى فهم لماذا تلك النكتة مضحكة!

أما بالنسبة لتطور القواعد في لغة الولد المحكية، فمن المفترض أن يكون قد اكتسب معظمها تلقائياً (تحويل الجملة من المفرد إلى الجمع، ومن المؤنث إلى المذكر حسب الظرف...)، كما أنه يستطيع التمييز بين جملة سليمة من ناحية القواعد وجملة خاطئة، فقرأه يصحح جملته، أو يصحح جمل الآخرين عندما يلاحظ خطأ ما في القواعد.

أما من ناحية قيمة اللغة التواصلية، (أي «البراغماتية») هنا أيضاً نلاحظ تطوراً مهماً في طريقة التفكير عند أولاد المرحلة الابتدائية، فعمليات الحوار تصبح أكثر تعقيداً ودقة، خاصة عندما يريد الولد أن يقنع الآخر بوجهة نظره، أو أن يحصل



على ما يريده، فقد يلجأ مثلاً إلى طرح سؤاله بطريقة أكثر تهذيباً. كذلك، في هذا العمر، نلاحظ أيضاً أن الولد يستطيع فهم المعنى المبطن لتصريح معين، فمثلاً إذا قالت له أمه: «غرفتك تشبه زريبة الحيوانات»، يفهم أن ما تعنيه هو «رتب غرفتك الآن!»، وهذا شيء يعجز ابن الخامسة مثلاً عن استيعابه!

### سادساً - الإعاقات التعليمية

لتوضيح ماهية الإعاقة التعليمية سوف نعطي مثلاً عن حالة طفلة في العاشرة من عمرها، تسبب مشكلة كبيرة في الصف، فهي متأخرة عن رفاقها في جميع المواد، ولا تنتبه إلى ما يجري حولها فانتباهها دائماً مشتت، وتركيزها ضعيف جداً، وهي بطيئة في الإجابة على أسئلة المعلمة، وكثيرة الحركة في الصف...

طلبت المعلمة من الإدارة أن تجرى للطفلة بعض الفحوصات للوصول إلى تشخيص دقيق، ومن ثم أخذ قرار بالنسبة لإبقائها في الصف أو حتى في المدرسة:

- 1 - أجري لها فحص لاختبار الذكاء، وتبين أن نسبة ذكائها طبيعية.
- 2 - أجري لها فحص طبي شامل لمعرفة إذا ما كانت تعاني من مشكلة صحية قد تكون مسؤولة عن تأخرها المدرسي، وكانت النتيجة أنها في صحة ممتازة، ولا تعاني من أي اضطراب صحي.
- 3 - أجريت لها فحوصات للعين والأذن لمعرفة إذا ما كانت تعاني من إعاقة بصرية أو سمعية قد تعيق تحصيلها المدرسي، كذلك لم تشر هذه الفحوصات إلى أي اضطراب.

- 4 - أرسلت الباحثة الاجتماعية إلى منزل الطفلة لتشخيص البيئة العائلية ومدى اهتمام الأهل بها من الناحية النفسية والاجتماعية، وتبين أن والديها يهتمان بها كثيراً، ويحاولان دائماً تأمين كل احتياجاتها في جو من الحب والحنان.
- 5 - أخيراً درست الظروف والفرص التربوية المتاحة لديها، وتبين أن كل شيء مؤمن في هذا المجال، وأن والديها يحاولان مساعدتها بشتى الطرق.

إننا في مثل هذه الحالات نشك بأن الولد قد يعاني من إعاقة تعليمية، ولذلك يجب إجراء بعض الاختبارات على عدد من عمليات التعلم، فما هي هذه العمليات؟

الإدراك البصري (visual perception): أي قدرة الفرد على إدراك التفاصيل والتمييز بين الأشياء، والكلمات، والرموز، والأحرف، وهي عملية مهمة في القراءة.

إن الطفل الذي يعاني من اضطراب في الإدراك البصري قد يقوم بأخطاء محدّدة عند قراءته الأحرف أو الكلمات أو حتى الجمل، فتراه مثلاً لا يميّز بين (ف و ق) أو (جميل و جمل) أو (9 و 6) أو (24 و 42)...

الذاكرة البصرية (visual memory): أي قدرة الفرد على تذكر ما سبق أن رآه، وهنا قد نجد عند الطفل صعوبة في الاحتفاظ بالصورة الذهنية للشيء، وفشلاً في استرجاع هذه الصورة من خلال الذاكرة: إذا طلبنا من الولد نسخ كلمات من كتاب فهو يحتاج إلى النظر إلى الكلمات باستمرار لكي ينسخها، وهذا يأخذ الكثير من الوقت، هل هو بطيء؟ لا، بل عنده صعوبة في الذاكرة البصرية. كذلك فإن هناك بعض الأولاد يستطيعون استرجاع الصور الذهنية للمثيرات ولكن ليس بالترتيب الصحيح... فنّهمم بأنهم مهملين، ولكن هذا ليس إهمالاً... تذكر أنت كم من مرّة اشتريت قطعة لباس لزوجتك ويكون القياس غير صحيح واتهمت أنك مهمل! ملاحظة: يجب أن نتذكر أن مشاكل الذاكرة البصرية تختلف عن المشاكل البصرية التي تعالج بالنظارة.

الذاكرة السمعية (auditory): أي قدرة الفرد على الاحتفاظ بالمعلومات المسموعة واسترجاعها بطريقة مرتبة وصحيحة عن طريق الذاكرة القصيرة المدى (تذكر المعلومات بعد فترة وجيزة من سماعها). هؤلاء الأولاد يعانون من صعوبة في تذكر الأمور بترتيبها الصحيح، لكن الكثير منهم لديهم ذاكرة طويلة المدى جيّدة، فيتذكرون أحداث الماضي بدقة مدهشة!

الاستيعاب الشفهي (oral comprehension): أي قدرة الفرد على استنتاج ما يقال له بسهولة. بعض الأطفال يأخذون وقتاً طويلاً للإجابة على سؤال بسيط، فنّهم الولد بعدم الانتباه! يجب أن نتذكر أن الاستجابة عند هؤلاء الأولاد صحيحة لكن بطيئة...

الاستدلال اللفظي: أي قدرة الفرد على استنتاج المعنى من المعلومات التي يسمعها، كإدراك العلاقات بين الحقائق. مثلاً: ندرس أن في بلد ما تهطل الأمطار في شهري تشرين الثاني/نوفمبر وتموز/يوليو ما يساعد على نمو النّبات؛ فإذا سألنا الولد: «في أي شهر تسقط الأمطار في البلد ذاته؟»، تأتي إجابته صحيحة، بينما إذا سألناه: «ماذا يحدث إذا لم تسقط الأمطار خلال هذين الشهرين؟»، فهو لا يستطيع الإجابة، لأن الجواب غير وارد في المعلومات التي تلقاها، وهذا يتطلب الاستدلال. التعبير اللفظي: أي قدرة الفرد على نقل ما لديه من معلومات لفظياً أو التعبير كتابياً عن أفكاره.

بناءً على ما ورد أعلاه، ما هو تعريف الإعاقة التعليمية؟

نقول: إن الولد يعاني من إعاقة تعليمية عندما يعاني من مشكلة في واحدة أو أكثر من العمليات الذهنية الأساسية المطلوبة في التفهم، أو في استعمال اللغة المكتوبة أو الشفهية، وهذه المشكلة قد تُترجم بعدم القدرة على الإصغاء والتفكير والنطق والقراءة والتهجئة والعمليات الحسابية. كذلك فإحدى أهم مؤشرات الإعاقة التعليمية هي عندما نلاحظ فرقاً كبيراً بين مستوى الأداء الفعلي عند الولد (في القراءة والحساب وتطور النطق) ومستوى الأداء الذي قد نتوقعه منه عندما نفحص قدراته الفكرية والحسية وخبراته التربوية وفرص التعليم التي أُتيحت له.

هذا وتشير الإحصاءات إلى أن حوالي 5 إلى 10% من أولاد المرحلة الابتدائية، يعانون من إعاقة تعليمية عامة أو محدّدة (مثلاً في القراءة، فتسمّى خلل القراءة "dyslexia"، أو في الكتابة، فتسمّى خلل الكتابة "dysgraphia" إلخ...)، إن هذه الإعاقة ناتجة عن خلل وراثي في معظم الأحيان.

من العوارض الأكثر شيوعاً عند هؤلاء الأولاد نلاحظ صورة جسدية ناقصة مع ضعف شديد في التحديد المكاني (صعوبة في التمييز بين اليمين واليسار)، فتكون النتيجة أن الولد يقرأ نفس السطر مرتين دون انتباه، أو «يقفز» عن بعض الكلمات في السطر الواحد، أو ربما يتخطى سطراً بكامله عند قراءة النص. كذلك، عندما يستمع إلى قصة معيّنة، لا يستطيع سردها بالتسلسل الزمني الصحيح للأحداث، هذا وتكون مشاكل الذاكرة فادحة عنده، فقد يحفظ لائحة من الكلمات جيداً لكن قد ينساها بعد ساعة من الوقت...

إن كل هذه المشاكل عند الولد قد تؤثر سلبياً على نفسيته وحياته الاجتماعية، وقد تسبب مشاكل عائلية عديدة.

لكن يجب أن نذكر أيضاً أن معظم هؤلاء الأولاد، إذا عوملوا بالصبر والتفهم، وإذا حصلوا على نوعية تعليم مميّز (حيث يكون تقييم إنجازاته المدرسية مرتكزاً على نمط تطوره الخاص، وليس على مقارنته بالمجموعة داخل الصف)، قد ينجحون في حياتهم الأكاديمية (المدرسة أولاً ثم الجامعة) خاصة إذا استطاعوا أن يتكيفوا مع مجتمعهم. وهذا هو بالفعل ما يحصل في معظم الأحيان، ونرى أنه بالرغم من أن الإعاقة المحدّدة لا تختفي كلياً، يستطيع الإنسان أن يجد سبلاً واستراتيجيات تعويضية (فمثلاً يختار مجال اختصاص في الجامعة بعيداً عن البعد عن نقاط ضعفه حيث لن يحتاج إلى أيّ من المهارات التي يعاني من نقص فيها!).

## سابعاً - الطفل الموهوب

في العالم الغربي، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، تلقى احتياجات الطفل الموهوب اهتماماً كبيراً من قبل خبراء التربية، ونشهد كل يوم ابتكاراً جديداً لتقنيات تربوية لتلبية هذه الاحتياجات.

في البدء كان تعريف التفوق محصوراً بنسبة الذكاء، فبالإضافة إلى كونه يتحلى بنسبة ذكاء مرتفعة، يتميز هذا الطفل أيضاً بسرعته في الإنجاز المدرسي، وبذاكرة حادة، وبقدرة استثنائية على تحليل مسألة معقدة والوصول بفعالية إلى الحل المناسب.

لكن اليوم، يختلف تعريف التفوق عما كان عليه سابقاً، فلم يعد يرتكز على نتائج اختبارات الذكاء، بل أصبح أكثر شمولية ليحتوي معاني عديدة، مثل الإبداع

### خصائص عائلة الطفل الموهوب

- العائلة المتמاسكة التي تؤمن حياة عاطفية مستقرة لكل أعضاء الأسرة.
- إشراف الوالدين على الفروض المنزلية واهتمامهما بحياة الأولاد المدرسية.
- جو عام من التقدير للنجاح داخل الأسرة.
- الحياة العائلية منظمّة، فكل ولد من أولاد العائلة مسؤوليات محدّدة، وهناك تشجيع على المشاركة في الأعمال المنزلية.
- أهمية مفهوم «الوقت»: يشعر الولد أنه لا يجب أن يضيع وقته في نشاطات سلبية (مثل تمشية ساعات طويلة أمام شاشة التلفزيون)، بل يجب أن يستثمر وقته في نشاطات بناءة وخالقة.
- يقضي الوالدان وقتاً كبيراً مع الأولاد (يلعبون معاً، يقرأون القصص، يستكشفون أشياء جديدة مع، إلخ...).
- أهمية مفهوم الامتياز، وكأن كل عضو من أعضاء الأسرة ينمو مع دافع مستمر للامتياز في كل عمل يقوم به، وبالامتياز يُعنى إنجاز العمل، أي عمل، إلى أجدود المستويات حسب ما تسمح له قدراته.
- في معظم الأحيان، يتبين أن الوالدين يلعبان الدور الأساسي في تعريف الولد إلى المجال الذي تبرز فيه موهبته، ويؤمنان بطاقته، ويشجعانه بشكل ناشط على المثابرة في التدريب والإتقان.

(أي التفكير المتشعب، ونلاحظ هذه الميزة عند الولد الذي يفكر بخيارات عديدة وغير مألوفة عندما يريد حل مسألة معينة، وهذا التفكير هو عكس التفكير المحدود الذي يقتصر على إعطاء الحل المناسب الوحيد!). والموهبة في مجال معين أو أكثر (الرياضيات، العلوم، الفن، الموسيقى، الرياضة، إلخ...).

إذا أردنا أن نفهم موضوع التفوق عند الأولاد، لا بد من أن نتوقف عند تحليل خصائص العائلة التي يترعرع فيها هذا الطفل.

هذا وهناك بعض الخصائص البارزة في شخصية الطفل الموهوب التي يجب أن يلتفت إليها الوالدان في البيت والمعلمات في المدرسة، وهي بمثابة مؤشرات للتفوق عند الولد:

- 1 - النطق المبكر، وقاموس مفردات غني بالنسبة لعمر الطفل الزمني.
- 2 - ذاكرة جيدة ورغبة قوية في التعلم (فضولية).
- 3 - قدرة مدهشة على التحاور مع أي شخص راشد حول مواضيع مختلفة.
- 4 - تفوق في القراءة وفي المهارات الحركية الدقيقة (طريقة تفاعله مع القلم بالنسبة لأترابه).
- 5 - قدرة وسهولة في اكتساب لغة ثانية (غير اللغة الأم).
- 6 - تطور مبكر في القدرات الحركية (يجلس بمفرده باكراً، يمشي باكراً، إلخ...).
- 7 - التلاعب بالأفكار بشكل مبدع، وخيال واسع يظهر في الرسم واللعب ولاحقاً في الكتابة.
- 8 - الوصول إلى حلول طريفة وغير مألوفة للمشاكل التي يواجهها.
- 9 - التفكير السلس والمرن، والقدرة على توسيع أفكار الآخرين.
- 10 - الانتباه إلى تفاصيل لا يراها الآخرون.
- 11 - طرح أفكار تكون إجمالاً مفضّلة من الرفاق كونها طريفة ومُبدعة.
- 12 - الاهتمام بمواضيع معينة ولمدة طويلة بشكل غير اعتيادي بالنسبة لعمره.
- 13 - يبدي روح الاستقلالية في عمر مبكر (يحب أن يقوم بالأشياء بمفرده وذلك منذ صغره) وتولي المسؤوليات بنضوج.
- 14 - المثابرة والفضولية والشك (وكأنه يريد أن يتحقق من الشيء قبل تصديقه أو تقبله).
- 15 - التجاوب العاطفي مع مواضيع لا تثير اهتمام أترابه إجمالاً.

16 - روح المخاطرة.

17 - البحث عن أصدقاء أكبر منه وتقليد تصرفات الكبار.

هذا وإن الطفل الموهوب يلاقي صعوبة في التكيف في المدرسة خاصة إذا وُجد في مدرسة ذات نوعية رديئة لا تلبي احتياجاته الفكرية أو العاطفية، لذلك يجب على المدرسة أن تستوعب الولد. وهناك بعض النصائح التي نود توجيهها للمعلمات بهدف تأمين الجو الفكري الذي سوف يدفع هذا الولد للإبداع بدلاً من قمع قدراته وطاقاته، مما قد يؤدي إلى مشاكل نفسية وسلوكية معقدة عنده إذا تراكمت خبرات القهر والملل في حياته المدرسية. وهذه النصائح نلخصها كما يلي:

بما أن القراءة هي موطن القوة الأساسي عند هؤلاء الأولاد، يجب على المعلمة



الانتباه الى التفاصيل والفضولية من خصائص الطفل الموهوب.

أن تأخذ ذلك بعين الاعتبار، وأن تجعل من القراءة عملية ديناميكية يتفاعل الولد معها ويستغلها لتطوير معلوماته وتغذية فضوله الفكري: ننصح بتكثيف الزيارات إلى مكتبة المدرسة، بالطلب من الولد أن يقيم أو يقدم نقداً للكتب التي يقرأها، وأن يقوم ببحث حول مواضيع معينة من الكتب، أو أن يولف قصة من خياله، وأن نقدم له قصصاً روائية بدلاً من إجباره على قراءة كتب القراءة الاعتيادية المعتمدة في المنهج الدراسي...

معظم هؤلاء الأولاد لديهم موهبة أو أكثر في حقول خارجة عن المنهج الدراسي، لذلك ننصح أن يُعطى الولد الفرصة، داخل الصف وفي أوقات معينة، لملاحقة موهبته.

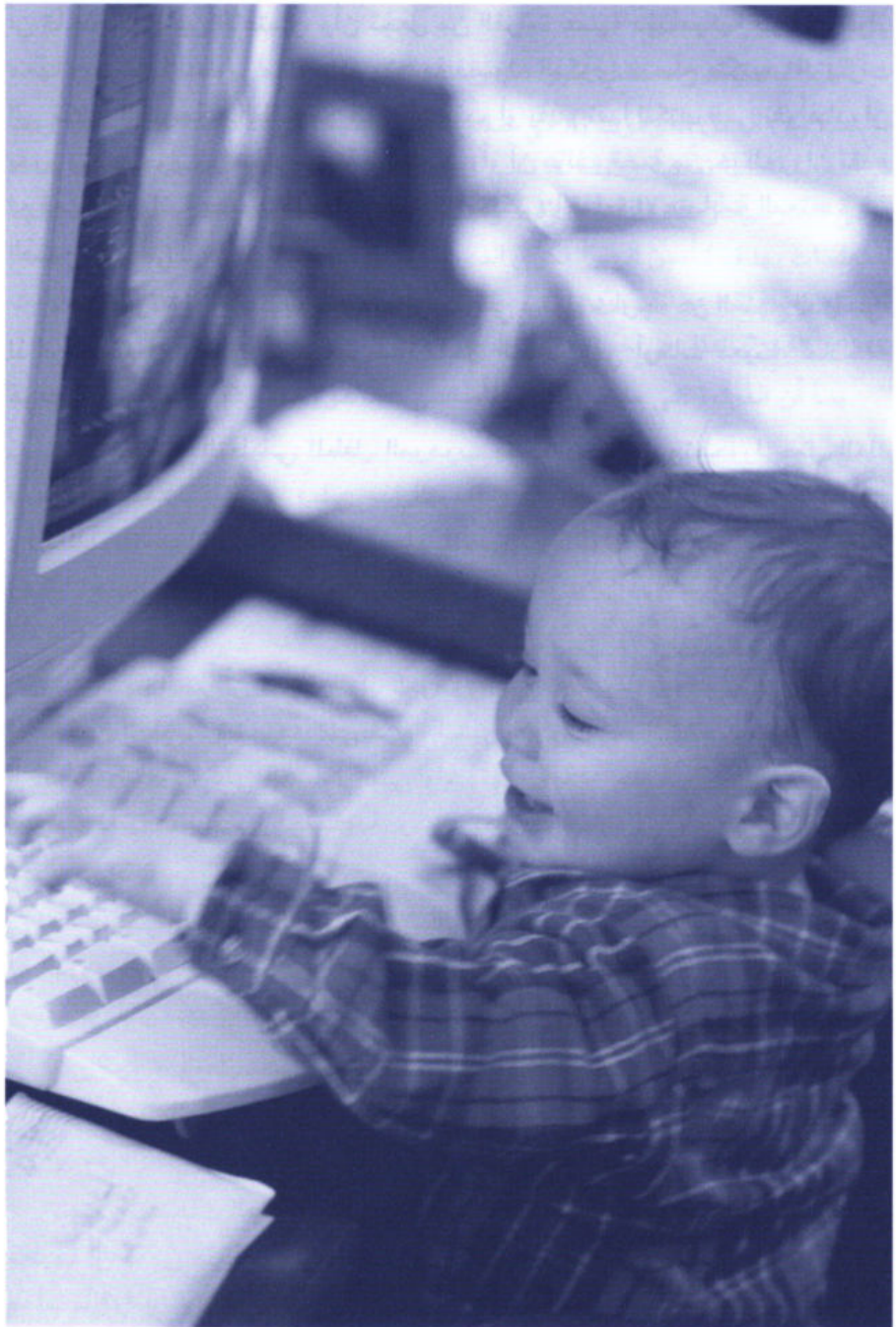
إن البرنامج التعليمي للطفل الموهوب يجب أن يكون متمحوراً حول الولد لتنمية الاستقلالية عنده، فعلى هذا البرنامج أن يكون مرناً ومليئاً بالخيارات والبدائل والتحديات. هكذا يصبح المعلم عنصر إثارة للولد: يسأل، ويسمع، ويشجع؛ وهكذا تصبح عملية التعليم محركاً أساسياً يدفع الولد إلى الاكتشاف والإبداع وإلى تغذية فضوله.

من المهم أيضاً أن نعرف الولد الموهوب إلى شخصيات موهوبة عبر التاريخ، لذلك فمن المفضل تشجيعه على قراءة السير الذاتية لهذه الشخصيات التاريخية اللامعة، والتعرف على المشاكل التي واجهتها وكيفية حلها، وأن النجاح يُقاس بمعايير ذاتية لا بمعايير اجتماعية، وكيف يصل الإنسان إلى الإبداع رغم اختلافه عن الآخرين...

كذلك يجب اعتماد نمط سريع في التعليم لتجنب الملل عند هؤلاء الأولاد: تُعرض له الدروس والمواضيع بنمط سريع لكي يُعرض الولد باستمرار إلى أفكار جديدة ومتنوعة، لكن بنفس الوقت، لا يجب وضع ضغوطات عليه.

على نوعية التعليم أن تشجع التعمق في مواضيع معينة بدلاً من الاكتفاء بالعموميات، فالولد الموهوب بحاجة للتفاصيل، وللعُمق، ولمعرفة كل شيء حول أي موضوع يُطرح أمامه.

يجب أن تتجنب المعلمة وضع ضغوطات عليه للطاعة العمياء لقواعد الصف، فعليها أن تكون مرنة في توقعاتها منه، لأن إرغام الولد الموهوب على الالتزام التام بالقوانين والقواعد الصارمة يؤدي إلى إحباط للأسئلة المبدعة والفضولية عنده، وهذا الإحباط يشكل كارثة كبرى على نمو شخصيته!



التفوق في بعض المجالات في عمر مبكر من سمات الطفل الموهوب.



ولالأهل في البيت دور أساسي في عملية التعلّم، فالولد الموهوب لديه الفضول والدافع للدرس بمفرده، لكنه في صغره لا يملك التقنيّات اللازمة للعمل المستقل. فمثلاً: لا يدري من أين يأتي بمصادر المعلومات، أو تجميع المعلومات وتنظيمها، وتحليلها وتقييمها، إلخ... لذلك فهو يحتاج في طفولته إلى مرجعية مطلعة تشرف على عمله المستقل، وترشده إلى هذه التقنيّات الأساسية التي، إذا أتقنها في صغره، قد تساعده كل حياته على تنظيم أفكاره المبدعة وتوصله إلى الابتكار الخلاق.

وأخيراً لا يجب أن نهمل الناحية الاجتماعية في تطور الولد الموهوب، فيما أنه لا يتكيّف كثيراً مع أترابه، ويملّ بسرعة، ويتميّز بتطلعات مختلفة عن اهتمامات رفاقه، من السهل جداً أن يلجأ هذا الولد إلى الانزواء وعدم تقبّل الآخرين في عالمه. لذلك على المعلمة في المدرسة والوالدين في البيت أن يساعدوا هذا الولد على التكيّف الاجتماعي قدر المستطاع، بجعله يستثمر تفوقه لخلق صداقات عميقة ووفية مع الآخرين.

## التطوّر العاطفي والاجتماعي



تشهد المرحلة بين الست سنوات والأحد عشر عاماً تطوّر مجموعة جديدة من القدرات العاطفية والاجتماعية، إذ تبرز القدرة على العمل الجديّ (الدرس مقابل اللعب) والكد للوصول إلى هدف معيّن، كما تتوسّع المفاهيم الاجتماعية، وتأخذ الصداقة معاني مختلفة عما كانت عليه في المرحلة السابقة من النمو. هذا وتبقى العائلة المرجعية الأقوى في عملية التطور هذه.

## أولاً - نظرية «أريكسون» للتطور الاجتماعي

يرى «أريكسون» الذي عرضنا نظريته سابقاً أن الأولاد بين الست سنوات والأحد عشر عاماً يدخلون مرحلة جديدة من التطور النفسي - الاجتماعي، تتفاعل مع تطوّر قدراتهم الفكرية والجسدية، ومع متطلبات وتوقعات المحيط (نظرة الوالدين إلى الولد، بدء التعليم المنهجي، الخ...). هذا ويرى «أريكسون» أن التطور السليم في هذه المرحلة يعتمد على نوعية الخبرات التي يواجهها الولد في حياته، فإما أن يتعلم معنى الكفاءة، أي العمل الدؤوب في المهارات المدرسية

المبنية على الشعور بالمسؤولية (السعي إلى الحصول على علامات جيدة في الصف)، وإما أن يخضع بسلبية أمام الضغوطات في المنزل كما في المدرسة (تتطور عنده «عقدة النقص» فيشعر أنه غير كفؤ ويصبح لا مبالياً في دراسته كما في تفاعله مع المجتمع).

إن عقدة النقص هذه تولد تشاؤماً حزيناً عند الولد الذي يعتقد بأنه لن ينجح في أي شيء يقوم به، وهي نتيجة تفاعل عوامل منزلية ومدرسية معاً: فالبيت الذي لا يهيئ أبناءه للحياة المدرسية (الفوضى التربوية، إهمال الوالدين وعدم إشرافهما على تطور العملية التعليمية، لا مبالتهما بمعاني النجاح، الحياة العائلية غير المستقرة، الخ...)، والمدرسة التي لا تدفع الأولاد إلى الرغبة في التعلم (نوعية التعليم الرديء، المعلمة القاسية التي لا تراعي مشاعر التلاميذ وتحبطهم باستمرار، الفروض المنزلية الكثيرة التي تجعل من حياة الطفل «ورشة تدريس» مستمرة، جو تنافس أكاديمي ضاغط، الخ...)، كلاهما يؤديان إلى هذا التشاؤم عند الولد وإلى تشويه صورته الذاتية.

### ثانياً - الصورة الذاتية

في مرحلة الطفولة الوسطى، يمر مفهوم الذات بتحولات مهمة تماماً مثل تطور القدرات الذهنية، فإذا طلبنا من ولد في السابعة من العمر أن يصف نفسه، يأتي جوابه على النحو التالي: «عمري سبع سنوات، شعري بني وعيناي سوداء وأحب الفوتبول كثيراً. أحب المدرسة وأحب أن أقرأ وسيارتي المفضلة هي «الجاغوار».

أما إذا طلبنا من فتاة في الحادية عشر من عمرها أن تصف نفسها، فتكون إجابتها على النحو التالي: «اسمي رانيا، وأنا في الصف السادس. إنني جيدة في المدرسة لكن أستطيع أن أكون أفضل إذا درست أكثر... أحب البيانو والسباحة. أحاول أن أكون مهذبة في البيت لكن غالباً ما أفقد أعصابي وأتشاجر مع إخوتي. إنني صديقة مع رفاقي في المدرسة لكن أفضل البنات على الصبيان».

إذا قارنا هذين الوصفين الذاتيين، نلاحظ أن ابن السابعة يعتمد على معان ملموسة ومحدودة جداً ليتكلم عن نفسه، عكس الفتاة في سن الحادية عشر التي كان وصفها الذاتي أكثر شمولية وأقل اعتماداً على الصفات الملموسة («مهذبة»، «صديقة») وكأنها تعطي وصفاً لشخصيتها.

من التحولات الأخرى في مفهوم الذات عند أولاد مرحلة الطفولة الوسطى: المقارنة الاجتماعية، إذ نلاحظ في هذا العمر ميلاً إلى تقييم المظهر والقدرات

والتصرفات بالنسبة للآخرين («إنني أفضل من «فادي» في الإملاء، لكنه الأول في الرياضيات»). إن مثل هذه المقارنات غير واردة عند الأولاد دون السبع سنوات.

ما هو سبب هذه التحولات في الصورة الذاتية؟

خلال مرحلة الطفولة الوسطى، يبدأ الأولاد ببناء صورتهم الذاتية على نظرة الآخرين لهم، ويعتمدون على هذه النظرة لتزويد أنفسهم بمعلومات حول ذاتهم. من الطبيعي جداً أن يفقد ابن الثامنة تفاؤله المشرق الذي يميّز سنوات الطفولة المبكرة، إذ إنه يكتشف الآن أهمية تكيّف صورته الذاتية مع نظرة الآخرين تجاهه، إن هذا التحول مهم جداً في عملية التطور العاطفي إذ يسمح له بأن ينظر إلى نفسه بموضوعية أكبر.

أما العوامل المؤثرة على الصورة الذاتية فهي تتلخص كما يلي:

الأسلوب التربوي المعتمد في البيت

عندما تكون علاقة الولد مع أهله دافئة، وعندما يكون مستوى تجاوب الوالدين مع أولادهم قوياً، وعندما يوضح الأهل توقعاتهم لأولادهم من ناحية التصرف والإنجاز، يزداد عند الولد الشعور بالكفاءة، وتنمو ثقته بنفسه، كما أنه يتعلم أن يقيّم سلوكه بالنسبة لمقاييس واقعية.

كيف ينظر المرء إلى نجاحه وفشله؟

إنّ كيفية تقييم الإنسان لنجاحه أو فشله في الحياة يعود إلى نوعية التربية التي تلقاها في صغره ضمن أسرته، بمعنى أن الأهل هم الذين يحدّدون للولد إلماً ينسب نجاحه أو فشله، فالولد الذي يتميّز بصورة ذاتية إيجابية ينسب نجاحه (في المدرسة مثلاً) إلى قدرته الشخصية (وهي قدرة يعرف أنه يستطيع الاتكال عليها في المستقبل عندما يواجه تحديات جديدة)، وينسب فشله لعوامل إما داخلية («لم أدرس كفاية لهذا الامتحان») أو خارجية («كان الامتحان صعباً جداً»)، ويعرف أنه يستطيع العمل على هذه العوامل لتغييرها أو ضبطها في المستقبل. هذا يعني أنه، بغضّ النظر عن نجاحه أو فشله، يتّخذ نظرة تجاه التعلم تتسم بالكفاءة والمثابرة والاندفاع.

بالمقابل فالولد الذي يتميّز بصورة ذاتية سلبية يطوّر نوعاً من اليأس في تطلعاته في الحياة؛ فينسب فشله، لا نجاحه، للقدرة الذاتية (أو عدم القدرة!) ونجاحه للحظ! إن مثل هؤلاء الأولاد يعتقدون أن القدرة هي ميزة ثابتة لا تتغير، فلا يؤمن مثلاً أنه باستطاعته أن يجتهد وأن يحسّن مستوى إنجازهم، فالنتيجة هي أنه عندما

يواجه مهمة صعبة، يقلق ويفقد شعوره بالسيطرة على الأمور، وتبرز عنده «عقدة النقص» التي تقول له: «إنك لا تستطيع القيام بهذا العمل» حتى قبل أن يباشر به! نعم إن ما يلقيه الأهل لأولادهم حول قدراتهم الشخصية خلال هذه السنوات من النمو هو الذي سيحدد للولد كيف ينظر إلى نفسه: فالأم التي تضع توقعات مسبقة حول إنجاز ولدها، وتصنّفه في خانة معينة، أو التي تضغط باستمرار عليه لأن يكون أفضل، هي التي تساهم بالدرجة الأولى في تكوين هذه الصورة الذاتية السلبية عند الولد.

#### مقارنة الولد بالآخرين

إن هذه الممارسة الشائعة جداً في كل المجتمعات تهدف إلى تحطيم الثقة بالذات، وتشويه الصورة الذاتية عند الولد: هذه المقارنة قد تحصل داخل البيت («أخوك أشطر منك»، «لماذا لا تستطيع أن تكون مثل أختك؟»، «إن ابن الجيران نجح في صفه وأنت فشلت!») أو داخل الصف في المدرسة حيث تصرّ المعلمة على مكافأة التلاميذ المجتهدين، وإهمال أو حتى معاقبة التلاميذ دون المستوى المطلوب.

### ثالثاً - التطور العاطفي

خلال مرحلة الطفولة الوسطى تبرز العواطف المعقدة مثل الاعتزاز بالنفس والشعور بالذنب كما الشعور بالمسؤولية الشخصية، والفرق الأساسي بين ابن الخامسة وابن الثامنة هو ظهور هذه العواطف حتى في غياب مصدر السلطة الراشدة (الأهل أو المعلمة)، فابن الخامسة يفتخر برسمته فقط عندما يريها لأمه وتصفّق له بابتهاج، بينما يعتزّ ابن الثامنة بإنجازاته حتى لو لم يلاحظها أحد.

إضافة إلى ذلك، فإن الأولاد في مرحلة الطفولة الوسطى يكتشفون أنهم يستطيعون تمثيل بعض التصرفات العاطفية لظروف معينة حتى لو لم تتلاءم مع مشاعرهم الحقيقية في اللحظة نفسها (يبتهج أمام جدّته للهدية التي جلبتها له في عيد ميلاده، حتى ولو لم يكن يرغب بمثل هذه الهدية!).

هذا وتشهد هذه المرحلة تطور قدرة داخلية على التنظيم العاطفي بابتكار طرق عديدة لمعالجة ظروف عاطفية مثيرة: فمثلاً، إذا سألت ولداً في الثانية عشرة من عمره («ماذا تعمل إذا فشلت في الامتحان؟»، «قد يجيبك على النحو التالي: «هناك أشياء أسوأ في الحياة! سوف يكون هناك امتحانات أخرى...»).

كما يحتل الأصدقاء مكانة مهمة في حياة الأولاد خلال الطفولة الوسطى، مما

يساعد على تطوير إدراك أكبر لمشاعر الآخرين، فنلاحظ مثلاً أنهم يصفون رفاقهم باستخدام معان مجردة تصف شخصياتهم بدلاً من الوصف الملموس الذي يميز مرحلة الطفولة الأولى («صديقي يرتدي معطفاً أخضر ونظارات وهو سريع في الركض»). إن هذا التطور في الإدراك يمهد الطريق للتكيف الأكبر مع الآخرين، فعندما يستطيع الولد أن يتنبأ بتصرف ما من ولد آخر لأنه يعرف شخصيته، فهذا من شأنه تحسين نوعية العلاقات الاجتماعية التي يقيمها الولد في هذا العمر. كذلك، وفي نفس الإطار، تشهد هذه المرحلة قدرة في التعاطف مع الآخرين (مفهوم الرحمة أو الشفقة) والقدرة على حل «المشاكل الاجتماعية» بوسائل أكثر فعالية مما كان عليه في السنوات السابقة، فمثلاً في ظرف منافسة شديدة مع ولد آخر، قد يلجأ ابن الخامسة إلى الضرب دفاعاً عن موقفه، بينما يلجأ ابن التاسعة إلى الحوار مع خصمه للوصول إلى الحل المناسب من دون تسبیب الأذى إلى الفريقين.

#### رابعاً - التطور الأخلاقي

لقد رأينا في الفصول السابقة أن الأولاد يتعلمون الكثير عن السلوك الأخلاقي من خلال التقليد والمكافأة، وعندما يدخلون مرحلة الطفولة الوسطى يتكوّن عندهم جهاز أخلاقي واضح يعرفون من خلاله أنه يجب مساعدة الآخرين عند الحاجة، وأنه لا يجب أخذ ممتلكات الآخرين، ولا السخرية من إنسان معاق، الخ..

كذلك، ففي هذه المرحلة، نحمل أولادنا مسؤوليات تجعلهم أكثر استقلالية وتزيد ثقتهم في أنفسهم، فمثلاً قد نطلب من ابن التاسعة الذهاب إلى الدكان لشراء حاجة ما، أو من ابنة الحادية عشر أن تنتبه لإخوتها الصغار في غياب الأم. نستطيع القيام بذلك لأن الولد في هذا العمر يدرك بوضوح تام ما هو الصحيح وما هو الخطأ، من خلال خبرات الحياة اليومية.

من أهم المفاهيم الأخلاقية التي تتراد أذهان الأولاد منذ صغرهم مفهوم العدالة (من يجلس في السيارة أثناء النزعات الطويلة؟ كيف تقسم الكمية القليلة من العصير على أربعة أولاد متعطّشين له؟ لماذا يُعطى الأخ الأكبر كمية من المال للمصروف اليومي أكثر من بقية إخوته؟ الخ...).

يبدو أن الطفل ابتداءً من الأربع سنوات، يستوعب أهمية المشاركة، لكن لأسباب مختلفة جداً عن الأسباب التي يعطيها ابن الثامنة، فإذا سألت ابن الرابعة: «لماذا أعطيت بعض ألعابك لأصدقائك؟» قد يجيبك: «إذا لم أعطهم إياها، لن يلعبوا معي!».

عند دخول مرحلة الطفولة الوسطى، تصبح المفاهيم أكثر نضوجاً بالنسبة لما يتعلق بالعدالة والمشاركة: يبدأ أولاً الولد بتطبيق مبدأ المساواة المطلقة بين كل أعضاء المجموعة، ومن ثم ينتقل بتفكيره إلى مبدأ الاستحقاق ضمن المساواة، أي إن كل عضو يحصل على ما يستحقه، وأخيراً، في حوالي عمر الثماني سنوات، يستوعب الولد فكرة العمل الخيري، أي إنه يبدأ بإظهار اعتبار خاص للمحتاجين أو المعاقين.

على الأهل أن يواكبوا تطوّر هذه المفاهيم عند أولادهم، وأن يعطوا الإرشاد اللازم والتشجيع الوافر لهذه المبادئ، كما أن التواصل مع الأصدقاء يلعب دوراً مهماً في التطور الأخلاقي عند الأولاد، فالمشاكل التي تحصل بينهم والحلل المطروحة لها تجعل الأولاد أكثر إدراكاً لمشاعر الآخرين ولمفهوم العدالة الاجتماعية.

### خامساً - الصداقات والتصرف الاجتماعي



كما ذكرنا سابقاً، يحتل الأصدقاء مكانة كبيرة في حياة الأولاد خلال الطفولة الوسطى، حيث تنشأ مجموعات الأصدقاء (منها صغيرة مؤلفة من ثلاثة إلى أربعة أولاد، ومنها الكبيرة التي يفوق عدد المنتسبين إليها العشرة)، وهناك رغبة قوية عند الأولاد للانتماء إلى مجموعة أو «شلة» تنشأ من خلالها «هوية جماعية» ذات قيم موحدة، وكذلك نمط سلوكي واحد قد يشمل لغة سرية بين الأعضاء وطريقة لباس

معينة. إن الانتماء للمجموعة يفرض على أعضائها حصرية بعض التصرفات والمعتقدات، فأى شخص يخالف قوانين أو توقعات المجموعة مصيره الإبعاد. من خلال الانتماء إلى المجموعة، يتعلم أيضاً الولد قيماً اجتماعية مهمة، مثل المشاركة والقيادة ومعنى الوفاء لأهداف جماعية، لكن بنفس الوقت، يتعلم الولد العديد من السلوكيات غير المرغوب بها مثل «القييل والقال»، ونشر الإشاعات، والإبعاد، والمزاح الثقيل والمزعج، الخ...

هذا وتبرز الصداقات خلال هذه المرحلة لتعلم الولد الوفاء والثقة، ويتخطى مفهوم الصداقة التعريف المحدود الذي تميّزت به المرحلة السابقة (فالصديق، عند ابن السادسة، هو من يقوم معه بنشاطات مختلفة) ليشمل معاني نفسية تركز على نوعية العلاقة التي تربط بين الفريقيين، والصفات الشخصية لكل منهما، واحتياجاتهما ورغباتهما. تبقى الصداقات ثابتة نوعاً ما طوال مرحلة الطفولة الوسطى، ولعل أهم شيء يتعلمه الولد من خلالها هو الالتزام العاطفي.

إن تأثير الأصدقاء على حياة الولد عميق جداً في هذه المرحلة من النمو، ويختلف الأولاد بعضهم عن البعض الآخر بقدرتهم أو عدم قدرتهم على إقامة صداقات مع الآخرين، وكذلك بسهولة الارتباط أو العكس.

بناءً على هذه الملاحظات، يرى الخبراء في هذا المجال أن هناك أربع فئات من الأولاد: الولد المحبوب، والولد المنبوذ، والولد المثير للجدل، والولد المهمل. الولد المحبوب يتحلّى بمهارات اجتماعية إيجابية، مثل حب المشاركة والتعاطف مع مشاعر الآخرين. وعندما يواجه مشكلة مع أحد الأولاد، يحاول التحاور معه من دون التعبير عالياً عن غضبه. هذا وإنه يعلم كيف يكيف سلوكه مع الطرف المحيط بدلاً من فرض آرائه بتشنج.

الولد المنبوذ يتميّن سلوكه بالمقابل بالعدائية وعدم النضوج، فهو لا يبالي بممتلكات الآخرين أو بمشاعرهم، ويؤذي الآخرين للوصول إلى غاياته الشخصية، كما أنه لا يملك القدرة على إيجاد الحلول الفعّالة لحل المشاكل القائمة بينه وبينهم. هذا وإن للولد المنبوذ إجمالاً نظرة مشوّهة تجاه سلوكيات الآخرين، بمعنى أنه قد يسيء فهم براءة ولد آخر (مزحة بريئة مثلاً)، وتأتي ردة فعله قاسية جداً. إضافة إلى ذلك، يكون الولد المنبوذ إجمالاً تلميذاً ضعيفاً في الصف، ويعاني من صورة ذاتية متدنية.

الولد المثير للجدل فإنه يثير العديد من التساؤلات! فهو يملك بعض السلوكيات



الاجتماعية الإيجابية، وبنفس الوقت يظهر بعض السلبيات في ظروف أخرى. حتى يومنا هذا، لا يملك الخبراء معلومات حول أسباب هذا التصرف المزدوج، أو حول عواقبه اللاحقة على تطور الشخصية.

الولد المهمل، الذي كان يُعتقد سابقاً أنه غير متكيف، وينظر إليه اليوم الخبراء نظرة مختلفة: بالرغم من أن هذا الولد يتميز بنسبة ضعيفة من التواصل مع الآخرين، ويُعتبر خجولاً من قبلهم، فهو إجمالاً يملك مهارات اجتماعية تساعده على التكيف بشكل يخرج من انزوائه متى شاء للانضمام إلى الآخرين، والعودة متى شاء إلى عالمه الخاص!

### سادساً - تأثير العائلة على التطور الاجتماعي

مما لا شك فيه هو أنه خلال مرحلة الطفولة الوسطى يبتعد الولد تدريجياً عن البيت، وتخضع علاقته بأهله لتحوّلات عديدة، لكن ما يجب ألا ننساه هو أن كفاءة الولد في حياته المدرسية والاجتماعية تعتمد بشدة على نوعية التواصل بين أعضاء الأسرة.

علاقة الولد بوالديه: إن الازدياد في استقلالية الولد خلال مرحلة الطفولة الوسطى يفرض على الأهل أن يعدّلوا الكثير من أساليبهم ومعتقداتهم التربوية، فكلما كان الحوار المنطقي والمنفتح معتمداً داخل البيت، كانت الأمور أسهل على الولد وعلى أهله معاً، لكن هذا لا يعني أن العائلة لن تواجه مشاكل عديدة: فالولد قد يحاول استخدام قوته الفكرية لعقد الصفقات والتفاوض، ومثل هذه الممارسات الشائعة جداً عند معظم الأولاد في هذا العمر قد تثير انزعاج معظم الأهل وتجعلهم يفقدون صبرهم...

كلما شجّع الأهل أولادهم على الاستقلالية وتحمل المسؤوليات بفعالية، وذلك منذ صغرهم، تخلى الأهل عن فرض سلطتهم الأبوية، وفتحوا المجال أمام التواصل الديمقراطي مع أولادهم حيث لا يزول الإشراف من قبل الأهل، بل يتخذ صفة المرجعية المرشدة الثابتة، مع فسح المجال أمام الأولاد لأخذ القرارات المناسبة في جو آمن، وداعم وحاضن لهم: علماً بأنهم غير جاهزين بعد للاستقلالية التامة.

علاقة الولد بإخوته: بالإضافة إلى الأهل والأصدقاء، يلعب الإخوة دوراً مهماً في دعم التطور الاجتماعي عند الولد. فالإخوة يوفرون الرفقة، ويقدمون المساعدة في الأوقات الصعبة والطمأنينة في وجه الضغوطات العاطفية. لكن إلى جانب هذه

الحسنات، لا شك في وجود سيئات عديدة! فخلال مرحلة الطفولة الوسطى، تشتد المنافسة بين الإخوة، كما تزداد مقارنة الأهل بين الإخوة، فالأخ الذي يثير إعجاب أهله ورضاهم سوف يُنبذ من أخيه الذي لا يحصل على نفس القدر من الإعجاب والرضى، والنتيجة هي ازدياد في الشجار والعداء بينهما.

غالباً ما يحاول الإخوة، خاصة عندما لا يكون هناك فرق كبير بالسن، اتخاذ الخطوات اللازمة لتخفيف المنافسة من خلال سلوكهما لطرق مختلفة كلياً عن بعضهما (الأول يبرع في كرة القدم بينما الثاني يبرع في كرة السلة، الأول يتعلم البيانو والثاني العود!). وأحياناً، إذا كان الأخ الأول بارعاً في نشاط معين، يرفض الأخ الثاني حتى أن يحاول الخوض في النشاط نفسه! إن تجنّب الوالدين لمقارنة الإخوة يساعد كثيراً في تخفيف جو المنافسة القائم بينهما، كذلك على الأهل أن يدعموا ويحفزوا قدرات وإنجازات كل ولد على حدة لكي يشعر الولد بفرديته ويعتزّ بها.

### سابعاً - الطلاق

إن انفصال الوالدين يؤثر على جميع أعضاء الأسرة: الأب والأم والأولاد. عندما يتم الانفصال ويبقى الأولاد مع الأم، يجب على الأم أن تتذكّر أنها الآن أصبحت بمفردها، ولا يوجد لديها الدعم اللازم لتخفيف وطأة الضغوطات اليومية، مما يعني أنه عليها مضاعفة الطاقة والمجهود، على المستوى الجسدي كما على المستوى النفسي.

لكن خبرة الانفصال هذه وتولّي المسؤوليات بهذا الشكل الإفرادي قد يساعدان الأم على الاقتراب أكثر فأكثر من أولادها، واكتشاف مواطن قوة في ذاتها لم تكن مدركة لها من قبل.

هذا وهناك بعض النقاط الأساسية التي يجب أن يأخذها الوالد أو الوالدة بعين الاعتبار عندما يتم الطلاق:

لا يجب أبداً اعتبار الولد كصديق، وتحمله مسؤوليات أكثر مما يستطيع تحمله، فمثلاً لا يجوز أن نقول له «أنت الرجل الآن في البيت»، فلولد الحق في متابعة تطوره بشكل طبيعي، فهو لا يستطيع القفز من الطفولة إلى سن الرشد هكذا! ولا يجوز أبداً النظر إلى الولد وكأنه الشريك البديل في العلاقة.

لا يجب على الأب أو على الأم أن يفصحا عن حاجاتهما وأحلامهما للأولاد، مثل أن تشكو الأم أمام ابنتها أنها حزينة أو مكتئبة أو مرهقة، فهذا من شأنه جعل الابنة

تشعر وكأنها هي المسؤولة عن حزن أمها واكتئابها، وأن عليها الاعتناء بها (تلعب دور «الولد الشافي»، وهذا دور خاطيء جداً في العلاقة بين الولد وأهله).

هناك ميل عند الأب المطلق أو الأم المطلقة إلى أن يجعلوا الولد ينام معه أو معها في السرير. إن هذه الممارسة خاطئة جداً، لأنها تجعل الولد شريكاً في خصوصية الأب أو الأم، وهي تلبي حاجة الأب أو الأم للرفقة في لحظات الوحدة المؤلمة، ولكن لا تساعد الولد أبداً. فيجب أن يعلم الوالدان أن الطفل من خلال تطوره يحتاج لعالمه الخاص به بعيداً عن احتياجاتهما، عالم فيه أسراره الخاصة حيث لا يفكر بهما، فالولد يجب أن يبقى ولداً يعيش طفولته بكل براءتها وخصائصها، كما يجب أن يكون هناك حدود واضحة بينه وبين أهله.

هناك ميل أيضاً عند الأم المطلقة أو الأب المطلق أن يكسرا القواعد السلوكية بالنسبة لتربية الأولاد بسبب شعورهما بالذنب، فالوالدان المطلقان يشعران دائماً بأن شيئاً ما ينقص الولد، فيحاولان التعويض عن هذا النقص بالإفراط في الدلع والتدليل والتسامح وتبذير الأموال...

من المهم جداً في حالات الطلاق أن يتابع كلا الفريقين حياتهما الطبيعية، وألاً يستسلما لمشاعر الغضب أو القهر أو الوحدة أو الاكتئاب التي تنتابهما في معظم الأحيان: فالمواظبة على العمل مهمة جداً في هذه المرحلة من الحياة، كذلك لقاء الأصدقاء وزملاء العمل والأقرباء... فمن الأفضل بكثير أن يرى الولد أباه أو أمه يعيشان حياتهما بشكل طبيعي بدلاً من أن يشعر بأنه أصبح المحور الوحيد الحصري لمشاعرهما واهتماماتهما.

هناك حاجة غريزية عند الأولاد، كل الأولاد، ذكوراً وإناثاً، إلى تواجد صورة أبوية، أو على الأقل صورة ذكورية في عالمهم، وهذه الحاجة تتفاقم عند الأولاد الذين يعيشون مع أمهم من جرّاء الطلاق، لذلك ينصح الخبراء الأمهات المطلقات أن يشجعن أولادهن الذكور، ابتداءً من عمر الثلاث سنوات على الانخراط مع الرفاق الصبيان، وأن يكون هناك رجال لطفاء وطيبين المعشر في حياة الأولاد مثل الجد، والعم، والخال، وابن العم، أو صديق للعائلة، أو حتى المعلم في المدرسة...

هناك ميل عند الأب والأم المطلقين أن يجعلوا من ولدهما الشريك الروحي لحياتهما، بجعله يهتم باهتماماتهما، وهواياتهما الخاصة، ونشاطاتهما، وهكذا ينمو الولد في عالم ليس عالمه هو بل عالم الراشدين مع اهتمامات راشدة. نعود ونذكر الوالدين أنه يجب على الولد أن يعيش عمره!

في الكثير من الأحيان، يصبح الوالدان خلال عملية الطلاق أقل صبراً مع

أولادهما، وأقل تحسّساً لاحتياجاتهم، وتتعالى الأصوات وتترىد الانتقادات وتُفقد الأعصاب على حساب الأولاد... فالشعور بالاكتئاب، وخيبة الأمل من الشريك، والغضب حياله، كل ذلك بالإضافة إلى الضغوط المادية التي تترتب على الأسرة مع التغيرات في كيانها، يجعل علاقة الأهل بالولد ضعيفة جداً، فيعيش الولد حالة من الفوضى والضياع، خارجياً وداخلياً، ويشعر كأنه لا أحد يهتم به أو ينتبه له، وهكذا تتطور المشاكل السلوكية عند الولد، وكذلك الاضطرابات بالنوم، والمخاوف المختلفة، والعوارض النفسية - الجسدية، إلى ما هنالك من سلبيات تعيق تطور شخصيته بشكل سليم.

إذا أردنا تحليل تأثير الطلاق على الأولاد، علينا أن نعتمد على ثلاثة محاور رئيسية هي:

- المحور الأول: الضياع العاطفي: عندما لا يفهم الولد ماذا يجري حوله (البابا والماما يتشاجران، البابا يغادر البيت، الماما تبكي، الخ...) وعندما لا يُعطى فرصة لكي يتكلم عن مشاعره المتعلقة بخبرة الطلاق، يبدأ بابتكار نظريات خاصة بما يحصل ومعظم الأحيان تتمحور هذه النظريات حول لوم نفسه لما حصل. فخيال الولد واسع جداً، ويجعله في الكثير من الأحيان يُولف قصصاً غريبة حيث يلعب فيها دور الضحية، أو يقوم بتصرفات وحشية باحثاً عن معاقبة نفسه بواسطة عقاب الآخرين.

- المحور الثاني: الوفاء المنفصم: عندما ينتقد الوالدان أحدهما الآخر باستمرار أمام الولد، ويتبادلان اللوم، ويتحدث أحدهما ببغض وحقد عن الآخر للولد، يشعر الولد بالانفصام؛ فكيف يستطيع أن يحب أباه عندما تقول له أمه إن أباه شرير! وكيف يستطيع أن يحب أمه عندما يقول له أبوه إن أمه غير صالحة! وكيف يستمتع بعطلة نهاية الأسبوع مع والده إذا كانت أمه، طوال الأسبوع، تتحدث له عن احتيال أبيه أو عدم قدرته على تحمل مسؤولياته كرب أسرة!

إن الأطفال بطبيعتهم أوفياء جداً لمن يحبهم ومن يحبون، فمن الخطأ جداً أن نخلق هذا الانفصام في وفائهم لوالديهم، وأن نجعل الولد يشعر بأن هناك مؤامرة بينه وبين أحد الوالدين ضد الوالد الآخر.

- المحور الثالث: التغيرات في حياة الولد: إن الطلاق يعني تغيرات كثيرة في حياة الطفل، وفي معظم الأحيان يعني ذلك بيتاً جديداً، ومدرسة جديدة، وأصدقاء جديداً، إضافة إلى تغيرات في الظروف المادية التي تخلق ضغطاً متزايداً على كاهل الأم أو الأب مما يؤدي إلى تدني الانتباه المكرس للولد، علماً بأن هذه المرحلة تتطلب

## إرشادات عامة لتجنب سلبيات الطلاق

- أن تساعد الأولاد على التعبير عن مشاعرهم حيال مسألة الطلاق.
- أن يؤكد الوالدان للأولاد أن الطلاق ليس من ذنبهم، وأنهم غير مسؤولين عما جرى بينهما.
- أن يؤكد الوالدان مدى حبهما لهم، وأن هذا الحب ثابت ولن يتغير مهما تغيرت الظروف العائلية.
- أن يجيب الوالدان على كل أسئلة الأولاد بوضوح تام حول مصيرهم بعد الطلاق (أين سوف نعيش؟ مع من؟ كم مرة في الأسبوع سوف أرى والدي؟ أين سوف يعيش والدي؟ هل أستطيع التكلّم معه بالهاتف؟ الخ...).
- أن يتجنب الوالدان تورط الأولاد في مؤامرة مع فريق ضد الفريق الآخر، وأن يمنعا الأصدقاء أو الأصدقاء منعاً باتاً من التحدث عن الفريق الآخر بشكل يمسّ كرامته أو يشوّه صورته أمام الأولاد.

العكس تماماً، أي الانتباه المضاعف والحنان الإضافي للأولاد...

إن هذه المحاور الثلاثة تؤثر بشكل سلبي على نفسية الولد، فعند الأطفال دون السادسة من العمر، نلاحظ تضاعف الخوف من الانفصال، واضطرابات بالنوم، وعودة إلى سلوكيات طفولية مثل التبول اللاإرادي أو نوبات الغضب. وعند الأولاد بين السابعة والثامنة من العمر، يبرز الحزن والشعور بالوحدة فنشهد انزواء في تصرفاتهم، وسلوكاً عدوانياً تجاه الآخرين كعملية دفاعية خوفاً من أذى الغير. أما بين التاسعة والعاشر من العمر، فيسهل التحوار مع الولد، إذ إنه يستطيع تفهم عملية الطلاق أكثر من السابق، ولكن يبرز خلال هذه المرحلة شعور بالغضب تجاه الوالدين، كما تظهر العوارض النفسية - الجسدية مثل آلام المعدة أو آلام الرأس. في نهاية حديثنا عن الطلاق، يجب على الوالدين أن يتذكروا أن الطلاق هو بمثابة حل للمشاكل الزوجية، ومن المفترض أن يؤدي إلى تحسّن في الأمور لا إلى ازدياد سوءها!

## ثامناً - العنف ضد الأولاد

هناك ثلاثة أنواع رئيسية للعنف الممارس ضد الأولاد: العنف الجسدي، والانتهاك الجنسي، والعنف العاطفي أو المعنوي.

بالنسبة للعنف الجسدي، فهناك عوارض لافتة قد ينتبه إليها الخبير في العيادة أو المعلمة في الصف تدل على أن الطفل معرض للعنف الجسدي في بيته، وأهم هذه العوارض هي التالية:

- دلائل جسدية وشكاوى جسدية متكررة.
- تشويه أو أذى الذات.
- تراجع في الأداء المدرسي سببه تشتت الانتباه.
- عودة إلى سلوكيات طفولية (مثل مص الإصبع، والتبول اللاإرادي...).
- إشمئزاز من أشخاص معينين أو أماكن معينة.
- اضطرابات بنمط النوم.
- تعلق غير طبيعي ببعض الأشخاص.
- عقدة ذنب مفرطة ونقص في الثقة بالنفس.
- انزواء أو عدوانية تجاه الآخرين.

أما بالنسبة للانتهاك الجنسي للأطفال، فالدلائل متعددة، وإقامة تشخيص نهائي لانتهاك جنسي لطفل معين يتطلب عدة جلسات كشف لدى الاختصاصي في هذا المجال، وأهم هذه الدلائل تتلخص بما يلي:

- تصرفات إغرائية ومعرفة جنسية متطورة تفوق عمر الطفل.
- مداعبات جنسية متكررة مع الأقران خلال اللعب مع احتمال حصول انتهاك جنسي لطفل آخر.
- خوف من أن أذى قد يحصل له في أعضائه التناسلية.
- ملامح الاعتداء الجنسي تبرز في رسومات الولد (تكرار لرسم الأشخاص مع أعضائهم التناسلية بشكل واضح).
- اضطرابات في النوم مع حدة الكوابيس (استيقاظ متكرر مع صراخ).
- انزواء عن الأصدقاء أو العائلة أو ظهور عدوانية مفاجئة.
- تراجع مفاجيء أو تدريجي في الأداء المدرسي.
- شكاوى جسدية متكررة وأعراض نفسية جسدية مثل آلام في المعدة، أو في منطقة المهبل، أو تبؤل لا إرادي.
- الاستحمام بشكل متكرر عند المراهقين خصوصاً بعد رؤية شخص معين، أو خوف غير عادي عند الصغار من الاستحمام.
- فقدان الثقة بالذات وظهور معالم الإحباط والاكتئاب.
- اعتماد السرية وعدم البوح بما يحدث له.

- ظهور مخاوف حادة (تصل إلى درجة الرعب) من أشياء أو ظروف محدّدة.

إن تأثير العنف الجنسي على الولد عميق جداً، وقد يستوجب سنوات من العلاج الدقيق، وخاصة في مجتمعاتنا الشرقية، إذ إن الأمور الجنسية مرتبطة بمفاهيم العيب والعار، وغالباً ما تنتاب الولد أو المراهق المنتهك جنسياً مشاعر الذنب الفادح، وتضع حاجزاً كتيماً بينه وبين الأشخاص من حوله بشأن هذه الأمور فيرفض رفضاً باتاً التحدث عنها، لأن التحدث عنها بحد ذاته أمر مؤلم للغاية. إنما العلاج ضروري لأن من دونه قد تؤدي خبرات الانتهاك الجنسي خاصة إذا كانت متكررة ومستمرة لفترة طويلة في حياة الطفل أو المراهق إلى عوارض نفسية وسلوكية أهمها: الاكتئاب، ومرض تعدد الشخصيات، والعدائية، والانزواء، والانحراف الصبياني، وانتهاك الأطفال ولاحقاً انتهاك الزوجة حتى الاغتصاب، والدعارة، والسلوك الإجرامي، والسلوك الجنسي المنحرف.

أما العنف العاطفي أو المعنوي فهو يوجد في جميع المجتمعات وكل الطبقات الاجتماعية، وبين المثقفين وغير المثقفين. إن سبب شيوع هذا النوع من العنف بكثرة مرتبط بشكل عام بالمعتقدات التربوية التي لسوء الحظ، لا تزال تسود معظم المجتمعات، حيث يرى الأهل أن النظام التربوي يكون أكثر فعالية إذا تضمن النقد والتهديد والإحباط والتجريح الذهني.

إن نتيجة هذا النوع من التربية واحدة، وهي بكل بساطة، إحباط أو قمع الثقة بالذات، مما يجعل من الإنسان إنساناً «معاقاً عاطفياً».

قد يتخذ العنف العاطفي أشكالاً متعددة لذلك يصعب تعريفه بوضوح، ولأننا كأهل ومدربين نلجأ إلى إحدى هذه الأشكال أو أكثر في حياتنا اليومية مع أولادنا، يصعب علينا الاعتراف بأنه عنف، ونبرّر أفعالنا بالقول إننا طالما لا نعتدي عليهم بالضرب فإن كل شيء على ما يرام، وإننا لا نوذّبهم بل فقط نرشدهم إلى الطريق الصحيح.

هذا وفيما يلي عرض لبعض الممارسات التي نقوم بها تلقائياً، والتي تصب في خانة العنف العاطفي، علنا نلمس معاً الخط الأحمر الذي لا يجوز أن نتعداه عندما نتعاطى مع الأولاد الصغار في مرحلة نمو شخصيتهم:

- أبسط الأشكال والأكثر شيوعاً هو التخلي عن الطفل وإهماله، أي عندما يضع أحد الأبوين أو كلاهما شيئاً ما دائماً في الأولوية، مما يشعر الولد أنه يأتي في المرتبة الثانية. إن هذه الظاهرة شائعة في مجتمعنا من ناحيتين: الأب يهمل أولاده بسبب عمله، والأم، بسبب عملها خارج البيت أو التزامها بنشاطات

اجتماعية أو خيرية موسعة... هذا وإن الظروف الاقتصادية القاسية تفرضُ على الأم أن تعمل خارج البيت حتى لساعات إضافية... لكن لا يجوز أن يتم كل ذلك على حساب الاهتمام بالأولاد، وأن يصار إلى إهمالهم وعدم الإصغاء إليهم. وإهمال أمورهم من نجاحات ومشاكل تربوية، واجتماعية، ونفسية، أو توكيل الخادمة للقيام بكل هذه المهام، هذا يُعتبر تقصيراً فادحاً بأمرهم...

- الشكل الثاني الذي نستعمله كثيراً هو إلقاء اللوم على الطفل لأمر خارجة عن سيطرتهم، إذ إن ذلك يجعله يعتقد أنه مسؤول عن كل ما يحدث في العائلة، مما يؤدي إلى شعور بالغ بعقدة الذنب.

- الشكل الثالث وهو ما أسميه «التربية الخاطئة»، ويشمل العقوبات القاسية، مثل الإرهاب والحرمان من أمور أساسية، والتهديد والحجز في غرفة مرعبة ومظلمة، وتغييره وتعيبه باستمرار بهدف تعليمه المبادئ الأخلاقية. والشق الثاني من هذه «التربية الخاطئة» هو اللجوء إلى الابتزاز العاطفي أو تهديد الطفل بحرمانه من الحب عند المشاغبة.

- الشكل الرابع الذي نلمسه يومياً هو إطلاق الألقاب على الطفل، ويشمل ذلك السخرية من الولد والتهجم عليه بالانتقاد اللاذع والمؤلم ومقارنته بإخوته... الشكل الخامس وهو الملاحظ في حالات الطلاق أو انفصال الأهل، حيث يقوم أحد الوالدين بتحميل الطفل مشاكله الخاصة أو يتكل عليه للدعم. نعم، إن هذه الممارسة نوع من الانتهاك العاطفي وتمنع نمو الطفل الخاص، وتجعله يفقد براءته، إذ إن الأهل يقدمون حاجاتهم على حاجات الطفل، ويجعلون حاجاته تبدو غير مهمة.

- وأخيراً الشكل السادس من أشكال العنف العاطفي ضد الأطفال - وربما الأهم - هو عندما نطلب الكمال من أولادنا، ونتوقع الأفضل منهم، ولا نرضى أو نكتفي بما لديهم من قدرات وكفاءات، بل دائماً نطالبهم بالأجمل والأحسن، طالبين منهم ربما أن يحققوا أحلامنا التي لم نستطع نحن تحقيقها...

إن الطفل الذي ينمو وسط أجواء عدم الثقة، والتعيب والتشكيك والذنب، سوف يفقد كل ثقة بقدراته والاهتمام في الحياة، ويصل إلى عمر المراهقة ضائعاً، حائراً، من دون هوية واضحة، وغير قادر على تجاوز آنيته لتكوين روابط مع الآخرين، ولمعرفة حقيقة المحبة.



## لمحة موجزة لأهم المحطات التطورية عند الطفل بين الست سنوات والإحدى عشرة سنة

العمر	التطور الحركي	التطور الاجتماعي والتواصل	التطور الذهني
6 سنوات	<ul style="list-style-type: none"> <li>- تحسن في التوازن الجسدي</li> <li>- تزايد في قوة العضلات</li> <li>- تحسن في التنسيق البصري-اليدوي</li> <li>- يلتقط الكرة جيداً</li> <li>- يبدأ بربط الحذاء</li> <li>- يكتب الأحرف والأرقام</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- تزايد المخاوف (السمعية والخرافية)</li> <li>- تخف العدوانية ويبدأ الاعتماد على الحوار لحل مشاكله مع الآخرين</li> <li>- يبدأ التمييز الجنسي ("أنا لا أحب اللعب مع البنات")</li> <li>- يميز بين الريح والخسارة وينزعج كثيراً عند الخسارة</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يطابق الصور بالكلمات المناسبة</li> <li>- يفهم الأضداد</li> <li>- يستطيع التصنيف</li> <li>- يستطيع قراءة الأحرف والأرقام</li> <li>- يميز بين اليمين واليسار</li> <li>- يدرك الفرق بين "أكثر" و"أقل"</li> </ul>
8 سنوات	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يربط حذاءه جيداً</li> <li>- يعتمد على نفسه كلياً في مهارات الحياة اليومية</li> <li>- يكتب جيداً لكن خطه كبير وغير منتظم</li> <li>- يبدي حماساً للنشاطات الرياضية (سباق الركض - الفوتبول...)</li> <li>- يجيد ركوب الدراجة والسباحة</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يسعى إلى إرضاء الآخرين لكسب محبتهم ولبناء صداقات</li> <li>- يخاف من فقدان حب الآخرين</li> <li>- يشارك بحماس بالألعاب الجماعية</li> <li>- له صديق أو صديقان مميّزان عن الآخرين</li> <li>- يميز بوضوح بين وقت اللعب ووقت العمل</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يستطيع قراءة الساعة بالساعة والأربع والأنصاف</li> <li>- يفهم قيمة النقود ويقارنها ببعضها البعض</li> <li>- يستطيع القراءة والكتابة بسهولة</li> <li>- يفهم معنى الجمع والطرح وجداول الضرب</li> <li>- يفهم الحزازير والنكات</li> </ul>
9 سنوات	<ul style="list-style-type: none"> <li>- تطور المهارة اليدوية بشكل ملحوظ ( يتحسن خطه - يركب أشياء معقدة...)</li> <li>- يتحسن أدائه الجسدي (أسرع في الركض، أقوى في رمي الكرة...)</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- حساس جداً للانتقاد من الغير ويخجل إذا انتقده أحد أمام مجموعة</li> <li>- تزايد في إدراك الدور الجنسي ("أنا صبي ويجب أن أتصرف كالصبيان")</li> <li>- يكتسب الأصدقاء أهمية أكبر في حياته</li> <li>- تخف المخاوف بشكل ملحوظ</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- تطور المنطق بشكل واضح (خاصة في حوار مع الآخرين)</li> <li>- يسعى إلى تطوير ثقافته العامة (يسأل الكثير من الأسئلة حول أمور عامة)</li> <li>- يبدي اندفاعاً أكبر بالنسبة للتحصيل المدرسي</li> <li>- تحسن في الذاكرة وبالتالي تحسن في حفظ المعلومات</li> </ul>
10 سنوات	<ul style="list-style-type: none"> <li>- تطور القدرات الحركية الرئيسية بشكل ملحوظ (قوة العضل - السرعة - القفز العالي والعريض)</li> <li>- تطور التنسيق البصري-اليدوي حيث تصبح حركاته أكثر تجانساً وفعالية</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يهتم بمظهره الخارجي</li> <li>- يكتسب الآخرون ورأي الآخرين به أهمية كبرى في تكوين صورته الذاتية</li> <li>- يسعى للمشاركة في النشاطات الجماعية</li> <li>- يبدأ الاهتمام بالجنس الآخر</li> <li>- تتكون الصداقات الحميمة</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يبدأ بفهم الأمور المجردة</li> <li>- يستعمل المنطق والاستنتاج في حوار مع الغير</li> <li>- تتحسن مهارات الدرس</li> <li>- يدرك مفهوم الزمن بوضوح وينظم وقته حسب هذا الإدراك</li> </ul>

# 5

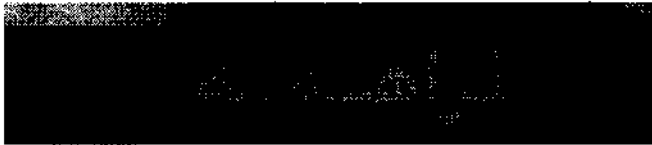
## 210 ..... الفصل 1 : التطور الجسدي

- اولاً : التحولات البيولوجية خلال المراهقة
- ثانياً : التغيرات الجسدية والحياة العاطفية والاجتماعية
- ثالثاً : اهمية عمر البلوغ
- رابعاً : المراهق والتغذية
- خامساً : المراهقة والنشاط الجنسي

## 218 ..... الفصل 2 : التطور الذهني

- اولاً : خصائص التفكير عند المراهق
- ثانياً : التطور الفكري وتصرفات المراهق
- ثالثاً : الكفاءات التعليمية (المدرسية)
- رابعاً : الرسوب المدرسي
- خامساً : التطور المهني

# مرحلة



## الفصل 3 : التطور العاطفي والإجتماعي ..... 230

- اولاً : نظرية « اريكسون » في المراهقة
- ثانياً : مفهوم الذات والتقدير الذاتي
- ثالثاً : العوامل التي تساعد على تطوير الهوية
- رابعاً : التطور الأخلاقي في المراهقة
- خامساً : العائلة خلال المراهقة
- سادساً : الأصدقاء خلال المراهقة
- سابعاً : مشاكل المراهقة

## التطوّر الجسدي



إن معظم الأهل يتوقعون الأسوأ من سنوات المراهقة عند أبنائهم، ففترة المراهقة مقرونة بالعديد من المعاني السلبية، إذ إنها وصفت بالمرحلة الصعبة، العاصفة، مرحلة التمرد، مرحلة الأزمات المتتالية..... وهذه النظرة الشائعة في معظم المجتمعات تعود إلى القرن الثامن عشر، حيث نرى في كتابات الفلاسفة آنذاك، وأشهرهم «جان جاك روسو»، وصفاً حاداً جداً لمرحلة المراهقة ولشخصية المراهق، وعلى سبيل المثال نذكر بعض التعابير الواردة على لسان «روسو» في هذا الإطار:

«مثل هدير الأمواج الذي يسبق العاصفة، هكذا تأتي همسات العواطف المتصاعدة لتنذرنا بالخطر الآتي. التغييرات المزاجية، نوبات الغضب المتكاثرة، التقلبات الذهنية المستمرة تجعل الولد خارج سيطرتنا، لذلك يجب أن تضع يدك على الحزام قبل أن تفقد كل شيء.»

ومع أن «روسو» لم يكن في حوزته معطيات علمية لتأكيد نظريته هذه، فإن الوصف نفسه امتد حتى القرن العشرين حيث نقرأ مثلاً في بعض الكتابات حول الموضوع أن المراهقة هي فترة تدفق للعواطف الغريزية، وأنها تتميز بتقلبات حادة تذكرنا بمرحلة انتقال الإنسان

من كائن متوحش إلى كائن متمدن!

وبالتأكيد فالرسالة الباطنية لكل هذه الكتابات هي أنه يجب إعادة تأهيل الطاقة الجنسية المتصاعدة ضمن قنوات مقبولة اجتماعياً، وإلا انحرف المراهقون في حياة مهشمة مخالفة للمجتمع.

إن القرن العشرين عجّ بالدراسات العلمية التي أقيمت على أعداد هائلة من المراهقين، والتي برهنت أن النظريات التي طرحت آنفاً فيها الكثير من المبالغة، إذ إنها لا تأخذ العوامل البيئية والاجتماعية بعين الاعتبار، مركزة فقط على العوامل الشخصية البيولوجية والنفسية. هذا وقد أتت «مارغريت ميد»، وهي باحثة أميركية شهيرة في علم الأنتروبولوجيا، باستنتاج يؤكد أهمية المحيط الذي يتفاعل معه المراهق، فرأت «ميد» أنه كلما كان المجتمع منفتحاً وأقل تشنجاً، كانت فترة المراهقة خالية من الضغوطات والتقلبات المزجة.

أما اليوم فتجمع الدراسات على التأكيد بأن المراهقة هي نتيجة تفاعل بين العوامل البيولوجية والعوامل الاجتماعية، فالتغيرات الداخلية مع التوقعات الاجتماعية المرافقة لها تخلق عند المراهق لحظات من التردد والشك الذاتي والخيبة.

إن الفترة الزمنية التي تسمى بالمراهقة تختلف من حضارة إلى حضارة، ففي بعض المجتمعات تكون قصيرة جداً، ولكن في معظم البلدان تكون طويلة جداً لدرجة أن الخبراء قسموها إلى ثلاث مراحل هي:

- مرحلة المراهقة الأولى، من عمر 11 سنة إلى 14 سنة، وتتميز بتغيرات بيولوجية سريعة.

- مرحلة المراهقة الوسطى، من عمر 14 سنة إلى 18 سنة، وهي مرحلة اكتمال التغيرات البيولوجية.

- مرحلة المراهقة المتأخرة، من عمر 18 سنة إلى 21 سنة، حيث يصبح الشاب أو الصبية إنساناً راشداً بالمظهر والتصرفات.

## أولاً - التحولات البيولوجية خلال المراهقة

1 - النمو الجسدي: إن البلوغ الجنسي يشكل المرحلة الأكثر تفرقة بين الجنسين، فالقفزة السريعة في النمو، طولاً ووزناً، تختلف بين الذكور والإناث، فالبنات إجمالاً يبلغن في سن مبكر، حوالي الأحد عشر عاماً، مقارنة بالصبيان الذين

يبلغون في عمر الأربعة عشر عاماً. وتبدو الفتاة، خلال المراهقة الأولى، أطول وأثقل من الصبي، ويكتمل نموها في عمر الستة عشر عاماً، بينما يتم اكتمال النمو عنده في عمر السبعة عشر عاماً. كذلك نذكر أن النمو الجسدي خلال فترة المراهقة يأخذ الاتجاه المعاكس عما كان عليه خلال الطفولة (من الرأس إلى الأعضاء ومن الوسط إلى الأطراف): فترى أولاً اليدين والساقين والقدمين تنمو بسرعة ومن ثم الجذع، ما يفسر لماذا يكون مظهر المراهق إجمالاً غير متكافئ وأخرق، ويبدو أن المراهق نفسه لا يتلاءم مع شكله هذا، وكأنه منزعج من صورة جسده لا يدري كيف يتفاعل مع ساقيه الطويلتين ويديه وقدميه العملاقتين!

في المراهقة أيضاً، تبرز الفروقات الجنسية في مجال المقاييس الجسدية، فعند الذكور يتسع الكتفان بالنسبة إلى الوركين، وعند الإناث، يتسع الوركان بالنسبة للكتفين والخصر، وهذه الفروقات ناتجة عن مفعول الهرمونات الجنسية على النمو العظمي، هذا وعند الذكور تكون الساقان طويلتين بالنسبة لبقية الجسد وهذا يعود إلى سنتي ما قبل المراهقة حيث تنمو الساقان بسرعة كبيرة.

**2- النضوج الجنسي:** إن النضوج الجنسي عند البنات يتحدد بظهور العادة الشهرية، وهذا الحدث يأتي بعد قفزة النمو التي تحدثنا عنها آنفاً، فبينما النمو الجسدي يحصل عند الفتاة ابتداءً من العام العاشر أو الحادي عشر، تظهر العادة الشهرية إجمالاً في حوالي العام الثالث عشر، علماً بأن هناك فروقات شاسعة بين البنات، أي إن ظهور العادة الشهرية قد يحصل في عمر العشر سنوات والنصف في بعض الحالات كما في عمر الخامسة عشرة في حالات أخرى.

هذا وإن العادة الشهرية لا تطلق النضوج الجنسي، أي ظهور الخصائص الجنسية الثانوية (مثل نمو الثديين وظهور الشعر تحت الإبطين وعلى الأعضاء التناسلية)، بل تتبعه.

أما عند الذكور، فالعلامة الأولى للنضوج الجنسي هي زيادة حجم الخصيتين، وظهور الشعر حول الأعضاء التناسلية لاحقاً، مع زيادة في حجم القضيب. إن ظهور الشعر على الوجه والجسد يتبع قفزة النمو الجسدي، أي في حوالي العام الرابع عشر. أما التغيرات الطارئة على صوت الفتى فتحصل في سن متأخرة من فترة البلوغ، وعندما تحصل يجد الفتى صعوبة في ضبط صوته بشكل متجانس.

ويحصل قذف السائل المنوي للمرة الأولى في العام الخامس عشر تقريباً، ولهذا الحدث معنى نفسي عميق لدى الصبيان كما العادة الشهرية بالنسبة للبنات.

**3 - تأثير البلوغ على النفسية:** إن للتحويلات الهرمونية والتغيرات الجسدية في

مرحلة المراهقة تأثيراً قوياً على الصورة الذاتية والمزاج والعلاقات الاجتماعية. فإذا تناولنا ظهور العادة الشهرية عند البنات، نرى أن لهذا الحدث ردة فعل معقدة، إذ إنها مزيج من الشعور بالمفاجأة (نظراً لطبيعة الحدث المفاجئة)، والابتهاج والخوف والانزعاج.

إن الدراسات التي أقيمت حول هذا الموضوع في الخمسينيات من القرن الماضي تشير إلى أن تأثير البلوغ الجنسي عند الفتيات كان سلبياً، إذ كان يشكل صدمة عند البنات التي كانت في معظم الأحيان جاهلة كلياً للموضوع، فأكثر من خمسين بالمئة من البنات في الماضي كنَّ يجهلن ما هي العادة الشهرية قبل بلوغهن، أما اليوم فعددهن أقل من عشرة بالمئة.

أما بالنسبة للصبيان، فردة فعلهم للقذف المنوي الأول شبيهة بردة الفعل عند البنات للعادة الشهرية، أي مزيج من المشاعر الإيجابية والسلبية معاً.

إجمالاً، نرى أن الأكثرية الساحقة من الصبيان يكون لديهم علم بالأمر قبل حدوثه، ولكن - خلافاً لما يحصل عند الفتيات اللواتي يتكلن على والدتهن للحصول على المعلومات في معظم الأحيان - يكون مصدر المعلومات الكتب وليس الأهل ولا حتى الأصدقاء، إذ يبدو أن هذا الحدث يبقى سراً حميماً عند الفتى، ولا يبوح إلا عدد قليل جداً من الصبيان بهذا الأمر لشخص آخر.

### ثانياً - التغيرات الجسدية والحياة العاطفية والاجتماعية

هناك دراسات كثيرة تشير إلى وجود علاقة قوية بين وظيفة الهرمونات الجنسية والتفاعل العاطفي عند المراهقين، فالمستويات الهرمونية المرتفعة خلال هذه المرحلة مرتبطة بتفاعلات مزاجية كبيرة على شكل الغضب والإثارة وحدة الطبع عند الصبيان، والغضب والاكنتاب عند البنات، بين أعمار التسع والأربع عشرة سنة.

إن لهذه التقلبات المزاجية عند المراهقين علاقة وطيدة مع الطرف الاجتماعي الذي يتواجد فيه الإنسان، فمثلاً نلاحظ أن المزاج الإيجابي مرتبط بالاجتماع مع الأصدقاء، والنشاطات الترفيهية اللامنهجية وممارسة الهوايات المحببة. أما المزاج السلبي فنلاحظه عندما يكون المراهق ضمن أطر منتظمة مغلقة مثل الصف، وموقع العمل، ومكتبة المدرسة، والزيارات إلى الأقرباء، الخ.....

الكل يعلم أن فترة المراهقة تشهد ازدياداً في الاحتكاكات المتنشجة والمشحونة بين الأولاد والوالدين مرفقة بشعور بالبعد عند كل من الفريقين. هذا التباعد

العاطفي الذي يشعر به المراهق حيال أهله قد يكون بديلاً للتباعد أو الانفصال الجسدي عن الأهل الذي لا يستطيع المراهق تنفيذه، لأنه - بالرغم من نضوجه الجنسي - لا يزال يتكل عليهم مادياً واقتصادياً. هذا وتلعب القدرات الفكرية الجديدة عند المراهقين دوراً مهماً في تزايد التوتر داخل الأسرة.

### ثالثاً - أهمية عمر البلوغ

إن العمر الذي يبلغ فيه الشاب أو الفتاة له تأثير عميق على الشخصية، فالدراسات تشير إلى أن الشاب الذي يبلغ في عمر مبكر يتميز بالجابنية، والشعبية والثقة بالذات وصفات القائد في علاقاته مع الآخرين، والكثير من هؤلاء الشباب يصبحون نجوماً رياضيين! بالمقابل، فإن الشاب الذي يتأخر في بلوغه لا يبدو محبوباً جداً من قبل الرفاق، ويكون إجمالاً قلقاً، ويحب إثارة انتباه الآخرين من خلال استثماره المبالغ للكلام والمناقشة.

أما بالنسبة للبنات فهناك تيار معاكس: إن البنت التي تبلغ في سن مبكرة تعاني إجمالاً من صعوبات اجتماعية، فهي منزوية، غير محبوبة، ولا تتحلى بنسبة عالية من الثقة بالنفس. بالمقابل فإن البنت التي تبلغ في عمر متأخر، تبدو جذابة، رشيقة، مفعمة بالحياة، اجتماعية، وتتسم بصفات القيادة ضمن المجموعة.

لفهم هذه الملاحظات يجب أن ننظر إلى مفهوم الجاذبية عامة: فالمرأة الجذابة اليوم هي المرأة الرشيقة ذات الساقين الطويلتين، والرجل الجذاب هو الرجل الطويل ذو العضلات، والعريض الكتفين، فمثال الأنوثة يتسم بمظهر يشبه مظهر الفتاة غير الناضجة، ومثال الرجولة يتلاءم مع مظهر الشاب الذي بلغ في سن مبكرة.







إن العمر الذي تبلغ فيه الفتاة له تأثير عميق على شخصيتها.

الفتاة التي تنضج باكراً تنظر إلى نفسها نظرة سلبية، عكس الشاب الذي ينضج باكراً والذي يتحلى بصورة جسدية إيجابية، وهذا كله متعلق بالهاجس الاجتماعي المفروض علينا اليوم، والذي يختصر بالتعبير التالي: «الجمال هو كل شيء»، والذي يجعل الفتاة الناضجة في عمر مبكر والشاب الناضج في عمر متأخر كلاهما يشعران بعدم الثقة بالذات، ويعتقدان أنهما غير جذابين مما يجعلهما أقل شعبية من رفاقهما الآخرين.

نضيف إلى ذلك الصعوبة التي تلاقىها الفتاة المبكرة النضوج والشاب المتأخر النضوج في إقامة علاقات اجتماعية سليمة، لأنهما ينشغلان بهواجس التطور الجسدي: فهذه الفتاة ليست فقط أطول من رفيقاتها بل أيضاً من الفتيان في صفها، وهذا الشاب يدرك تماماً مظهره الطفولي، ولديه مخاوف عديدة بالنسبة لنموه في المستقبل، ويقارن نفسه باستمرار بالآخرين، ويعتقد أنه غير «طبيعي». ومن البديهي أن هؤلاء الأولاد يرتاحون أكثر مع أولاد يتلاءمون مع نضوجهم البيولوجي: فالشباب والفتيات الذين بلغوا في عمر مبكر يفضلون الاختلاط مع مجموعات رفاق يكبرونهم بالسن، ولديهم نشاطاتهم وميولهم وتصرفاتهم الخاصة بعمرهم، وكلنا نعلم خطورة مثل هذا الاختلاط، إذ تراهم ينخرطون في نشاطات لا يستطيعون استيعابها عاطفياً ولا فكرياً، مما يؤثر سلباً على تحصيلهم المدرسي في معظم الأحيان.

## رابعاً - المراهق والتغذية

عندما يبلغ المراهق، تؤدي القفزة السريعة في النمو الجسدي إلى تضخم هائل في القابلية، فالصبي يحتاج إلى 2700 وحدة حرارية في اليوم، والفتاة تحتاج إلى 2200 وحدة حرارية.

إن الكالسيوم مهم جداً للنمو العظمي، وثمة حاجة إلى كميات إضافية من الحديد لدعم الكتلة العضلية والمقدار الدموي عند الصبيان، وللتعويض عن الدم المفقود خلال العادة الشهرية عند البنات.

إنما هذا الازدياد في المتطلبات الغذائية يأتي في وقت تكون العادات الغذائية رديئة جداً، فكلنا يعلم أن المراهقين في معظم أنحاء العالم يميلون لاستهلاك أغذية غير صحية! إذ يتناولون الطعام بسرعة، ويفضلون تناول الوجبات السريعة في المطاعم بدلاً من الطعام المغذي المطهي في المنزل (مقاله ومشروبات غازية بدلاً من اليخنات والسلطات وعصير الفاكهة). إن هذه العادات إذا استمرت لفترة طويلة وأصبحت النمط الغذائي الوحيد لدى المراهقين ستؤدي إلى مفعول مؤذ على صحتهم.

إن أكثر المشاكل الغذائية شيوعاً خلال المراهقة هي النقص في الحديد وتشير الإحصاءات إلى أن ما يقرب من 75% من المراهقين الأميركيين يعانون من هذه المشكلة! فإذا بدت ابنتكم تعباً، كسولة وميالة إلى سرعة الانفعال فقد يكون ذلك بسبب فقر الدم («الأنيميا»)، وليس بسبب الحزن والاكتئاب، وهي تحتاج إلى معاينة طبية.

كذلك فإن معظم المراهقين لا يحصلون من جراء تغذيتهم السيئة على الكميات



الكافية من الكالسيوم والفيتامين «B» والمغنيزيوم التي تدعم عملية الأيض (الاستقلاب).

نضيف إلى ذلك ميل الفتيات الكبير للخوض في أنظمة غذائية منحفة من دون استشارة طبية صحيحة، أو أنظمة غذائية نباتية تحرمهن من فوائد البروتينات في عملية النمو، وهذا نتيجة اعتناقهن لفسافات حياتية تتلاءم مع تحدياتهن للمجتمع وتمردهن على كل ما يتناقض مع ثورتهن الداخلية وعقائدهن الخاصة.

### خامساً - المراهقة والنشاط الجنسي

يبدو أن النشاط الجنسي (أي ممارسة الجنس) عند الذكور والإناث خلال فترة المراهقة مرتبط بعوامل عديدة، أهمها:

- النضوج الجسدي المبكر.
- الاستعداد للخوض في خبرات مهشمة، مثل تناول المخدرات أو استهلاك الكحول.
- تفكك الأسرة (انفصال الوالدين أو الطلاق).
- حجم العائلة الكبير.
- أصدقاء ناشطون جنسياً.
- تحصيل مدرسي رديء مع اهتمامات وطموحات تربية متدنية.

كما نلاحظ أن معظم هذه العوامل مرتبطة ببيئة اقتصادية - اجتماعية متدنية، إذ تشير الإحصاءات في الولايات المتحدة الأميركية إلى أن النشاط الجنسي المبكر يكون أكثر شيوعاً في الطبقات الاجتماعية الفقيرة. تضيف الدراسات في هذا المجال إلى أن المراهق الناشط جنسياً قد يعاني من اضطرابات نفسية إذا كان أساساً يشعر بالنقص وعدم التكيف، ويفتقر للحوافز التربوية أو المهنية البناءة، ويستخدم نشاطه الجنسي كوسيلة للتباهي أمام الآخرين، وأمام نفسه. ويكون هذا النشاط الجنسي إجمالاً موزعاً بين عدة شركاء، فعند الشاب يتخذ قيمة استغلالية محضة من دون أي التزام عاطفي، وعند الفتاة يأتي النشاط الجنسي كتعويض لحرمان عاطفي تعيشه ضمن عائلتها أو مع رفاقها، أو بديلاً لمستوى متدن جداً في التحصيل المدرسي، فتعتقد أنها من خلال ممارستها للجنس - ولو تعدد الشركاء - تستطيع أن تبرهن عن تفوقها حتى ولو كانت فاشلة مدرسياً.

## التطوّر الذهني



تجلب المراهقة معها قدرات فكرية موسعة، فمن المنطق الملموس المرتبط بـ«الآن» والـ«هنا» الذي ميّز السنوات الماضية، يتخذ التفكير تدريجياً صفات مجردة، فتختلط المفاهيم عند المراهق ضمن تركيبات معقدة، ويفكر بظروف غير مكشوفة في عالمه الواقعي أو حتى غير موجودة بتاتاً. إن هذا النوع من التفكير، الذي يشبه تفكير الإنسان الراشد، يجعله قادراً على حل العديد من المسائل التي لم يكن قادراً على حلها سابقاً، كما أنه يفتح أمامه آفاقاً جديدة للتعلم، فالمرهق يستطيع الآن فهم مبادئ علمية معقدة، وتحليل أمور اجتماعية وسياسية غامضة، وكشف المعاني الباطنية في النصوص التي يقرأها، والتلاعب بلغته بطريقة أكثر مرونة وأكثر إبداعاً من السابق. هذا وإذا قارنا المراهق بـابن التسع سنوات، نرى أن القدرات الذهنية عنده أصبحت أكثر خيالاً، وتنويراً وعقلانية.

في هذا الفصل سوف نتناول في القسم الأول أهم خصائص التفكير عند المراهق، وفي القسم الثاني سوف نتكلم عن تأثير هذه الخصائص على تصرفات المراهق. أما القسم الثالث فيلقي ضوءاً على كل الأمور المتعلقة بالتحصيل المدرسي والأكاديمي في ظل كل

هذه التغييرات الذهنية المهمة، وفي القسم الرابع والأخير سوف نتحدث عن التطور المهني الذي يميز المرحلة الأخيرة من المراهقة عندما يواجه الشباب قراراً حياتياً بالغ الأهمية وهو اختيار المهنة الملائمة.

### أولاً - خصائص التفكير عند المراهق

إن اسم «جان بياجيه» أصبح مألوفاً لدى قراء هذا الكتاب، إذ إنه واكبنا في الفصول السابقة عندما تحدثنا عن التطور الفكري، وكما نعلم فإن نظريته تشمل القدرات الذهنية منذ الطفولة وحتى سن الرشد، ولقد أعطى تحليلاً دقيقاً لفترة المراهقة، وفيما يلي أهم ما ورد في هذا التحليل:

#### 1 - التفكير الإفتراضي - الاستنتاجي

عندما يواجه المراهق مسألة ما، يبدأ بطرح نظرية عامة حول كل العوامل التي قد تؤثر على النتيجة، ومن ثم يستنتج فرضيات محددة (أو تنبؤات) حول ما يمكن أن يحصل. بعد ذلك، يختبر المراهق هذه الفرضيات بطريقة منتظمة ليرى أي واحدة منها (أو أكثر) قد تنطبق في العالم الواقعي.

نلاحظ من خلال هذه العملية كيف يبدأ حل المسألة باحتمال وينتهي بالواقع، وهذا عكس ما يحصل عند ابن التسع سنوات مثلاً الذي يبدأ بالواقع الملموس مع تنبؤات ظرفية، وعندما تفشل هذه لا يجد الطفل بدائل أخرى فيفشل في حل المسألة. وهكذا نرى أن المراهق يبدأ في حل العمليات الفكرية من خلال التفكير المنطقي، ويطبّق النظام الفكري، ويخضع لقوانين ومبادئ المنطق، ويتخلص تدريجياً من التفكير الحدسي الذي كان يوجّه تفكيره حتى الآن.

#### 2 - التفكير الإفتراضي

يستطيع المراهق أن يقدر منطق الاقتراحات من دون أن يلجأ إلى مستندات ملموسة في العالم الواقعي، بعكس ابن التسع سنوات الذي يستوعب منطق الاقتراحات فقط بالاستناد إلى حقائق ملموسة.

إن تطور النطق خلال المراهقة يساعد على التدرج نحو هذا النوع من القدرات الفكرية، فالتفكير المجرد يتطلب أنظمة لغوية تمثل أموراً تتعدى الحقيقة المادية، ففي عمر الأربعة عشر عاماً يبدأ المراهق باستخدام هذه الأنظمة في مادتي الجبر والهندسة، كما أنه يبدأ بالتحليل اللغوي للمفاهيم المجردة (معنى الحرية في مادة الفلسفة).

## ثانياً - التطور الفكري وتصرفات المراهق

إن هذا التطور الفكري عند المراهق (من المادي إلى المجرد، من الحدس إلى المنطق) ينعكس بشكل حاد على نظرة المراهق لنفسه وللمجتمع حوله. فالتكيف مع هذا النوع من التفكير المجرد يشمل نفس التحديات التي يواجهها المراهق بتكيفه مع التغيرات الجسدية خلال هذه الفترة من النمو. ومثلما يكون المراهق أحياناً أخرق في التعاطي مع جسده المتغير، كذلك فهو يبدو متلعثماً متردداً في التعاطي مع المفاهيم المجردة.

فيما يلي وصف لتصرفات المراهق نتيجة تفاعله مع هذه التحولات الجسدية والذهنية، ومن خلال هذا الوصف نأمل من الوالدين أن لا يسيئوا فهم هذه التصرفات التي قد تبدو في معظمها سلبية ومزعجة، بل أن يفهموها في إطار افتقار المراهق للخبرة الكافية في التعاطي مع هذه القدرات الفكرية الجديدة.

### 1 - الجدل والمناقشة

إن جميع الأهل يلاحظون أن ابنهم الذي كان في صغره «يسمع الكلمة»، ويطيع كل أوامره دون عذاب، ويقتنع بكل سهولة بما يقولونه له، أصبح الآن مراهقاً مناقشاً ينظم المعطيات والأفكار وكأنه محام يقيم قضية! فلا يكتفي بجواب بسيط ومباشر لأسئلته بل يريد ألف حجة، وغالباً ما لا يقتنع بها بل يناقضها جميعاً. ومعظم الأهل يفيدون أيضاً أن ابنهم يناقش فقط للمناقشة، وبالفعل فإن اعتقادهم هذا بمحله.

على الأهل أن يدركوا أنه طالما هذه المناقشات تبقى مركزة على المبادئ، وأنها لا تنتهي بشجار أو عراك يؤدي كلاً من الفريقين، فإنها قد تساهم في تسريع عملية التطور عند الشاب أو الصبية، فمن خلال هذه المناقشات للقوانين والقيم العائلية، يصبح المراهق أكثر إدراكاً لهذه القيم ولأسباب وجودها، وأكثر تقديراً «لشرعية» هذه المعتقدات، حتى أنه يصل إلى تبني الكثير منها لاحقاً في حياته.

كما نذكر بأن قدرة المراهقين على الجدل الفعال تفتح الباب أمام نشاطات فكرية مثيرة، فالمناقشات الجماعية في الصف أو مع الأصدقاء تعطيهم فرصة مهمة للتدرب على التفكير النشط حول كل جوانب القضايا المثيرة للجدل، مثل القضايا الأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية.

### 2 - المحورية الذاتية

إن التطور الفكري الحاصل عند المراهق والمرفق بالتغيرات النفسية والجسدية يجعله أكثر تمحوراً على ذاته، حتى أن «بياجيه» نعت هذا النوع من التفكير بالأنية:

فالمراهق يصبح مهتماً بشكل مبالغ بأفكاره ومظهره وتصرفاته.

هذا ويتصرف المراهق وكأنه دوماً على خشبة المسرح، مقتنعاً بأنه محط أنظار واهتمام الجميع، ففي وجه هذا الجمهور المتخيّل يتضخّم وعيه الذاتي ويمضي وقته في تجنب الظروف المحرجة، من هنا نفهم لماذا يمضي المراهق ساعات في الحمام مستكشفاً بدقة كل تفصيل من تفاصيل مظهره، رابطاً ذلك بتصويراته حول ردة فعل جمهوره هذا. في الإطار نفسه، نفهم أيضاً سرعة انفعالاتهم لانتقادات الآخرين، وظهور الخجل الشديد في بعض الظروف الاجتماعية. هذا ونذكر بأن عدداً كبيراً من المراهقين، ومعظمهم من الإناث، يطورون نوعاً جديداً من الخوف، هو الخوف من الاحمرار أمام الآخرين، مما يشل تصرفاتهم، وأحياناً يشوه طريقة تفكيرهم. فالمراهق يعتقد أن كل شخص في محيطه يراقبه بحذر، فأية ملاحظة سلبية من قبل والديه أو معلميه أو حتى الأصدقاء تؤلمه بشدة. لذلك ننصح الأهل بأخذ ذلك بعين الاعتبار، وعدم توجيه اللوم أو الانتقاد اللاذع له أمام الآخرين، بل التحدث معه على انفراد بترؤ وصراحة.

إن المحورية الذاتية عند المراهق تتميز أيضاً بالشعور المضخّم حول أهميته، إذ إنه يشعر بأنه مميز وفريد، ويستطيع أن يرى نفسه في أعلى قمم المجد كما في أدنى مستويات اليأس، وكلها بنظره خبرات لا يمكن لأحد فهمها! ويعيش حياته وكأنه



ظهور الخجل الشديد في بعض الظروف الاجتماعية شائع خلال فترة المراهقة.

بطل لحكاية خاصة به، يستطيع القيام بأعمال لا يستطيع الآخرون القيام بها، أو يتخيل أن حالات اليأس والتعاسة التي قد يمر بها خاصة به فقط، ولا يوجد أحد على وجه الأرض يعاني من نفس المرارة والألم.

إن هذا التحليل يفسر طموحات المراهقين التي تتناقض مع الحياة العائلية الاعتيادية الروتينية والمملة بنظرهم. كذلك، فعند الشعور بالحزن بعد خبرة عاطفية مؤلمة (مثل الفتاة التي تقع في غرام رقيق لها ولكنه لا يبادلها الحب)، لا يتجاوبون مع محاولات المحيط لتطمينهم أو التخفيف عن حزنهم، إذ إنهم يعتقدون أن لا أحد يستطيع فهم هذا الحزن العميق (إذا أتت أم الفتاة لتواسيها في حزنها، ترد عليها الفتاة بحزن أكبر: «أنت لا تعرفين معنى الحب»)

لسوء الحظ، فإن هذه «الحكاية الشخصية» التي يبتكرها المراهق في مخيلته حول حياته ومغامراته ومشاعره قد تؤدي أحياناً للمخاطرة في سلوكيات ونشاطات غير مبنية اجتماعياً، مثل سرقة سيارة والده للقيادة بسرعة هائلة برفقة الأصدقاء على الطرقات المزدحمة، أو إقامة العلاقات الجنسية في عمر مبكر، أو الانحراف في عالم المخدرات...

ولحسن الحظ، فإن هذه الفترة المشحونة بالآنية والتناقضات العاطفية والتمرد على كل ما هو مألوف وممل لا تدوم إلى الأبد، بل نلاحظ أنه ابتداءً من منتصف مرحلة المراهقة، تنحسر هذه الموجة الحادة لتحل مكانها نظرة إيجابية تجاه المجتمع، مما يساعد المراهق على الانفصال بسلاسة عن أهله، وإقامة علاقات مهمة مع الآخرين، وتكوين هوية مستقلة.

### 3 - المثالية والنقد

إن تطور التفكير المجرد الذي يميز مرحلة المراهقة يفتح الطريق أمام المراهقين لعالم من المثاليات والكمال، فالمراهق يتخيل عائلة بديلة، وأنظمة دينية وسياسية وأخلاقية مختلفة، ويريد أن يكتشف كل هذه الاحتمالات الجديدة. عبر هذه الطريق يصل المراهق إلى تحديد قيمه وهواياته وميوله الشخصية.

فمثالية المراهق تجعله يبني تطلعات سامية نحو عالم كامل من دون ظلم، ولا بؤس، ولا تمييز، ومن ثم يصر على أن يتطابق الواقع مع هذا العالم المثالي، لذلك تراه لا يتحمل نواقص الحياة اليومية. هذا هو ما نسميه الفجوة بين الأجيال، جيل الوالدين وجيل المراهق، وهذه الفجوة تخلق الكثير من التوتر في العائلة. فيصبح دائم الانتقاد لأهله وإخوته الذين لا يطابقون العائلة المثالية التي يحلم بها.



إن كل الملاحظات المؤلمة التي يوجهها المراهق لأهله قد تبدولنا، في انطباع أول، بغیضة وغير حساسة ومتطلبية، ولكن يجب أيضاً أن ندرك أن لها محاسن في المدى البعيد: عندما يتعلم المراهق أن للناس حوله نقاط ضعف ومواطن قوة، يصبح قادراً على العمل نحو التغيير الاجتماعي، وعلى بناء علاقات اجتماعية إيجابية قادرة على البقاء.

فعلى الأهل مساعدة أولادهم في صياغة توازن أكبر بين المثالي والواقعي، ويتم ذلك من خلال تحملهم الصبور لهذه الانتقادات مهما كانت لاذعة، وتذكيرهم أن كل الناس، بمن فيهم المراهقين، هم مزيج من الفضائل والنواقص.

#### 4 - التصميم وأخذ القرار

من الطبيعي أن يصبح المراهق قادراً على التعاطي بالنشاطات الفكرية بطريقة فعالة أكثر مما كان عليه في السنوات السابقة، فهو الآن يستطيع تنظيم وقته عند الدرس لإنهاء فروضه المنزلية بالتصميم السليم لما يجب تنفيذه أولاً، ماذا يتبع، ماذا يستطيع تأجيله، ما الذي يجب تعديله، ما الذي يأخذ أولوية، إلخ.....

لهذا السبب، نرى في معظم الأحيان أن تقنيات الدرس تتحسن في المراهقة مقارنة بالسنوات السابقة.

لكن هذه القدرة على التصميم التي نلمسها في المجال الفكري، لا نجدها في أمور الحياة اليومية، إذ إن المراهق يبدو ضائعاً حائراً متردداً أمام كل الخيارات المتوفرة أمامه، والنتيجة هي أن كل الجهود المبذولة لاختيار احتمال واحد تنهار، ويلجأ المراهق بالنهاية إلى ما هو مألوف، أو يتوتر، أو حتى لا يأخذ أي قرار!

لنأخذ مثلاً فتاة في الثانية عشرة من عمرها، فهي في كل صباح قبل أن تذهب إلى المدرسة، تجرب خمسة أو ستة ملابس، وبالطبع لا ترجع أي منها إلى الخزانة! وقد تستشير والدتها: «ماذا أرتدي اليوم؟»، وعندما تقترح هذه الأخيرة شيئاً، بالطبع ترفضه الفتاة وبالنهاية تعود وتختار اللباس الذي ارتدته بالأمس وقيل الأمس!

#### ثالثاً - الكفاءات التعليمية (المدرسية)

إن نسبة نجاح المراهقين في المدرسة ولاحقاً في العالم المهني مرتبطة بمجموعة من العوامل الشخصية والاجتماعية. وهذه العوامل تبدأ إجمالاً في سنوات الطفولة: فالبيئة العائلية السليمة التي ينشأ فيها الولد، ونوعية المدرسة التي يرتادها، كلاهما تؤديان إلى حفز خصائص إيجابية في شخصية الإنسان، مثل الرغبة في

## خصائص النمط التربوي الناجح

- يكيف الوالدان توقعاتهم بدقة لتتأقلم مع قدرات أبنائهم في تحمل المسؤولية عن تصرفاتهم.
- عند المراهقة، يحرص الوالدان على احترام مبدأ القرار المشترك مع أبنائهم، ويعملون بشكل تدريجي يتلاءم مع عمر الولد نحو السماح للمزيد من الاستقلالية.
- المناقشة المفتوحة مع الأولاد، التي تمزج بين التفهم من جهة وصلابة الموقف من جهة أخرى، تجعل المراهق يشعر بأن آراءه مهمة ومقدرة، مما يشجع التفكير البناء وضبط النفس، وبالتالي يحثه على إدراك أهمية الإنجاز المدرسي الجيد.
- إشراف الوالدين بشكل دقيق على إنجازات أولادهم المدرسية من خلال الكشف على تطورهم، وإقامة العلاقات مع المدرسين والتأكد من أن المواد المدرسية التي يتعرض لها الولد هي بالفعل متلائمة مع قدراته وطموحاته.

النجاح والطموح التربوي والمثابرة الفعالة للوصول إلى الهدف. وفيما يلي تلخيص لهذه العوامل:

### 1 - الممارسات التربوية في البيت

يبدو حسب الدراسات العديدة أن الإنجاز المدرسي الجيد مرتبط بنمط تربوي معين يسلكه الأهل في البيت، وهذا النمط يتميز بفرض السلطة في المنزل من دون تشنج أو تصلب بالمواقف، وتوفير العطف والحنان والتفهم للأولاد مع منحهم الفرص الملائمة للنضوج والتعبير.

بالمقابل تشير الدراسات إلى أن الأسلوب التربوي المتسلط جداً كما الأسلوب المتسامح جداً كلاهما يؤديان إلى إنجاز مدرسي رديء عند الأولاد، مع الإشارة إلى أن الأسلوب غير المنتظم (أي الذي يتقلب عشوائياً بين التسلط والتسامح) هو المسؤول عن المستويات الدنيا للأداء المدرسي.

### 2 - تأثير الرفاق

يلعب الرفاق دوراً مهماً في الإنجاز المدرسي خلال المراهقة، ونرى أن الأولاد إجمالاً يميلون إلى اختيار أصدقائهم من نفس البيئة الاجتماعية حيث التقاليد والقيم المشتركة. لذلك، نلاحظ أن مجموعات صغيرة تتألف داخل الصف، ولكل

مجموعة قيمها وتصرفاتها الخاصة بما يتعلق بالإنجاز المدرسي، فمنها ما يعطي أهمية بالغة للعلامات المتفوقة وتري الأوالاد ضمنها يتنافسون بشكل غير مباشر على التفوق، ومنها من لا يهتم كثيراً بهذه الناحية بل هناك استثمار أكبر للناحية الاجتماعية اللامنهجية...

إن انتماء المراهق لأي من هذه المجموعات قد يؤثر على نظرتة الشخصية لفكرة الإنجاز المدرسي والتحصيل العلمي، ويأتي اختياره لرفاقه نتيجة شعوره بالارتياح النفسي ضمن هذه المجموعة أو تلك (الشعور بأنه «وجد نفسه» بينهم)، وهذا الارتياح مبني على مدى إدراكه للتشابه بين القيم الخاصة بالمجموعة والقيم التي نشأ وترعرع عليها في أسرته، إذ نلاحظ أن المراهق الذي يأتي من أسرة تعير أهمية كبرى للعلم والثقافة والطموح البناء يميل إلى اختيار رفاق أو مجموعة من الرفاق يأتون من نفس الجو...

### 3 - خصائص المدرسة

إن المراهق يحتاج لمحيط مدرسي يتجاوب مع قدراته الفكرية المتطورة، فمن دون الخبرات التربوية الملائمة، قد تنشأ عملية التطور نحو التفكير المجرد السليم. إن القفزة من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة التكميلية هي تجربة صعبة في معظم الأحيان، إذ إن المراهق يجد نفسه أمام ظروف جديدة بالنسبة له تفرض عليه



يميل الأوالاد الى اختيار أصدقائهم من نفس البيئة الاجتماعية.

التكيف السريع: ففي المرحلة الابتدائية يكون الانتباه مركزاً أكثر على الأولاد، بينما في المرحلة التكميلية يصبح الانتباه موجهاً على عملية التعليم والمنهج المطروح، كذلك فإن تعدد المدرسين وتعدد المواد المنهجية يجعلان المراهق يشعر ببعض الضياع خاصة في الأسابيع الأولى من السنة المدرسية وعليه التكيف السريع مع هذه التغيرات. هذا ويدرك المراهقون سطحية العلاقات مع المدرسين بينما كان المدرس في الماضي عنصراً مهماً جداً في حياة الطفل، وكانت العلاقة معه أعمق بكثير. ويأتي هذا الإدراك في وقت يكون المراهق بحاجة ماسة إلى إقامة علاقة وطيدة مع مدرسه تسمح له بتكوين هوية شخصية مستقلة عن أسرته، ويحتاج فيها إلى نماذج راشدة مختلفة عن والديه.

#### رابعاً - الرسوب المدرسي

تشير الإحصاءات في الولايات المتحدة الأميركية إلى أن 15% من الشباب الأميركي لم يكملوا تحصيلهم المدرسي، وأن نسبة كبيرة من هؤلاء ينتمون لطبقات اجتماعية متدنية. كما نعلم أن قرار ترك المدرسة في عمر مبكر له تأثير فادح على مستقبل الإنسان من ناحية التوظيف في العالم المهني كما من ناحية النمو الشخصي.

#### 1 - ما هي العوامل المتعلقة بالرسوب المدرسي؟

- العوامل المتعلقة بالتلميذ: حضور غير منتظم، عدم انتباه في الصف، مشاكل سلوكية (خاصة العدوانية)، عدم القدرة على التواصل الإيجابي مع الأساتذة، تحصيل مدرسي ضعيف، كراهية للمدرسة، طموحات تربوية متدنية، عدم الثقة بالذات، اختيار رفاق راسبين مدرسياً، عدم الانخراط في نشاطات ترفيهية لامنهجية، تعاطي المخدرات...

- العوامل العائلية: لامبالاة الوالدين في تربية الأبناء أو الكشف على تطورهم المدرسي، عدم تواجد قيم عائلية في البيت تحفز على التعلم وتحث الأبناء على الإنجاز والتفوق، كون الوالدين أنفسهم راسبين في المدرسة، تفكك أسري ناتج عن طلاق أو ظروف اقتصادية رديئة جداً، اللجوء إلى العقاب الصارم والغضب الشديد بوجه رسوب الأبناء في المدرسة مما يجعل الولد يتمرد أكثر فأكثر ضد العالم الأكاديمي، وأخيراً عدم توفير الفرص التربوية الملائمة داخل المنزل (تشجيع الولد على القراءة والإبداع) من جراء الفقر والبؤس.

- العوامل المدرسية: عدم تواجد الحوافز والمثيرات الكافية داخل الصف، عدم

توجد الفرص لإقامة علاقات سليمة مع المدرسين، عدم توافق المنهج المدرسي مع احتياجات واهتمامات التلامذة، سلطة إدارية تركز على المعلم بدلاً من التلميذ، عدم تشجيع لإنجاز الطلبة، عدد هائل من التلامذة في المدرسة عموماً وداخل الصف بشكل خاص.

2 - ما هي الوسائل الوقائية التي نستطيع استخدامها للحد من الرسوب المدرسي؟

- توفير البديل المناسب لهؤلاء المراهقين وذلك من خلال ضمهم إلى برامج مدرسية خاصة تركز على تدريب مهني ذي مستوى عال. فالتربية المهنية، مع تشابهها الشديد للحياة الواقعية، تريح المراهقين الذين يعانون من مشاكل مدرسية وتبدو لهم أكثر فعالية من العمل الأكاديمي المحض. لكن من المهم أن تدمج هذه البرامج الخاصة الناحيتين الأكاديمية والمهنية بشكل يحث المراهق على إدراك الصلة الوثيقة بين ما يتعلمه في الصف وأهدافه المستقبلية.

- توفير التعليم «العلاجي» المركز لهؤلاء المراهقين ضمن مجموعات مصفرة تسمح بإقامة علاقة دافئة ومفهمة بين التلميذ والمدرس. إن هذا النوع من التعليم يعوض عن خبرات الفشل التي تعرّض لها المراهق الراسب ورواسبها السلبية على شخصيته من خلال إطار منتظم من المساندة الأكاديمية والدعم الاجتماعي والإرشاد التربوي من شأنه حث المراهق على تحقيق ذاته.

- حث المراهق الراسب مدرسياً على الانخراط في الحياة الجماعية من خلال تشجيعه على ممارسة نشاطات لامنهجية برفقة أصدقاء من المدرسة حيث يشعر أنه عنصر فعال ضمن المجموعة، وأن مساهمته في العمل الجماعي ذات أهمية بالنسبة للآخرين، مما يعطيه ثقة بالنفس ويجعله يبقى في المدرسة حتى التخرج.

### خامساً - التطور المهني

في أواخر مرحلة المراهقة، يواجه الشباب قراراً حياتياً بالغ الأهمية، وهو اختيار مهنة للمستقبل. كيف يقوم المراهق بأخذ القرارات حول مستقبله المهني، وما هي العوامل التي تؤثر على اختياره، إنها أسئلة يطرحها الأهل على أنفسهم بغية مساعدة أولادهم على العبور السلس من مرحلة الدراسة إلى عالم العمل.

إن التطور المهني يمر بثلاث مراحل مع نمو الولد من الطفولة حتى المراهقة، وهذه المراحل تتلخص كالتالي:

### 1 - فترة الخيال (الطفولة المبكرة والمتوسطة)

لقد رأينا في الفصول السابقة كيف يمضي الأطفال وقتاً كبيراً باللعب التمثيلي («أنا الطبيب، أنت السكرتيرة، هو البقال») إنما نرى أن هذا النوع من اللعب في الطفولة لا علاقة له بتاتاً بالمهن التي سوف يختارونها بالمستقبل. وبالطبع، عندما يقرر ابن السبع سنوات أن يكون رائد فضاء، يأتي اختياره هذا نتيجة تحمسه لبطل في القمص أو الروايات أو المسلسلات التلفزيونية، وليس نتيجة تقدير واقعي لإمكانياته الجسدية والفكرية ومواهبه الخاصة!

### 2 - فترة المحاولات (المراهقة الأولى والوسطى)

بين عمر الأحد عشر والسبعة عشر عاماً، يبدأ الولد بالتفكير بالمهن بطريقة أكثر تعقيداً وتطوراً، فتبرز هنا الاهتمامات الشخصية (مثلاً: بعد عمله الدؤوب على مشروع للصف حول الأهرام المصرية، يقرر الولد أن يصبح عالم آثار). وكلما كبر في العمر زاد إدراكه للكفاءات الشخصية والتربوية المطلوبة للمهن المختلفة، فيبدأ المراهق بدراسة الاحتمالات بالإضافة إلى اهتماماته الشخصية، كما يبدأ بتقييم قدراته وقيمه الشخصية بالتوافق مع المهنة التي تثير اهتمامه

### 3 - الفترة الواقعية (مرحلة المراهقة النهائية)

في نهاية فترة المراهقة، يبدأ الشاب بتقييم المعطيات الاقتصادية والعملية التي تحيط به، وهكذا تنحسر الخيارات أمامه وتتركز اهتماماته على فئة معينة من المهن. وتبدأ مرحلة الاختيارات الذاتية والاستكشاف الناشط ضمن هذه الفئة لتنتهي بالتركيز على مهنة واحدة.

### العوامل التي تؤثر على الاختيار المهني عند المراهقين

التأثير العائلي: هناك علاقة قوية بين طموحات المراهقين المهنية ومهنة الوالدين، ومن المعلوم أن المراهقين الذين ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية المتوسطة يميلون إلى اختيار الطب والحقارة والبحث العلمي والهندسة والإدارة، بينما المراهقون الذين ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية الوضيعة يميلون إلى اختيار مهن مثل السمكرة والبناء والسكريتاريا والتوظيف في خدمة المطاعم، الخ ...

لكن يجب أن نتذكر أن أفضل مؤشر للرتبة المهنية هو عدد السنوات في التحصيل المدرسي والإنجاز الأكاديمي.

إن التشابه بين مهنة الآباء والأبناء يتأثر بعوامل عديدة، أهمها نوعية المعلومات والفرص التي يؤمنها الآباء لأولادهم المتعلقة بعالم العمل، واتصالاتهم الاجتماعية

مع فعاليات ذات نفوذ قد تساعد الشاب على الحصول على مهنة راقية اجتماعياً. كذلك فإن الجو التربوي السائد في العائلة له تأثير كبير على اختيار المهنة المستقبلية: ففي الطبقات الاجتماعية المتوسطة، تتمحور القيم حول الفضولية الفكرية والإبداع والاستقلالية، بينما تركز قيم العائلة في الطبقات الاجتماعية الوضيعة على الطاعة والانسجام وتلبية أوامر الآخرين في السلطة، لذلك يميلون في المستقبل لاختيار مهنة في جو يتلاءم مع هذه القيم الموروثة.

تأثير المدرسين: إن المدرس يلعب أيضاً دوراً مهماً في قرارات المراهقين بشأن مهنتهم المستقبلية، فالعديد من المراهقين يتطلعون إلى البعض من أساتذتهم باحترام فائق، ويتأثرون جداً بشخصيتهم، حتى أن عدداً لا بأس به من المراهقين يعترفون بأن بعض أساتذتهم لهم التأثير الأكبر في اختيارهم لمهنة معينة.

لذلك فإن العلاقة الإيجابية بين المدرس والتلميذ هي أمر مهم جداً في الحياة المدرسية خلال المراهقة، وتعزيزها ضروري ضمن النظام المدرسي، لأن قدرة الأستاذ على أن يكون المثال الفعال في حياة التلميذ قد تساهم بحفز المراهقين إلى الأمام، إلى التحصيل العلمي وإلى اعتناق مهنة تمنحهم الاستقلالية وعزة النفس.

الفروقات الجنسية في التطور المهني: خلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين، أخذت ميول الإناث المهنية تتجه نحو مهن كانت في الماضي محصورة بالذكور، فالتغير بالنظرة العامة للأدوار الجنسية مع تزايد عدد الأمهات العاملات في العالم اللواتي يوفرن لبناتهن مثلاً مختلفاً لمعنى الأنوثة، كل ذلك يعتبر تفسيراً لاهتمام بناتنا اليوم بأفاق مهنية غير تقليدية.

لكن بالرغم من هذا التغير المهم في المجتمعات، لا تزال نسبة الإناث في المهن الراقية مثل الطب والهندسة والمحاماة ضئيلة بالنسبة للذكور، فالنساء لا يزلن يفضلن إجمالاً مهناً مرتبطة تقليدياً بدورهن الأنثوي، مثل الأدب والعمل الاجتماعي والتربية والتمريض. والعامل الأساسي وراء هذا التيار هو نظرة المجتمع إجمالاً، والأسرة خاصة، إلى الإنجاز الأنثوي: فالأهل لا يزالون حتى اليوم وفي معظم المجتمعات يحثون بناتهم على وضع الزواج والأمومة في المرتبة الأولى والمهنة في المرتبة الثانية.

## التطوّر العاطفي والاجتماعي



في فترة المراهقة تبدأ رحلة الولد في استكشاف ذاته الداخلية وتكوين هويته. لقد رأينا في الفصول السابقة أن الهوية تبدأ بالتطور منذ الطفولة، وفي المراهقة نشهد إعادة نظر عميقة في هذه الهوية بالتوافق مع التغيرات الهائلة الحاصلة على الصعيد البيولوجي والمظهر الخارجي.

### أولاً - نظرية «أريكسون» في المراهقة

كان «أريكسون»، عام 1950، أول من رأى أن تكوين الهوية هو أهم إنجاز خلال المراهقة وخطوة حاسمة نحو سن الرشد. إن تكوين الهوية يشمل تحديد القيم والأهداف في الحياة، ويدفع الإنسان للالتزامات جديدة في كل من المجالات الجنسية، والمهنية، والأخلاقية، والسياسية، والدينية والعقائدية.

نذكر القراء بأن «أريكسون»، في نظريته النفسية - الاجتماعية، رأى أن تطوّرنا الاجتماعي يمر بمراحل عدة تتمحور كل منها حول أزمة نفسية يتوجب إيجاد الحل المناسب لها، فإذا تم التعامل مع هذه



الأزمة بالشكل السليم استطاع الإنسان أن يبلغ المرحلة التالية بسلاسة وأمان، أما إذا لم تتوفر له العوامل الملائمة فهذا قد يؤثر سلباً في نمو شخصيته.

فالأزمة التي يواجهها المراهق هي «أزمة الهوية»، وهي مرحلة مؤقتة من الضياع واليأس يختبر فيها المراهق عدة خيارات قبل أن يلتزم بشكل جدي ونهائي ببعض القيم والأهداف؛ فالمراهق الذي يخوض عملية البحث هذه في ذاته الداخلية يستطيع الوصول إلى هوية ناضجة.

إن العديد من علماء النفس اعترضوا على اختيار «أريكسون» لكلمة «أزمة» وفضلوا استعمال كلمة «استكشاف» لوصف خبرة المراهق في البحث عن هوية، وهذا البحث يتم بشكل تدريجي، من خلال الأسئلة التي تواجهه يومياً («من أصاحب، هل أذهب إلى الجامعة أم أشتغل، أية جامعة، أي اختصاص، هل أعتنق قضية سياسية؟.....») وأجوبته عنها، علماً بأن هذه الأسئلة والأجوبة تنتظم شيئاً فشيئاً لتصبح، بالنهاية، هذا الكيان الذاتي الذي نسميه الهوية.

أما المراهق الذي لا يخوض هذه الخبرة الشاقة مع كل تردداتها ومصاعبها فيبدو سطحياً ومن دون أي هدف، وذلك لأنه ربما لم يفلح في حل الأزمات السابقة التي مرّ بها خلال طفولته، أو لأن مجتمعه يفرض عليه مجموعة محدودة من الخيارات لا تتلاءم مع قدراته أو رغباته.

فالنتيجة هي أنه يصل إلى سن الرشد غير مهياً لخوض التحديات النفسية، مثل إقامة علاقة حميمة سليمة مع شخص آخر تسمح له بالزواج، فهو يجد صعوبة في المخاطرة في عملية مشاركة الذات التي هي أساس العلاقة السليمة، إذ إنه غير متأكد من هويته الشخصية كمرجعية صلبة في حياته.

إن مثل هذا المراهق غير ملتزم بقيم أو أهداف، ولا يحاول بشكل فعال الوصول إليها، ولا يوجد توجه واضح في حياته، ولا يستكشف الخيارات التي تواجهه ولا حتى يحاول. باختصار فهو شاب لا مبال، وغير ناضج، ومستسلم للمجهول (الحظ؟ المصير؟)، ويميل إلى الانجراف في المجموعة، وإلى تبني قيمها من دون أي تساؤلات، ولسوء الحظ ينحرف نحو سلوكيات معظمها مهمشة.

### ثانياً - مفهوم الذات والتقدير الذاتي

في أواخر عامه العاشر، يستطيع الطفل أن يصف نفسه مستخدماً تعابير مثل «أنا ذكي»، «أنا خجول»، أو «أنا كريم». عند المراهقة، يدرك الولد أن هذه الخصائص في



شخصيته قد تتغير من ظرف إلى آخر، ويبدأ بفهم المتناقضات داخل شخصيته (مثلاً: «عندما أكون مع أصدقائي الذين يقدرّون كلامي ويعتقدون أن ما أقوله مهمّ، أكون ثرثاراً، ولكن عندما أجلس مع عائلتي، أكون صامتاً معظم الوقت لأن أهلي غير مهتمين بالاستماع إليّ»).

مقارنة بالسنوات السابقة، يعبر المراهق أهمية كبرى للفضائل الاجتماعية (أن يصادق الجميع، أن يكون متفهماً، لطيفاً وميلاً للمشاركة) وهذا يعود إلى الاهتمام الشديد عند المراهق بأن يكون محبوباً من الآخرين ومقدراً بشكل إيجابي من قبلهم. هذا وتبرز أيضاً في هذا العمر

القيم الشخصية والأخلاقية كعناوين أساسية في تطوّر مفهوم الذات عنده.

أما التقدير الذاتي، وهو الشق التقييمي لمفهوم الذات، فهو أيضاً يخضع لتغيرات مهمة خلال المراهقة، فالمعاني الأساسية التي كان ابن التسع سنوات يستخدمها لتقييم ذاته (المهارة الفكرية، والقدرة الجسدية والمكانة الاجتماعية) تتزايد في مرحلة المراهقة لتشمل أبعاداً جديدة مثل أهمية الصداقة، والجاذبية الرومنسية، والمهارة المهنية.

كما أن درجة تقدير الذات تتغير، إذ نلاحظ إجمالاً أنها في فترة المراهقة تشهد ارتفاعاً، باستثناء الانخفاض الناتج عن الانتقال من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة التكميلية. وهذا الارتفاع في درجة التقدير الذاتي عند المراهقين يناقض النظرة الشائعة بأن المراهقة فترة اضطراب عاطفي. فالعديد من الدراسات في كل أنحاء العالم تشير إلى أن معظم المراهقين يتحلون بنظرة متفائلة حيال الحياة، ويتخذون موقفاً إيجابياً من المدرسة والعمل، ويؤمنون بأن لديهم القدرة على تخطي الصعوبات، إنما الدراسات نفسها تشير أيضاً إلى أن مراهقي الطبقة

الاجتماعية المتوسطة ينظرون إلى أنفسهم بطريقة إيجابية أكثر من مراهقي الطبقات الاجتماعية ذات الدخل المحدود والفقيرة.

### ثالثاً - العوامل التي تساعد على تطوير الهوية

كما أن الطفل الصغير يحتاج إلى الدعم العاطفي والحرية للاستكشاف، كذلك المراهق يحتاج إلى قاعدة عائلية آمنة يستخدمها كمرجعية أساسية ينطلق منها إلى العالم، وعندما توفر العائلة هذه المرجعية والثقة له، تتطور هويته بشكل سليم؛ فالمراهق الذي يشعر بالتعلق بأهله ولكن بنفس الوقت يشعر بالحرية في إبداء آرائه يستطيع أن يكون هوية مستقلة مبنية على قيم وأهداف من اختياره واقتناعه، ويشعر بالاستقرار، وأنه يعرف إلى أين هو ذاهب .....

بالإضافة إلى تأثير العائلة، فإن المدرسة أيضاً تلعب دوراً مهماً في توفير الفرص الغنية والمتنوعة لاستكشاف الحياة. يجب على المدرسة أن تساهم بشكل فعال في تنمية التفكير الراجي عند المراهق بتقديم برامج منهجية ولا منهجية تغذي الإبداع وحب الإطلاع وتدرّب على مواجهة التحديات وتحمل المسؤوليات.

### رابعاً - التطور الأخلاقي في المراهقة

لكي نفهم التطور الأخلاقي خلال فترة المراهقة، لا بد من أن نتوقف عند نظرية «لورنس كوهلبيرغ» الذي رأى أن تطوير الهوية و تفهم الأمور الأخلاقية يشكّلان عملية واحدة، وأن تفكير المراهق بين عمري الأحد عشر والثلاثة عشر عاماً يختلف عن تفكير ابن التسع سنوات (الذي يتميز بالخوف من السلطة وتجنب العقاب)، ويتصرف المراهق وكأنه لا يبالي بالعقاب، لكنه يميل إلى إطاعة الأوامر فقط بهدف المحافظة على العلاقات الجيدة مع محيطه وعلى عاطفة واستحسان الآخرين حياله (الأصدقاء والأقارب). أما ابتداءً من العام الرابع عشر وحتى أوائل سن الرشد، فيتحوّل تفكيره من نطاق العلاقات الحميمة مع الغير ليصبح موجهاً نحو آفاق أوسع، آفاق اجتماعية حيث يؤمن الإنسان بالقوانين كوسيلة حيوية للمحافظة على الأمان والنظام الاجتماعي.

من الطبيعي أن تؤثر الظروف المحيطة على أي قرار أخلاقي يتخذه الإنسان، لكن مع العمر تنقلص الخيارات الأخلاقية، وتدرجياً يتميز تفكير الإنسان بالقرار الأخلاقي الناضج. هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر على نوعية التفكير الأخلاقي وأهمها البيئة التربوية المنزلية: إن تأمين جو الحنان والانتظام في البيت

ومنح الفرص لمناقشة قضايا أخلاقية يساعدان في تطوير التفهم الأخلاقي عند الأولاد بالاتجاه الصحيح. فعلى الأهل، خلال سنوات المراهقة، أن يشجعوا مثل هذه المناقشات، وأن يوفرُوا جواً داعماً لأولادهم من خلال الإصغاء اليهم، وطرح الأسئلة بوضوح، وتوفير نماذج للتفكير الناضج أمامهم مع استخدام الفكاهة من وقت إلى آخر لتوصيل بعض الرسائل ذات المضمون الحساس.

إن الأهل الذين يستخدمون المواعظ والتهديد والانتقاد اللاذع في تربية أولادهم يضعون حواجز أمام تطورهم الأخلاقي.

### خامساً - العائلة خلال المراهقة

بالرغم من إصرارنا على أن المراهق بحاجة إلى الحرية ليختبر الحياة، لا بد من أن نؤكد أن الإرشاد والحماية من الظروف الخطرة هو واجب حيوي على الأهل خلال هذه الفترة، فالتربية الفعّالة في البيت تؤمن للمراهق الانتقال السلس من الارتباط اللوطيد الآمن بالأهل إلى الانفصال عنهم، وكل الدراسات تشير إلى أن الجو الدافئ و المتقبّل داخل الأسرة مع الإرشاد الحكيم غير المتسلط يؤدّيان إلى مراهقة كفؤة ومتكيفة ومتوازنة.

إنه من الطبيعي جداً أن يمر المراهق بمرحلة يكفّ خلالها عن النظر إلى والديه وكأنهما مثاله الأعلى، بل يصبحان مجرد أناس مثل بقية الناس، وعندما يحصل ذلك نلاحظ أن الخضوع لسلطة الوالدين يخفّ بشكل ملحوظ، وهكذا تنشأ الاحتكاكات السلبية والتشنجات بين الأهل والولد، وهي ناتجة عن اختلاف جذري في وجهات النظر: فالوالدان يتطلعان إلى أمور عديدة (مثل ترتيب الغرفة أو الذهاب إلى حفلة أو تحديد ساعة العودة إلى البيت أو القيام بالفروض المنزلية) كأمر ذات أهمية مشتركة لكل الأسرة، بينما يتطلع المراهق إلى هذه الأمور كأمر شخصية بحتة ولا يحق لأحد أن يتدخل بها.

كذلك فإن الأزمة القائمة بين الجيلين تعود أيضاً إلى طبيعة التغيرات الحاصلة في كل من الجيلين: فبينما يقف المراهق أمام مستقبل من دون حدود ومتعدد الخيارات، يقف الوالدان أمام أمر يتطلب التكيف وهو أن نصف حياتهما انتهى ومستقبلهما أصبح محدوداً والخيارات تقلصت.....

وهكذا فإن الضغوطات المفروضة على كل من الجيلين تعمل في اتجاهين معاكسين: فالوالدان لا يفهمان لماذا لا يرغب ابنهما بالمشاركة في النشاطات العائلية ويفضل رفقة أصحابه، إنهما لا يفهمان أن المراهق لا يقدر أن والديه



يشكل التعلق بين الإخوة خلال فترة المراهقة دعماً عاطفياً مهماً.

يرغبان بالمحافظة على الروابط العائلية القوية لأن وقت الأبوة أو الأمومة سوف ينتهي قريباً بالنسبة إليهما! من المهم أن نتذكر أن عبور الولد فترة المراهقة واقترابه من سن الرشد ليس مجرد عملية انفصال عن الأهل، بل هي عملية تمزج بين المشاركة والاستقلالية، وتتميز بتدن تدريجي لسلطة الوالدين من دون أن تنقطع الروابط بين الأهل والأولاد.

والآن، ماذا عن العلاقات بين الإخوة داخل الأسرة، خلال فترة المراهقة؟ تماماً كما العلاقة بين الأهل والأولاد، كذلك العلاقات بين الإخوة تتعدل مع التغيرات الحاصلة: فالإخوة المراهقون يتعاملون مع بعضهم بعضاً بمساواة أكبر من ذي قبل، وهذا أمر طبيعي إذ إن الفروقات في الكفاءة والجدارة تنقلص مع العمر، ومع نضوج الأخ الأصغر واكتسابه المزيد من الاستقلالية والاكتفاء الذاتي، يصعب على الأخ الأكبر إعطاء الأوامر وفرض ديكتاتوريته على إخوته! نلاحظ أنه كلما أصبح الإخوة متساوين بالقوة والقدرة، قلت النزاعات بينهم، وخفت حدتها. نفهم ذلك بسهولة إذ إن المراهق أصبح الآن يستثمر وقته في علاقات صداقة عادية أو عاطفية بدلاً من إمضاء الوقت مع إخوته، كما أنه لا يرغب كثيراً بذلك، فالإخوة هم جزء من العائلة التي يحاول الانفصال عنها لتحقيق استقلاليتها.

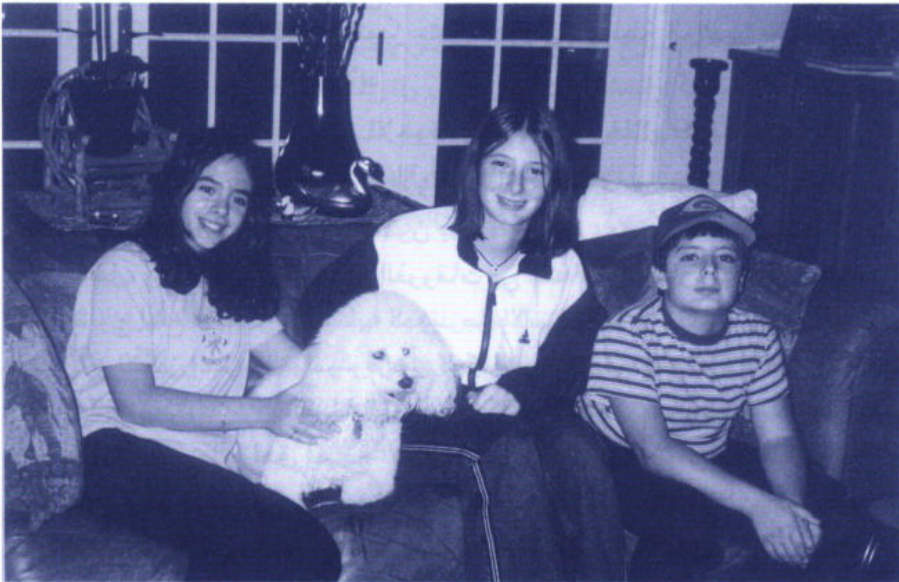
ولكن بالرغم من هذا التقلص في العلاقات الأخوية، يبقى التعلق بين الإخوة،

كما التعلق بالوالدين، قوياً عند معظم المراهقين، وإحدى الدراسات في هذا المجال أشارت إلى أن 77% من المراهقين يرون أن لإخوتهم تأثيراً كبيراً في حياتهم. وأخيراً نذكر بأن الجو التربوي الدافئ والداعم يؤدي إلى علاقات إيجابية بين الإخوة، وعندما يلاقي المراهق صعوبة في إقامة صداقات خارج البيت، يبقى الإخوة مصدر دعم قوي وتعويض عاطفي مهم في حياته.

### سادساً - الأصدقاء خلال المراهقة

بما أن المراهقين يمضون وقتاً أقل مع أعضاء أسرهم يكتسب الأصدقاء أهمية كبيرة في حياتهم، وهذه العلاقات خارج نطاق العائلة قد تكون إيجابية أو سلبية. في أفضل الحالات تساهم علاقات الصداقة في التطور النفسي وتطوير المهارات الاجتماعية، وتقدم دعماً عاطفياً لعملية النضوج. إن المراهق يبحث في صداقاته عن الثقة والتفهم المتبادل والوفاء، كذلك فإن روح المشاركة تغطي على العلاقة بدلاً من روح المنافسة التي كانت تميز سنوات الطفولة، وهذا التحول يعني أن هناك مجهوداً فعالاً من قبل المراهق للمحافظة على العلاقة مع تحسُّس متزايد لمشاعر الصديق واحتياجاته ورغباته.

يميل المراهق إجمالاً إلى اختيار أصدقائه من بيئة مشابهة لبيئته بالقيم



صداقات المراهقة تساعد في التفاعل مع ضغوطات المرحلة.

العائلية، والطموحات التربوية، والاعتقادات السياسية، الخ. إن منافع الصداقة خلال فترة المراهقة عديدة، وأهمها أنها تساعد على التفاعل مع ضغوطات المرحلة، وبالتالي تساهم في تخفيف القلق والشعور بالوحدة. هذا وإن الاتصال الصريح والصادق مع الآخر يساعد على تطوير الهوية وتقدير الذات. وأخيراً، تشير الدراسات إلى أن المراهقين الذين يتحلون بصداقات حميمة ومُرضية يتميزون بإنجاز مدرسي جيد، إذ يبدو أن شعور المراهق بالسعادة والارتياح مع أصدقائه في المدرسة يؤثر إيجابياً على كل نواحي الحياة المدرسية، بما فيها التحصيل المدرسي.

يتجمع أحياناً الأصدقاء ضمن مجموعة صغيرة أو «شلة» تتضمن خمسة إلى سبعة أعضاء، يتجمعون مع تحت اهتمامات واحدة، فيتبنون أسلوباً واحداً في مظهرهم الخارجي، في حديثهم وفي سلوكهم.

إن «الشلة» تلعب دوراً أساسياً في حياة المراهق الاجتماعية، وشعور الانتماء يدعم تطوير الهوية بعيداً عن تأثير العائلة، وتوفّر «الشلة» المحيط الملائم للمراهقين ليكتسبوا قيماً وسلوكيات مستقلة في غياب إشراف الراشدين، فعندما يكون المراهق مع رفاقه يضطر لأخذ القرارات معتمداً على مبادئه الخاصة. لكن «الشلة» سرعان ما تنحل عندما يشعر المراهق بالحاجة إلى الانسجام في علاقة حميمة مع الجنس الآخر، وهكذا تفقد «الشلة» ضرورتها في حياة المراهق وتختفي مع الوقت.

## سابعاً - مشاكل المراهقة

مع أن معظم الشباب يجتازون مرحلة المراهقة بسلامة بالرغم من الصعوبات التي تواجههم، فإن البعض منهم ينحرف في تيارات سلبية تجعل الرسوب المدرسي حتمياً، وتؤدي بهم إلى الانجرار في سلوكيات قد تشكل خطراً كبيراً عليهم وعلى من حولهم. في هذا الجزء الأخير من معالجتنا لموضوع المراهقة، سنتناول مشكلتين أساسيتين تتسللان، لسوء الحظ، في كل مجتمعات العالم، هما: الاكتئاب، والانتحار.

### 1 - الاكتئاب

أي الشعور بالحزن والإحباط واليأس، وهو أكثر المشاكل شيوعاً خلال سنوات المراهقة.

تشير الإحصاءات إلى أن 30% من المراهقين يشعرون بالاكتئاب الخفيف،

و15% بالاكتئاب المعتدل، و5% بالاكتئاب الشديد المتميز بالمزاج التشاؤمي وانتقاد الذات والابتعاد عن النشاطات الترفيهية مع فقدان الحيوية، وتغير في القابلية ونوم مضطرب.

إن معالجة الاكتئاب خلال فترة المراهقة أمر ضروري، لأن عدم معالجته في حينه قد يؤدي إلى تفاقم المشكلة في سن الرشد. ولسوء الحظ، فإن الأهل كما المعلمين يميلون إلى تجاهل عوارض الاكتئاب عنده، والعديد من الناس يتطلعون إلى اكتئاب المراهق كمرحلة عابرة وطبيعية. علماً بأنه يصعب على المرء إجمالاً أن يكتشف الاكتئاب عند المراهق وذلك ناتج عن تعدد الطرق التي يلجأ إليها لإظهار اكتئابه (نظرة تشاؤمية للحياة، وسواس مبالغ تجاه الأمور الصحية، صعوبات في التركيز، سلوك مستاء وغير موجّه، تمرد على القيم الراهنة، الخ...)

أما بالنسبة لأسباب الاكتئاب، فهناك شق بيولوجي، وشق متعلق بالمحيط الذي ينشأ فيه الولد. تشير الدراسات في مجال العلاقات العائلية أن الوراثة تلعب دوراً مهماً جداً، إذ إن الجينات تساهم في تطوير الاكتئاب من خلال تأثيرها على توازن المواد الكيميائية في الدماغ، إلا أن المحيط أيضاً له دور في تفعيل الاكتئاب: يأتي أحياناً الاكتئاب نتيجة خبرة عاطفية حادة، مثل طلاق الوالدين أو انتهاء علاقة صداقة حميمة، أو علاقة حب عميقة. أحياناً أخرى، يؤدي الفشل في مهمة أو



الشعور بالحزن والإحباط أكثر المشاكل شيوعاً خلال سنوات المراهقة.



مشروع رئيسي في الحياة إلى الاكتئاب، وأخيراً قد يكون الاكتئاب متعلقاً بتراكم لضغوطات نفسية عديدة على المدى الطويل. نذكر أيضاً أن الفقر والوضع الاجتماعي المتدني يعرضان المراهق لخطر الاكتئاب.

كذلك فإن هناك عاملاً جنسياً يلعب دوراً مهماً في هذا الإطار، إذ إن نسبة الاكتئاب أعلى عند الإناث منها عند الذكور: قد تكون الفروقات الجنسية في هرمونات النمو خلال المراهقة هي المسؤولة عن ذلك، فالارتفاع في مستوى الإفرازات الهرمونية يؤدي إلى الغضب وحدة الطبع عند الذكور، والغضب والاكتئاب عند الإناث. إلا أن البيئة التي يترعرع فيها المرء لها تأثير كبير على سلوكياته، فنحن إجمالاً نتصرف مع أولادنا على أساس التمييز الجنسي من دون أن ندرك ذلك، فمثلاً نشجع بناتنا على الاتكال على الغير بدلاً من إثبات وجودهن، ونحثهن على الرضوخ للتقاليد والقيم الاجتماعية، ونقمع تسجيل المواقف المناقضة أو إبداء الآراء المتمردة بهدف المحافظة على الأخلاق وخوف من أن ينجرفن بتيارات منحرفة تشوه سمعتهن وتعيق مستقبلهن.

إن مثل هذه الممارسات من قبلنا تؤدي، عند المراهق، إلى الشعور بالقلق والضعف أمام ضغوطات وتحديات الحياة من خلال تكوين صورة ذاتية سلبية ومحبطة. نشير في هذا الإطار إلى أن البنات اللواتي يتميزن بشخصية «ذكورية» هن أقل عرضة للاكتئاب من غيرهن.

## 2 - الانتحار

في الولايات المتحدة الأميركية يشكل الموت بالانتحار أهم ثالث سبب لوفيات الشباب بعد حوادث السير والجرائم، وخلال الثلاثين سنة الأخيرة زادت نسبة الانتحار ثلاثة أضعاف، ويرجع الباحثون أن تكون الأسباب لهذا التزايد كثرة الضغوطات في حياة المراهقين وقلة الخدمات الداعمة. هذا وإن نسبة الذكور في حالات الانتحار أعلى من نسبة الإناث (خمسة ذكور مقابل أنثى واحدة)، وقد يبدو ذلك متناقضاً مع ما قلناه سابقاً، والسبب هو أن الإناث إجمالاً يقمن بمحاولات فاشلة للانتحار من خلال اللجوء إلى وسائل انتحارية تؤمن النجاة في اللحظة الأخيرة (تناول كمية كبيرة من المسكنات مثلاً)، بينما يلجأ الذكور إلى وسائل تؤدي إلى الوفاة الحتمية (مثل استعمال الأسلحة أو الشنق).

يلاحظ الخبراء أن هناك نوعين من الأشخاص المقبلين على الانتحار: النوع الأول يضم أشخاصاً يتميزون بدرجة ذكاء عالية لكنهم منعزلون، وغير قادرين على التوافق مع طموحاتهم الشخصية أو التجانس مع توقعات الناس المهمين في

حياتهم. أما النوع الثاني، فيشمل الأشخاص ذوي الميول السلوكية المضادة للمجتمع، وهم يعبرون عن اكتئابهم من خلال المشاجرات مع الآخرين، والسرقة وتعاطي المخدرات، ويخاطرون في سلوكيات تشكل خطراً كبيراً على حياتهم.

لكن في كلا النوعين، هناك عوامل مشتركة في المحيط: مشاكل عائلية، اضطرابات عاطفية ونفسية عند الأهل، طلاق، إلخ... مما يؤدي بالمرهقين إلى الابتعاد عن الأهل والأتراب. ويضعف تقدير الذات عندهم وينحل كلياً بوجه الخبرات الحياتية الضاغطة، ويبدو أن هناك دائماً حدثاً معيناً قبل عملية الانتحار (إنهاء علاقة صداقة أو علاقة حب مهمة، أو شعور عميق بالذلل نتيجة افتضاحه في نشاط منحرف).

إن تزايد الانتحار خلال المراهقة مقارنة بشبه غيابه خلال الطفولة، يعود إلى قدرة المراهق على تصميم عملية انتحاره: فالقليل جداً من العمليات الانتحارية الناجحة تكون عفوية وتلقائية، بل العكس صحيح؛ فإن المراهق يتخذ إجمالاً خطوات مدروسة للقيام بهذه العملية، وهناك العديد من الإشارات التي قد يرسلها لنا كنداء للمساعدة يجب علينا أن نأخذها بكل جدية، وأهمها:

- شعور بالحزن والاكتئاب واللامبالاة.
- إرهاق، وملل ونقص في الحيوية.
- عدم الرغبة في إقامة علاقات اجتماعية مع انزواء شديد.
- سرعة الانفعال عند القهر أو الإحباط.
- انفجارات عاطفية (نوبات بكاء أو ضحك).
- عدم القدرة على التركيز، وسرعة الالتهاة.
- تدهور في التحصيل المدرسي، وتغيّب عن المدرسة، ومشاكل سلوكية.
- إهمال للمظهر الخارجي.
- تغيّر في نمط النوم (أرق أو نوم مفرط).
- تغير في القابلية (انعدام القابلية أو الشهية بشكل مفرط).
- شكاوى جسدية (آلام في المعدة، أو في الظهر، أو في الرأس).
- مجهود لترتيب الحاجات الشخصية (مصالحة لعلاقات متدهورة، أو إهداء بعض الممتلكات ذات القيمة الشخصية المهمة للآخرين)
- إرسال بعض الإشارات الكلامية (توديع الأقارب والأصدقاء، والتحدث بشكل

مباشر أو غير مباشر عن الانتحار: «أتمنى لو كنت ميتاً»، أو «لن أزعجكم بعد اليوم»، أو «لن أفكر بهذه الأمور بعد اليوم»، الخ.

على الأهل كما على المدرسين أن يتدربوا على قراءة مثل هذه الإشارات، فباستطاعة المدرسة أن تساعد بتوفير الإرشاد المتعاطف وتأمين مجموعة دعم من الرفاق، والمهم ذكره هنا هو أنه فور ملاحظة هذه الإشارات عند المراهق، لا يجب تركه بمفرده بل مسانده وتقديم العطف والإصغاء له حتى تأمين المساعدة على يد الاختصاصيين.

إن التدخل ضروري قبل فوات الأوان، وأنواعه كثيرة، وتشمل المعالجة بالأدوية المضادة للاكتئاب، إضافة إلى العلاج الشخصي والعائلي. يتطلب العلاج أحياناً الإدخال إلى المستشفى للتأكد من سلامة المراهق والمباشرة في العلاج في أقرب وقت ممكن. أمّا في البيت، فمن المفضل أن يخفي الأهل كل الأدوات التي قد تساعد المراهق على الانتحار، من أسلحة، وسكاكين، وشفرات، ومقصات وأدوية.

القسم

6

# نصائح

## للأهل

- 244 الفصل 1: أسألي نفسك
- 250 الفصل 2: أسرار العائلة السعيدة
- 260 الفصل 3: إرشادات عملية في مراحل النمو

## اسألني نفسك



**السؤال الأول:** هل سلوك طفلك متلائم مع عمره؟ الإجابة عن هذا السؤال تكمن في مدى اطلاع الأهل على مبادئ التطور عند الأطفال، ومعرفتهم للخصائص التي تميز كل مرحلة تطورية عن الأخرى، فهذه المعرفة تساعد على تفهم أولادهم وسلوكياتهم بطريقة أفضل، مثلاً:

عندما يقول لك ابنك البالغ من العمر ثلاث سنوات أنه لم يأكل الكعكة وأنت تعرفين أنه أكلها، لا يجوز نعتة بالكاذب، لأن الطفل في هذا العمر لا يزال غير قادر على التمييز بين الحقيقة والخيال، وبالتالي لا يعرف معنى الكذب.

عندما يرفض ابن السنتين

أن يشرك ولداً آخر في ألعابه، لا يقال عنه أنه بخيل وأناني، لأن الطفل في هذا العمر يتميز بأسلوب لعب منفرد ولا يدري معنى المشاركة. عندما يسأل ابن الرابعة أمه أسئلة حول الموت، لا يجب أن تقلق والدته معتقدة أن ابنها يمر بأزمة نفسية عميقة، لأن هذا النوع من الأسئلة شائع جداً في هذا العمر عند الأولاد.

عندما تلاحظ الأم أن ابنتها في السادسة من عمرها غير مرتبة ودائماً تنسى أشياء في المدرسة أو في البيت، لا يجب أن تستنتج أن الطفلة تعاني من مشكلة في الذاكرة، لأن هذا السلوك طبيعي جداً في

هذا العمر نتيجة تعرّض الأولاد لمجموعات هائلة من المثيرات يومياً تتطلب منهم التركيز والاستيعاب الفوري، مما يؤدي إلى ازدياد النسيان عندهم لأمور تبدو تافهة بالنسبة لهم مقارنة بأمور أخرى تحتل الأولوية في سلّم اهتماماتهم الخاصة.

### السؤال الثاني: هل تلومين نفسك للصعوبات السلوكية التي تظهر عند ولدك؟

هناك ميل عند معظم الأمهات لمقارنة ولدهم بالأولاد الآخرين، خاصة عندما يعاني الولد من مشكلة معينة، فتشعر بالذنب وتعتقد أنها هي المسؤولة عن هذه المشكلة. مثلاً: «كل الأولاد في أعياد الميلاد يفرحون ويرقصون ويشاركون في الألعاب ما عدا ابني، فإنه يجلس في زاوية ويراقب الآخرين ولا يشارك بأي نشاط». ما يجب أن تدركه كل أم هو أن لكل إنسان طبعاً محدداً، وأن هذا الطبع يميّز كل ولد عن الآخر، حتى الإخوة في نفس العائلة.

يجب إذن أن نفهم أننا لا نستطيع أن نتعامل مع كل أولادنا بنفس الطريقة، فكل ولد يختلف عن الآخر باحتياجاته وقدراته، كما أنه يجب علينا أيضاً أن نتذكر أن بعض الأولاد تصعب تربيتهم أكثر من غيرهم، لذلك لا يجوز مقارنة الأولاد فيما بينهم، بل التركيز على ما هو مميّز في كل ولد، ونتعلم أن نقدر ما هو مختلف في كل ولد من أولادنا.

### السؤال الثالث: هل توقعاتك متلائمة مع طبع ولدك وقدراته؟

عندما تشعرين أن ابنك يزعجك بسبب تصرفاته، تمهلي قليلاً قبل تأنيبه أو معاقبته، واسألي نفسك إذا كان ما تتوقعين منه متلائم مع شخصيته وقدراته، ففي الكثير من الأحيان، ما نسميه «مشكلة سلوكية» هو بالفعل عدم تنسيق بين الأهل والولد، بين توقعات الأهل من ولدهم، أي «الولد - الحلم» و «الولد - الواقع»، ولسوء الحظ، في معظم الأحيان، تبدأ هذه التوقعات أو الأحلام حتى قبل ولادة الولد (مثل الأم الحامل التي تعتقد أن ابنها سوف يصبح رياضياً محترفاً لأنه يتحرك كثيراً في داخلها، أو أنه سوف يصبح طبيباً مثل والده).

ماذا لو لم يصبح الولد رياضياً محترفاً أو طبيباً لامعاً؟

إن مثل هذه التوقعات تولّد مشاكل عديدة في نوعية التواصل بين الأهل

والأولاد، إذ تكثر الانتقادات تجاه كل ما يقوم به الولد، خاصة التصرفات التي تؤكد للأهل أن توقعاتهم هذه لن تتحقق، ويأتي حكمهم على الولد قاسياً، والأخطر من ذلك هو أن الولد نفسه يشعر بأنه خيب أمل أهله، أو أنه يخيبه باستمرار، فيصنف نفسه بأنه إنسان فاشل غير قادر على إرضاء أهله، مما يؤثر بشكل فادح على ثقته بنفسه وصورته الذاتية.

**السؤال الرابع:** عند ظهور سلوك سييء عند ولدك، هل يكون جزءاً من نمط تصرفاته الاعتيادي، أم ردة فعل لتغيرات مهمة حصلت في حياته؟

مثلاً: عندما يتصرف طفلك بعدوانية، هل هذه العدوانية من خصائصه السلوكية، أم هل هناك تغيرات مفاجئة أو تدريجية حصلت في محيطه قد تكون هي المسؤولة عن هذا التصرف (وفاة أحد الأقارب الذين اعتاد الطفل عليهم، طلاق حاصل في العائلة، بدء المدرسة، تغيير البيت، خادمة جديدة، ولادة أخ جديد...).

**السؤال الخامس:** هل تشجعين السلوك السييء عند طفلك دون أن تلاحظي؟

إن هذا التشجيع غير المقصود يأتي على أشكال متنوعة:

التقليد: الوالدان اللذان يلجآن إلى العنف الكلامي والجسدي (الصراخ والضرب)



هل توقعاتك متلائمة مع قدرات ولدك؟



في تعاملهما معاً ومع أولادهما يشجعان الولد على اعتماد نفس الأسلوب.  
 الاستفزاز: يعرف الطفل إجمالاً كيف يحصل على ما يريده، وغالباً ما يرضخ  
 الأهل أمام صراخه ودلعه وبكائه، وهذا ما أسميه «باللجوء للمسكنات»، أي عندما  
 يشتري الوالد الشيء المرغوب للطفل فقط لإسكاته وإنهاء حالة الصراخ والبكاء.  
 التجاهل: عندما يقوم ابنك بعض وضرب الأولاد الآخرين كلما فشل في لعبة ما،  
 من الخطأ أن تقولي: «إنه مثل أبيه، يغضب بسرعة وسوف يتحسن». إن مثل هذا  
 التجاهل خاطيء جداً، بل يجب التدخل وتدريب الولد على التواصل السليم مع  
 الآخرين.

### السؤال السادس: هل تلاحظين سلوكيات ماثلة فيك أو في طفولتك؟

عندما يكبر الأولاد، نصبح غير متسامحين تجاه بعض السلوكيات التي تذكرنا  
 بأنفسنا:

الأب الذي كان فاشلاً في المدرسة يصبح ناقداً لاذعاً لابنه الذي لا يدرس جيداً.  
 الأم التي كانت خجولة جداً في طفولتها تصبح قلقة وغير متسامحة مع ابنها  
 إذا ظهر عنده نفس السلوك.

غالباً ما يشعر الأهل بالغضب والقلق والقهر حيال هذه الأمور، ويحذّر علماء  
 النفس من ذلك لأن خطتك قد تفسد وتنعكس سلبياً على الولد: فالأم الخجولة قد  
 تفرض على ابنتها الانخراط في نشاطات عديدة وتجبرها على ارتياد أندية مختلفة،  
 مما قد يجعل الابنة أكثر خجلاً من أمها!

إن مثل هذه الأم تريد أن تعوض عن نقص فيها على حساب ابنتها، ومن خلال  
 ذلك، قد يتضاعف خوف الولد من الفشل في تحقيق رغبات الأم وتتندى ثقته بنفسه  
 إلى أدنى الدرجات.

### السؤال السابع: ما هو مدى ارتياحك للقواعد والحدود التي وضعتها في بيتك؟

كل خبراء التربية يركزون على أهمية وضع قوانين وحدود لضبط سلوك الأطفال  
 وإرشادهم على ما هو صحيح، مثلاً: وقت النوم، اللعب بعد الدرس، إنهاء وجبة  
 الطعام قبل تناول الحلوى، إلخ...



المهم هو إعطاء الوقت المميّز للولد.

إن قدرة الوالدين على وضع هذه القوانين والحدود في البيت تؤثر كثيراً على سلوك الأولاد، وفي هذا الإطار، يرى الخبراء أن أفضل أسلوب تربوي هو الأسلوب الذي يمزج بين السلطة والتسامح، أي إن القوانين موجودة بوضوح كمرجعية ثابتة في حياة الأولاد، لكنها قوانين مرنة قد تخضع للتعديل من وقت إلى آخر حسب الظروف واحتياجات الطفل.

المطلوب هو أم دافئة، حنونة، مستمعة، وينفس الوقت أم محاوررة ومنطقية، تعترف باهتمامات أولادها واحتياجاتهم وتدرك حقوقهم، ولكن بالوقت نفسه ترسم إطاراً محدداً لتصرفاتهم يوضح لهم الخطوط الحمراء التي لا يحق لهم تجاوزها.

### السؤال الثامن: هل ردة فعلك محصورة لسلوك معين، أم إنها تشمل كل سلوك الطفل إجمالاً؟

في الكثير من الأحيان، يميل الأهل إلى تعميم انتقاداتهم للولد على كل ما يقوم به، خاصة عندما يكون الولد صاحب مشكلة معينة، والنتيجة، للأسف، هي أن الأهل يتجاهلون النواحي الإيجابية الموجودة عند الطفل.

لذلك، يجب تحديد السلوك المزعج أو المشكلة عند الولد والسعي إلى الالتفات أكثر فأكثر إلى الجوانب الإيجابية في شخصيته

## السؤال التاسع (موجّه للأم العاملة): هل تشعرين بالذنب بالنسبة للوقت الذي تمضيته مع أولادك والعائلة؟

لا يوجد أي كتاب أو أي خبير يستطيع أن يؤكد لك أنك تمضين الوقت الكافي مع أولادك. المهم هو نظرتك أنت لنفسك كأم عاملة: فإذا كنتَ تنظرين لهذا الأمر بذنب، هذا الشعور بالذنب قد يؤثر سلبياً على حياتك العائلية. الأم التي تشعر بالذنب حيال عملها خارج المنزل تجد صعوبة في أن تقول «لا» لأولادها، وتصبح متسامحة أكثر من اللزوم معهم، وهكذا تبدأ المشاكل السلوكية عند الأولاد وتتفاقم حتى تصبح خارج سيطرتها. كذلك، فإن الأم العاملة غالباً ما تلوم نفسها للسلوك السيء الحاصل عند ابنها («لأنني غير موجودة في البيت»، «لأنني لا أبقى وقتاً كافياً معه»).

من ناحية أخرى، هناك أمهات غير عاملات يمضين 24 ساعة في البيت مع أولادهن لكنهن غير سعيدات ويفقدن صبرهن بسهولة تجاه كل ما يقوم به الأولاد، ويمضين النهار بالمعاقبة والتأنيب والصراخ، ويبدون مرهقات من جراء الأعمال المنزلية التي لا تنتهي، وبالتالي لا وقت لديهن للجلوس بهدوء إلى جانب الولد واللعب معه أو قراءة القصص له...

إن الأم التي تعمل خارج البيت وهي راضية عن نفسها وتشعر بكل سعادة أن عملها هذا يساعدها على تحقيق ذاتها، تستطيع أن تعطي لأولادها الوقت المميز الذي هو مطلوب، وقت يستمتع فيه كلا الفريقين ببعضهما البعض، حيث يشعر الولد أن أمه موجودة له، للاستماع إليه، وإلى رغباته وأحلامه واحتياجاته ومشاكله، موجودة معه للحوار واللعب والقيام بنشاطات يرغبها...

في هذه الأحوال، لا يهّمه كثيراً إذا كانت الأم موجودة طوال النهار في المنزل فيكفيه أن يراها لساعتين يومياً أو لبضع ساعات في أوقات معينة، مما يجعله يشعر بالأمان والطمأنينة ضمن علاقة متجانسة وأمنة.

## أسرار العائلة السعيدة



### أولاً - المشاركة بين الوالدين

تبين كل الدراسات أن اشتراك الوالدين في العناية بالأولاد له تأثير عميق جداً على الجو المنزلي، نعني بذلك العناية خلال اللحظات الحميمة في حياة الطفل، مثل فترة ما قبل النوم، أو عندما يكون الولد مريضاً...، لأنه، في مثل هذه اللحظات، ينمو التعلق بالأهل بشكل قوي جداً.

من الصحيح أن مشاركة الأب، في أيامنا هذه، قد ازدادت عما كانت عليه منذ عشرين سنة، ولكن لا تزال الأم هي التي تقوم بهذه العناية بشكل رئيسي: هي التي تضع الطفل في السرير، وهي التي تقرأ القصص له قبل النوم، وهي التي تنظف الجرح عندما يقع الطفل وتضمده بركة، وهي التي تسرع إلى سريريه في منتصف الليل عندما يستيقظ باكياً صارخاً من جراء كابوس مريع.

ويصبح الأب، نتيجة هذا الخلل في التوازن، أكثر فأكثر عاجزاً عن العناية بالأولاد، ويزداد الاتكال على الأم بشكل مبالغ مما يجعلها هي محور احتياجات الولد ومحور غضبه كما محور سعادته، وكل

ذلك من شأنه خلق مسافة كبيرة بين الزوجين، ونلمس هذه المسافة أو هذا البعد في مشاهد عديدة من الحياة اليومية، مثلاً عندما يرفض الطفل أن يأخذه والده إلى السرير، أو عندما يصرّ أن تقرأ له أمه القصة قبل النوم وليس أبوه... فما العمل؟

نصح بأن يقوم الأب بهذه الوظائف مرتين في الأسبوع بالرغم من ردة فعل الطفل، فعندما يرى الطفل أن أباه بالفعل يصرّ على التواجد معه في مثل هذه اللحظات، ينمو تعلقه به حتى أنه سوف يفاجئك عندما ترين أنه، في إحدى الليالي، سوف يأتي إلى أبيه لأن بطنه يؤلمه! لكن، في هذا الإطار يجب أن ندرك أن الأم هي التي، في كثير من الأحيان، ترفض أن تعطي الأب مسؤوليات من هذا النوع، فهي إجمالاً تصرّ أن تأخذ الولد بنفسها إلى الطبيب للمعاينات الدورية (لأنه، باعتقادها «لن يسأل الطبيب الأسئلة التي أنا أسألها»)، أو إلى الحلاق لقص شعره (لأنه قد يفقد صبره على الولد إذا بكى وصرخ خوفاً من مقص الحلاق!...)...

لذلك فإننا نعتقد أن الأم تلعب دوراً رئيساً في جعل الأب يشعر أكثر بالمسؤولية تجاه هذه الأمور، وبالتالي في خلق هذا التوازن في الرعاية والعناية من خلال إعادة تقييمها لأدوار الأمومة والأبوة ضمن الأسرة، وتوزيع المهام بشكل متجانس بهدف خلق تناسق بين الطفل وكلا والديه.

### ثانياً: التواصل القوي

من أهم العوامل التي يرتكز عليها نمو الطفل السليم هو التواصل القوي مع الوالدين، إذ إن هذا التواصل يشكل وقاية ضد العديد من السلوكيات السلبية.

يتكوّن هذا التواصل من العناصر التالية:

– إعطاء الانتباه للولد وجعله يشعر بأننا مستعدون للاستماع إليه ولتفهم مشاعره. على الأهل، والأم بشكل خاص، أن يعيروا الاهتمام الكافي لاحتياجات الطفل، خاصة في المراحل المبكرة من نموه، كما الإصغاء إلى رغباته

وأحلامه ومشاعره. فالممارسة العيادية ترينا أن تجاهل مشاعر الطفل تؤدي إلى العنف عنده (أي التعبير الجسدي بدلاً من التعبير الكلامي).

- توفير الدعم العاطفي للولد. بمعنى أنه يجب التأكيد له، بأسلوب أو بآخر، أننا نتفهم حالته (غضبه، حزنه، شعوره بالإحباط...) ونحبه ونتقبله مهما فعل، فلا يجوز أبداً أن نقول للطفل: «أنا لا أحبك»، بل يستحسن القول: «إن هذا السلوك يزعجني». فإذا احتاجك ولدك لشيء ما، اجعليه يشعر بأن احتياجه هذا أهم من أي شيء آخر بالنسبة لك. فمثلاً، عندما يأتي إليك باكياً لأن لعبته المفضلة قد انكسرت، اتركي كل شيء وانزلي إلى مستواه، انظري إلى عينيه، واطلبي منه أن يمسح دموعه، ثم أن يخبرك ماذا حصل بالضبط. هكذا ترينه أنك مستعدة للاستماع إليه، وأن ما يقوله مهم جداً بالنسبة لك... ومن ثم، حاولي تصحيح الأمور معه (تلصيق اللعبة المكسورة). المطلوب إذن هو وضع أنفسنا في موقع الطفل، والنظر إلى العالم من خلال عيون الطفل. عندما يعاني الولد من مشكلة سلوكية معينة، نشعر إجمالاً بالغضب والخيبة، لكن ما نهمل أن نفهمه هو أن الولد هو أيضاً غاضب من نفسه، علينا إذن وضع غضبنا إلى جانب وأن نحاول تفهم الولد من خلال طريقة تفكيره هو.

- العنصر الثالث الذي يميّز التواصل القوي بين الأهل والأولاد هو القدرة على التعبير عن حبنا لهم: عندما يعلم الطفل أن والديه يحبانه كما هو بالرغم من مشاغبته أو مشاكله، عندئذ لن يشعر بالقلق من فقدان حبهما إذا غضبا منه أو أرادا معاقبته لشيء ما، بل يدرك بوضوح أن عقابهما هذا هو درس مهم له لكي لا يتصرف بنفس الطريقة في المرة المقبلة، ولا ينظر إلى العقاب، مثل العديد من الأولاد لسوء الحظ، كعملية تهديد أو تحدٍ بينه وبين والديه، أو بالأحرى بين غالب ومغلوب!



في كل طفل شيء مميز  
وعلى الأهل إبرازه.

ثالثاً - البحث عن الشيء المميّز في كل ولد ضمن العائلة الواحدة يختلف كل ولد عن الآخر، فلا يجوز أبداً مقارنة الإخوة بعضهم ببعض («في عمره، كان أخوه يتكلم بالجمال!»، «لماذا لا تستطيع ترتيب غرفتك مثل أختك؟»...)، فهناك طبع خاص يلد به كل إنسان وعلينا احترام ميزات هذا الطبع وتقبلها، فالأولاد يختلفون باهتماماتهم وتطلعاتهم

ولكنهم، بالرغم من هذه الاختلافات، كلهم يحتاجون لحبنا وتقبلنا. كما يجب أن نعلم، نظراً لهذه الاختلافات العديدة الموجودة عند أولاد الأسرة الواحدة (كل ولد لديه أسلوبه الخاص للتعبير، وهواياته الشخصية ونقاط ضعف خاصة به)، أن على الوالدين أن يعدّلاً أسلوب تعاطيها مع كل ولد من الأولاد، وهذا يشمل حتى طريقة التواصل الشفهي ونظام العقاب والمكافأة.

#### رابعاً - النظام والقوانين البيتية

خبرتنا العيادية تؤكد لنا أن الأولاد الذين يعانون من مشاكل سلوكية يأتون من بيوت تسود فيها الفوضى، بمعنى أنه لا توجد قوانين ثابتة في حياة الأسرة لتنظيم مجرى الأمور بشكل يمنح الأولاد الشعور بالأمان.

إن الولد يحتاج لمن يضع له حدوداً في كل مجالات حياته اليومية؛ فهو يحتاج إلى أن يعرف متى سوف يأكل، ومتى سوف يستحم، ومتى سوف يذهب إلى السرير... هذه الحدود التي يضعها الوالدان تعطي شيئاً من الانضباط داخل العائلة، وهذا الانضباط يعطي الولد شعوراً بأن هناك من يحميه ويهتم به ويرعاه بانتظام.

كذلك، إلى جانب هذه القوانين التي تنظم الحياة اليومية، هناك مجموعة قوانين من نوع آخر يجب أن تترسّخ في ذهن الأطفال منذ الصغر. وطبعاً، لكي تكون هذه القوانين فعّالة وواضحة للولد، يجب على الأهل أن يطبقوها على أنفسهم، وأن يحترموها فيما بينهم وأمام الأولاد. مثلاً، إذا افترضنا أن هناك قاعدة في البيت وهي: «في هذا المنزل، لا تضرب»، فعلى الوالدين أولاً أن ينفذوا هذه القاعدة في تعامل أحدهما مع الآخر وطبعاً في تعاملهما مع الأولاد. إن مثل هذه القوانين تضع أمام الطفل توقعات سلوكية واضحة يفهم من خلالها ما هو السلوك المرغوب به وما هو السلوك غير المقبول، وما هي نتيجة كل سلوك يقوم به. هكذا يتعلم الطفل ضبط مشاعره وردّات فعله من دون حتى تدخل الأهل، أي يصل إلى درجة تنبؤ نتيجة أفعاله على المحيط ويدرك ما هو الحل الأفضل لكلا الفريقين.

يجب تشجيع الطفل على احترام هذه القوانين وأن نشرح له لماذا احترامها مهم (مثلاً: «إذا استيقظت وجهزت نفسك باكراً للمدرسة، تستطيع اللعب قليلاً قبل الذهاب إلى المدرسة!»)، كذلك يجب على كلا الوالدين أن يتفقا على نفس القوانين، فلا يجوز أن تتسامح الأم بموضوع معين وأن يأتي الأب ويعاكسها كلياً في نفس الموضوع. إن مثل هذا التناقض في الأساليب التربوية في البيت الواحد يؤدي إلى البلبلة والحيرة والضياع عند الولد، وهذه المشاعر غالباً ما تكون هي المسؤولة عن المشاكل السلوكية الشائعة عند أولادنا.



من خلال القوانين البيتية المنتظمة، يتعلم الولد ضبط مشاعره وردات فعله دون تدخل الأهل.

إن الالتزام بالقوانين أمر يجب أن نركز عليه: فالالتزام بالأهل بالقوانين أمام الأولاد تزيد ثقة الولد بأهله واعتبارهما كمرجعية صلبة في حياته وتمنحه شعوراً كبيراً بالأمان ... مرجعية قوية صلبة في عالم يتغير باستمرار... وهذا الالتزام يتمثل في المشاهد التالية في الحياة اليومية: في حال حصول مشاجرة كبيرة مع ابنك وسط متجر كبير للتسوق، فهو يريد أن تشتري له شيئاً معيناً وأنت ترفضين ذلك لأنه لا يستحقه، أو لأنه ليس لديك المال الكافي لشراء مثل هذا الشيء في الوقت الحالي، فلا تضيعي وقتك بالتفسير له لماذا لا تستطيعين الشراء، فلا الوقت ولا المكان ملائمان للحوار وللإقناع. إنه تسوقك بسرعة واحمله بقوة إلى الخارج من دون صراخ ولا توبيخ، ثم اشرحي له ماذا حصل. هكذا يتعلم الطفل أن لا مجال للمداعبة أو الدلع للحصول على ما يبغيه من خلال تصرفاته السلبية هذه.



من ناحية أخرى، يفرض الالتزام بالقوانين علينا أن نوضح للولد ما هي نتائج تصرفاته (العقاب أو المكافأة)، وهنا يجب أن نذكر أن هذه النتائج يجب أن تكون واقعية (أي أن يدرك الولد أنك باستطاعتك تنفيذها فعلياً) ومتلائمة مع قدراته الفكرية (أن يفهمها بوضوح) والجسدية (هل يستطيع الولد تنفيذ أو تحمل العقاب الذي اخترته؟)

مثلاً: طفل في الثالثة من عمره أخذ يرسم على الحائط بواسطة أقلام الحبر الملونة. تأتي الأم وهي غاضبة جداً منه وتوبّخه وتفرض عليه كعقاب أن ينظف الحائط. يحاول الطفل تنظيف الحائط ولكن كلنا نعلم كم هو من الصعب تنظيف آثار الحبر الملون من على الحائط، فلا يستطيع الطفل تصحيح خطئه ويتعب ويحسّ بالقهر ويبكي...

إن مثل هذا العقاب غير متلائم مع قدرات ابن الثالثة! ومن الأفضل، في مثل هذه الحالة، أن تقول للأم للطفل: «تعال، سوف أساعدك على تنظيف الحائط»، وأن تحرمه من أقلام الحبر لبقية النهار! فما يهمننا هو تعليم القيم للأولاد وليس قهرهم من خلال العقاب، وهذا ما يجب أن يدركه الولد: إن العقاب ليس للقهر بل لتعلم طرق أفضل للتصرف.

عندما نتحدث عن القوانين البيتية وعن ضرورة الالتزام بها، لا يعني ذلك أن نطبق نظاماً ديكاتورياً داخل البيت! فالمرونة في تطبيق هذه القوانين هي أيضاً من أسرار الحياة السعيدة. فمثلاً، هناك قاعدة في المنزل تفرض على الأولاد أن يذهبوا إلى الفراش عند الساعة السابعة والنصف مساءً، ولكن هذه الليلة، سوف يأتي الجد والجدّة لزيارة العائلة، فبإمكانك تعديل هذه القاعدة بعض الشيء، استثنائي لهذه الليلة، للسماح للأولاد أن يتمتعوا بجدهم وجدتهم بعض الوقت قبل الذهاب إلى النوم، على أن تشرحي للأولاد أنك سوف تقومين بهذا التعديل وسببه (نلاحظ أنه في حال عدم توفير الشرح للولد، قد يسأل هو عنه!). من المهم جداً أن نشرح للولد التغيرات الحاصلة في روتينه اليومي («في الصيف، عندما يكون الطقس حاراً، تستطيع أن تبقى وقتاً أطول في المغطس للعب، أما في الشتاء فالطقس بارد وقد تمرض إذا بقيت طويلاً في المغطس!»).

في الإطار نفسه، يجب أن نذكر أن القوانين المنزلية تتعدّل مع نمو الأولاد في العائلة الواحدة، وتواكب احتياجاتهم حسب مراحل تطوّرهم، فلا يجوز مثلاً أن تفرضي على ابنتك في الرابعة عشر من عمرها أن تذهب إلى الفراش عند الساعة والنصف مثل أخيها في الثامنة من عمره!

### خامساً - المعرفة والاطلاع

نلاحظ أن العديد من الأهل لا يملكون المعلومات الكافية حول تطور الأولاد أو حول تربيته، فمعظمهم يتكلمون على نصائح ومعلومات الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء (وعدد كبير من هذه النصائح أو المعلومات تكون خاطئة أو غير متلائمة مع حالة ابنهم أو ابنتهم).

يجب على الأهل أن يعرفوا أن التطور النفسي يختلف عن التطور الجسدي الذي يسير في اتجاه واحد، إلى الأمام. في التطور النفسي، نستطيع أن نقول إن لكل خطوتين إلى الأمام، هناك خطوة إلى الوراء! فالسنوات الست الأولى من حياة أولادنا تتميز بالكثير من الأحداث التي تفرض ضغطاً كبيراً على الولد (ولادة أخ جديد، الذهاب إلى المدرسة، الفروض المنزلية...) مما يسبب في معظم الأحيان العودة إلى سلوك طفولي بدائي. إن مثل هذا الارتداد السلوكي لا يجب أن يقلق الأهل طالما أنه لا يدوم أكثر من شهر أو شهرين ولا تتفاقم حدته.

هذا ونصح الأهل أن يكونوا على دراية بالخصائص التي تميز كل مرحلة من مراحل التطور عند الأولاد، فإن معرفة هذه الخصائص تساعد على تفهم أولادهم بصورة أفضل، وبالتالي تجنب المشاكل العديدة الناتجة عن سوء فهم وعدم تقبل الولد. إن هذه المعرفة تجعلنا أيضاً نضع أنفسنا مكان أولادنا والنظر إلى العالم من خلال عيونهم! فعندما يكون في العائلة طفل يعاني من مشكلة ما، يشعر الأهل بالغضب والخيبة، ولكن ما لا يفهمونه هو أن الطفل أيضاً غاضب تجاه نفسه... لذلك، من الأفضل أن نضع غضبنا جانباً وأن نحاول فهم الطفل من خلال منظوره.

### سادساً - الوقت المميز مع الأولاد

في السنوات الأولى من حياتهم، ما يريده فعلاً الأولاد هو وقت أكثر مع أهلهم... هذا ونرى أن معظم الأهل يصرفون الكثير من المجهود والمال في خلق برامج باهظة التكاليف ومفرطة الإثارة لأولادهم، بينما ما يريده فعلاً الأولاد هو «وقت مميز» مع والديهم، أي أن يكونوا معاً: إن حضور حفل صاخب ممكن أن يكون شيئاً جميلاً جداً للولد، لكن بالنسبة لهذا الولد، قضاء ساعة بمفرده مع أمه في هدوء وقراءة كتاب قد يعطيه سعادة حقيقية... إن مثل هذه اللحظات المميزة مع الأم أو الأب توطد العلاقة الحميمة بين الطفل والديه، يشعر من خلالها أنه مهم جداً بالنسبة لهما، وأنهما يستمتعان بحضوره معهما، فالطفل الذي ينمو في مثل هذا الجو يتعلم أن يحب نفسه...

باختصار، لا تجعل الولد يعتقد أن يومه يكون مميزاً فقط إذا أخذته إلى السينما ثم إلى المطعم!

### سابعاً - الثقة بالذات ومكافحة الشعور بالذنب

من الطبيعي جداً أن تعتبر الأم أن كل خطأ يحصل في عائلتها هو من مسؤوليتها، وهذا الشعور شائع عند الأم «الجديدة» وعند الأم العاملة. فعندما تحاول الأم أن تكون «الأم المثالية»، تبدأ المشاكل في البيت. يجب على الأم أن تتحلى بالثقة في نفسها، وفي قدراتها، وأن تدرك حدود هذه القدرات، وأن تعلم أن لا أحد يتوقع منها المثالية!

إن مكافحة الشعور بالذنب تأتي من خلال المعرفة والاطلاع، فكلما زادت معرفة الأم بالأمور المتعلقة بتطور الأولاد، تصبح واثقة من خطواتها في عالم الأمومة، وتستطيع أن تحلل وتفهم وحتى تعالج بعض هذه الأمور التي تشكل تحدياً كبيراً بالنسبة لدورها كمربية.

### ثامناً - مواكبة عصر الإلكترونيات ووضع حد لبعض الممارسات



يجب على الأهل أن يدركوا أهمية الحاسوب والأدوات الإلكترونية في حياة أولادهم، وأن هذا الجيل يختلف كلياً عن الأجيال السابقة، نظراً إلى تعدد الخيارات أمام الأولاد وتعرضهم لخبرات مذهشة من جراء وسائل الإعلام المتنوعة وتزايد الابتكارات الترفيهية بسرعة مذهلة... وهذا الكلام ينطبق على كل المجتمعات في كل أنحاء العالم وكل الطبقات الاجتماعية. باختصار، إن طفولة أولاد القرن الحادي والعشرين تختلف كلياً عن طفولة أولاد القرن العشرين، حتى أن بعض الخبراء في علم التربية طالبوا بإعادة «البراءة» لأولادنا. ففي عصرنا هذا، نلاحظ أن الأولاد

هم نسخة مصغرة عن الراشدين: الثياب التي يرتدونها أو التي تشتريها لهم، والأمكنة التي يذهبون إليها أو التي نأخذهم إليها... في الكثير من الأحيان، نعرضهم إلى أشياء ونعلمهم إياها قبل أوانها (كم من مرة سمعت أياً فخوراً يعلن بكل اعتزاز أن ابنه في الثالثة من عمره يستطيع تشغيل الحاسوب بمفرده ويمضي ساعات أمامه!).

إنني لا أعترض على فكرة تواجد الحاسوب في المنزل، بل أعتقد أن ذلك أصبح من الأولويات في عصرنا هذا، وعلى الأولاد، كل أولاد اليوم، أن يكونوا على اطلاع واسع ووفير على عالم الحاسوب، وأن يكون لديهم خبرة في التعامل معه (في المدرسة كما في البيت)، إنما أطالب الأهل أن يضعوا ضوابط لهذا التعامل من خلال إشرافهم على البرامج التي يختارها أبناؤهم، ووضع حد للوقت الذي يمضونه أمام الحاسوب أو أية لعبة من الألعاب الإلكترونية الشائعة في أيامنا هذه.

إذا كان الأولاد في عمر يمكننا من التحوار المنطقي معهم (وذلك ابتداءً من عمر الست سنوات)، أنصح الأهل، قبل شراء الحاسوب، أن يتفقوا مع أولادهم على برنامج عمل معين (تحديد نوعية البرامج التي سوف يستخدمونها، والفترة الزمنية التي يسمح لهم بقضائها أمام الحاسوب) وأن توضح للأولاد ما هي العواقب التي يجب توقعها في حال مخالفتهم لقواعد هذا البرنامج، والالتزام الحرفي بالخطة بعد إحضار الحاسوب إلى المنزل... أما بالنسبة للأولاد دون الخمس سنوات، فإنني أنصح بشدة بالإشراف الفعلي منذ البدء، خاصة فيما يتعلق بعدد ساعات اللعب.

إن للحاسوب ميزات عديدة، فهو ينمي القدرات العقلية، ويوفر الإثارات المتنوعة للطفل التي هو بحاجة إليها لتعلم الأشياء واستكشاف العالم من حوله، كما أنه أيضاً ينمي التنسيق البصري الحركي (بين العين واليد) والتحديد المكاني، ويعلم دقة الملاحظة وحتى الإبداع في بعض الأحيان. لكنه أيضاً يبعد الطفل عن ملذات الحياة اليومية: يبعده عن أهله وإخوته، وحتى عن أصدقائه، ويبعده عن المطالعة والرسم والتلوين، وعن المشاركة في أحاديث العائلة والمشاريع الجماعية، وحتى عن تناول الطعام على المائدة مع بقية أعضاء الأسرة، وعن ركوب الدراجة والركض في الحديقة وتسلق الأشجار...

أما بالنسبة للتلفزيون، فتطبق الملاحظات نفسها: يجب على الأهل أن يضعوا حداً للفترة الزمنية التي يمضيها الطفل أمام شاشة التلفزيون وللبرامج التي يتعرض لها. كل الأطباء ينصحون بأن لا تتجاوز فترة مشاهدة التلفاز أكثر من

ساعتين في اليوم. يجب وضع الحدود في هذا الإطار باكراً، أي منذ الطفولة المبكرة، لأن وضع الحدود لاحقاً يصبح صعباً جداً.

البرامج كثيرة ومتنوعة، وليست كل البرامج التي يقال عنها إنها خاصة بالأطفال تكون فعلاً ملائمة لكل أعمار الطفولة، فبعض الرسوم المتحركة مثلاً موجهة لعمر معين (بين الست والثماني سنوات)، وتحتوي على مضمون لا يتلاءم مع القدرات الفكرية لطفل في الرابعة من العمر! كما أن هناك بعض المشاهد المرعبة التي لا تخيف ابن الثماني سنوات، بل تخيف أخاه في الرابعة ولا تتلاءم أبداً مع نموه العاطفي في هذه المرحلة من عمره.

### تاسعاً - التحدث عن المشكلة

نلاحظ أنه في معظم العائلات حيث يعاني أحد الأولاد من مشكلة معينة، هناك ميل إلى كتمان الأمر أو تجاهله أو اعتباره أزمة مؤقتة سوف تزول («هكذا كان أبوه في صغره...»). إن هذا الكتمان مضر جداً بالنسبة للعائلة كلها، فنكران المشكلة (وقد تكون إعاقة معينة) من شأنه تفاقم المسألة على الجميع داخل الأسرة، فالولد يحتاج إلى مساعدة كما الأهل والإخوة.

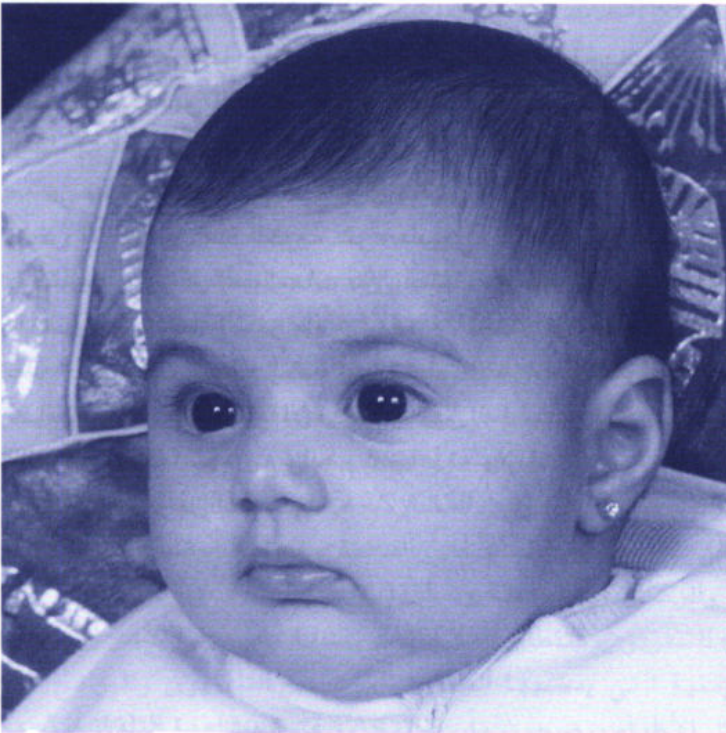
لذلك ننصح الأهل بالاعتراف أولاً أن هناك خطأ ويجب العمل على تصحيحه: يجب التحدث عن المشكلة أولاً داخل الأسرة، ومن ثم السعي إلى إيجاد الحلول المناسبة من خلال استشارة طبيب العائلة الذي قد يحولهم إلى الشخص المناسب. في مجتمعاتنا الشرقية، لا نزال نخشى فكرة اللجوء إلى الطب النفسي لمعالجة بعض الأمور. إن هذا الخوف شيء طبيعي، خاصة وأن علم النفس لا يزال حتى يومنا هذا وفي كل المجتمعات دون استثناء (بمستويات مختلفة) محاطاً بمفاهيم خاطئة. لكن الخطأ الأكبر والأخطر هو أن نستمر في تجاهل تواجد مشكلة حقيقية عند الولد، لذلك ننصح بشدة أن يتخطى الأهل هذا الخوف المبني على مفاهيم خاطئة، وأن يستشيروا الاختصاصيين المناسبين لكي يجدوا الدعم المعنوي والعملية في تعاملهم مع ولدهم لمساعدته ولإنقاذ الأسرة من مأساة كبيرة تشمل حياة كل عضو من أعضائها.

## إرشادات عملية في مراحل النمو

في هذا الجزء نحاول قدر الإمكان مساعدة الأمهات والآباء في عملهم التربوي بإعطاء لائحة من الإرشادات العملية لتواكبهم في كل مرحلة من مراحل نمو أولادهم في السنوات الخمس الأولى.

### من الولادة حتى السنة الأولى

- 1 - ينصح أطباء الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية بالإرضاع من الثدي لفترة تتراوح بين الستة أشهر والسنة، فكل الدراسات تشير إلى أن التغذية من حليب الأم تزود الطفل بمناعة مهمة تحصّنه ضد الأمراض الشائعة خلال الطفولة، مثل أمراض الصدر والتهابات الأذن وحالات الإسهال والتهابات المثانة، الخ...



- 2 - إن تقبيل واحتضان ومعانقة الطفل من الضروريات في هذه المرحلة من النمو، فتوفير هذا النوع من الاتصال الجسدي للطفل يؤدي إلى اتزان في ردّات فعله واستجابته للضغوطات، وبالتالي يصبح أكثر طمأنينة وهدوءاً وأسهل تجاوباً مع محيطه.
- 3 - تحدّثوا مع المولود! بالرغم من أن الطفل لا ينطق في هذا العمر المبكر، فهو يفهم الكثير! إن حديث الأهل مع المولود يشكل إثارة مهمة جداً بالنسبة له، ويساعد على تنمية النطق عنده وتطوير القدرات الفكرية.
- 4 - عرّفوا مولودكم إلى الكتب: يجب تنمية حب الكتاب وحب المطالعة منذ الصغر، فالمولود يحب سماع إيقاع الكلام، وعندما نقرأ له ننمي ونعزّز هذه العادة، خاصة عندما يقرن الطفل خبرات القراءة باللحظات الحميمة مع والدته أو والده في هدوء غرفة النوم مع إنارة لطيفة وشعور جميل جداً بالطمأنينة والأمان.
- 5 - الانتباه إلى كيفية وضع المولود الجديد في السرير للنوم: كل الدراسات اليوم تنصح بوضع المولود على ظهره بدلاً من بطنه، وعدم استخدام وسادة له، والكشف عليه عدة مرات خلال نومه لتجنّب حوادث الوفاة بالاختناق.
- 6 - عدم المباشرة بإطعام المولود الجديد مواد غذائية مختلفة قبل الأربعة أشهر. فالدراسات تشير إلى أن مشاكل السمّنة الزائدة والحساسيات عند الأولاد ناتجة عن هذه الممارسة في عمر مبكر.
- 7 - لا تدعوا الطفل بمفرده في «جهاز المساعدة على المشي» (walker)، واستعملوا هذا الجهاز لفترات محدّدة جداً، فالطفل الذي يمضي ساعات طويلة بالجهاز يُحرم من الفرص المناسبة لتطوير قدراته الحركية وكذلك قدراته الفكرية - الحسية من استكشاف المحيط وتكوين صورة جسدية متكيفة مع المفاهيم المكانية في محيطه.
- 8 - لا تتسرعوا في إلباسه الحذاء! إن عظام قدم الطفل رقيقة جداً، وحتى عمر الستة أشهر تتكوّن معظم القدم من مادة الغضروف، فإذا حُصرت القدم في حذاء صغير أو حتى في جوارب صغيرة ومشدودة، قد يُعرّض الغضروف هذا للاهتراء مما يعيق نمو العظم بشكل سليم.
- 9 - الانتباه من الأشياء الصغيرة في محيط الطفل، فهو يضع كل شيء في فمه!

## من السنة الأولى حتى السنة الثانية

- 1 - للأب دور مهم جداً في العناية بالطفل: العديد من الدراسات تشير إلى أن مشاركة الأب في العناية بالأولاد ورعايتهم إلى جانب الأم لها تأثير إيجابي على شخصية الطفل من ناحية التكيف الاجتماعي وحتى التحصيل المدرسي.
- 2 - المباشرة بتطبيق نظام للنوم، وذلك لتجنّب مشاكل النوم لاحقاً، فمثل هذا النظام يعطي الأمان للولد.
- 3 - التأكد من تواجد كل الإسعافات الأولية في المنزل، وكذلك التأكد من سلامة النباتات الموجودة في البيت أو الحديقة، فهناك العديد من النباتات السامة التي تؤذي الصحة.
- 4 - الشعور بالاكتئاب والقلق طبيعي عند الأم الجديدة، لكن يجب أن نعلم أن اكتئاب الأم يؤثر سلباً على الطفل، لذلك يُنصح أن تبحث الأم عن السند أو الدعم العاطفي في مثل هذه الحالات من قبل زوجها، أو أقاربها، أو صديقة لها، الخ...
- 5 - عدم المباشرة بتطبيق نظام غذائي لتخفيف السمنة عند الولد إذا كان سميناً، فلا داعي للقلق بالنسبة لوزنه في هذا العمر المبكر، ويجب أن نعلم أنه حتى عمر الخمس سنوات يحتاج الولد إلى تنويع في غذائه للحصول على الفيتامينات اللازمة للنمو. هذا وينصح الخبراء بالمباشرة في خلق عادات غذائية سليمة بإبعاد الأولاد قدر المستطاع عن المأكولات غير الصحية.

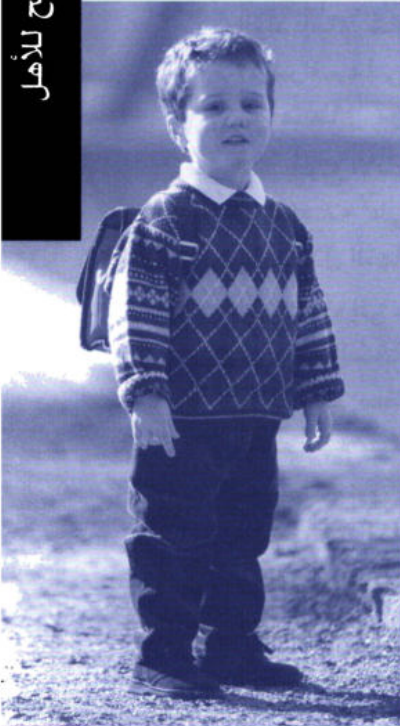




- 6 - عدم التسرّع في التدريب على النظافة: النظريات التربوية الحديثة تنصح بالمباشرة في عملية التدريب عند عمر السنتين حيث تكون الأعصاب والعضلات جاهزة.
- 7 - عدم السماح بالتدخين داخل البيت.
- 8 - الاتصال المستمر مع طبيب الأطفال من خلال الالتزام بمواعيد الكشوفات الطبية وتواريخ اللقاحات.
- 9 - لا تتوقعوا أن يلعب ولدكم في هذا العمر بمفرده، فالأولاد بين السنة والسنتين يحبون الناس كثيراً، وبالأخص والديهم، لذلك ينصح الخبراء باللعب مع الولد ومشاركته اهتماماته قدر الإمكان.

### من السنة الثانية حتى السنة الثالثة

- 1 - الانتباه إلى فقر الدم: حوالي 12% من أولاد السنتين يعانون من فقر الدم بسبب نظام غذائي يفتقر إلى مادة الحديد، والعوارض هي اللون الشاحب والتعب. لذلك، ننصح بإطعام الولد مواد غنية بالحديد مثل اللحم الأحمر، والعدس، والسّمك، والمشمش، الخ...
- 2 - التهابات الأذن شائعة جداً في هذا العمر وقد تؤدي إلى اضطرابات بالسمع، لذلك ننصح بالكشف على سمع الولد. نذكر بأن مشاكل السمع تؤثر على النطق، مما يؤدي إلى مشاكل سلوكية عند الأولاد.
- 3 - التأكد من أن المنزل خالٍ من المخاطر: إن فضولية الولد في هذا العمر تجعله يرغب بلمس وتذوق أي شيء في متناول يده، لذلك ننصح بوضع كل مواد التنظيف المنزلي كما الأدوية في أمكنة بعيدة عن متناول يده.
- 4 - عدم الضغط على الولد بأن يكون الأفضل والأشطر والأنظف! إن مثل هذه الضغوطات تعلمه روح المنافسة، والمنافسة في مثل هذا العمر المبكر



تنعكس سلبياً عليه، إذ إنه يشعر بأنه غير محبوب كما هو وعليه دائماً أن يكون أفضل لكي يرضي والديه ويتقبلاه...

- 5 - لا تقلقوا على نطقه إذا كان متأخراً بالنسبة لأقرانه، فلكل ولد نمطه الخاص باكتساب اللغة، وتشير الإحصاءات إلى أن من 9 إلى 17% من الأولاد في عمر سنتين يملكون أقل من ثلاثين كلمة في مخزونهم اللغوي... إن مثل هذا التأخر لا يعني تأخراً للأبد، خاصة إذا كان سمع الولد سليماً، وإذا لم يكن هناك إعاقة سمعية أو مشاكل نطق في عائلة أحد الزوجين أو كليهما. وقد يعني هذا التأخر أن محيط الولد لا يوفر له الإثارات الكافية للتواصل الكلامي، وينصح الخبراء بالتحدّث مع الولد وقراءة القصص له وجعله يمضي بعض الوقت في الحضانة مع أولاد من عمره ممّا يساعد على تطوير قدرات النطق عنده.

### من السنة الثالثة حتى السنة الرابعة



- 1 - وضع الحدود على الوقت الذي يمضيه الولد أمام شاشة التلفزيون، وكذلك الإشراف على نوعية البرامج التي يشاهدها.
- 2 - تشجيع الاستقلالية عند الولد ومساعدته على الانفصال بعيداً عن أمه خلال النهار.
- 3 - الانتباه إلى ما يقال أمام الولد: فأولاد السنة الثالثة أذان كبيرة، وبما أنهم يمضون معظم وقتهم مع أمهم فهم يستمعون لكل ما تقوله بفضولية، ويكررون ما سمعوه أمام الآخرين... لذلك يُفضّل عدم انتقاد رفاقه أو الجيران أو المعلمة أمامه...
- 4 - الكشف على نظر الولد واستشارة الاختصاصيين بحال ملاحظة حوّل في عينيه.

- 5 - لا تتسرعوا في تعليم الولد القراءة والكتابة في هذا العمر.
- 6 - المباشرة في اعتماد الحوار كوسيلة تربوية بدلاً من الصراخ والتأنيب لجعله يلتزم بالقوانين الأخلاقية أو لتعديل سلوكه.
- 7 - اعتماد أسلوب موحد بين الأم والأب فيما يتعلق بتربية الأولاد، فإن هذا الانتظام في المرجعية يعطي الأمان والطمأنينة للولد، وكذلك القوانين السلوكية في البيت التي توضح للولد الخطوط الحمراء التي لا يجوز أن يتعداها.

### من السنة الرابعة حتى السنة الخامسة

- 1 - عدم مقارنة الإخوة بعضهم البعض الآخر.
- 2 - أخذ الولد بجدية إذا قال إنه مريض، فلعله يحاول التهرب من شيء ما، ويجب الاستماع لشكواه ومعرفة سبب هذا التهرب.
- 3 - تعليم الولد على التعاطف مع الآخرين واحترامهم، ففي هذا العمر تخف الأنانية ويبدأ الولد بتطوير مهاراته الاجتماعية على أسس أخلاقية يتعلمها في البيت.
- 4 - تشجيع إبداع الولد من خلال الرسم والتلوين والأعمال اليدوية.
- 5 - عدم القلق إذا كان لا يزال يتبول لإرادياً في الليل، فالدراسات تشير إلى أنه حتى عمر السبع سنوات، هناك واحد من أصل عشرة أولاد يتبولون لا إرادياً في الليل.
- 6 - عدم القلق إذا برزت وتكاثرت المخاوف في هذا العمر، ولا تتعجبوا إذا لم يكن الولد يخاف من شيء ما من قبل وأصبح يخاف منه الآن... إن هذه المخاوف طبيعية في هذه المرحلة طالما لا تؤثر بشكل سلبي على حياة الطفل وتعيقه عن تطوير قدراته عامة وتمنعه من تأدية الوظائف اليومية المتوقعة منه.
- 7 - لا تتوقعوا أن يلعب أولادكم مع بعضهم البعض من دون مشاجرات وخلافات حول أبسط وأتفه الأمور...
- 8 - لا تتركوا تربية أولادكم للاختصاصيين فقط! تعرّفوا إلى علم تربية الأطفال من خلال المطالعات في الكتب، والمجلات، وبواسطة الحاسوب والإنترنت... تزودوا بكل المعلومات المتعلقة بتطور الأولاد لكي تصبحوا أنتم «الخبراء» بولادكم وليس الآخرين!!!

# القسم 7

# مواضيع

## بالغة الأهمية

- 268 الفصل 1: الطفل الخجول
- 274 الفصل 2: النشاط المفرط والنقص بالانتباه
- 280 الفصل 3: التوعية الجنسية
- 286 الفصل 4: اضطرابات النوم عند الأولاد
- 290 الفصل 5: ماذا عن التوأم؟
- 294 الفصل 6: الأولاد ذوو الاحتياجات الخاصة

## الطفل الخجول



### أولاً - من المسؤول : الوراثة أم البيئة؟

إجمالاً ، نلتفت أكثر إلى السلوك العدواني عند الطفل وسرعة انفعاله، ونميل إلى إهمال الولد الخجول لأنه لا يزعج أحداً، فنمر على خجله مرور الكرام، إذ إنه يبدو سعيداً في زاويته، حتى أن معلمات المرحلة الابتدائية لديهن ميل إلى تحفيز وتشجيع السلوك الهادئ، وبالتالي هناك تشجيع لانزواء الولد وخجله.

أما نحن، كأهل، فعلياً أن نميز بين الخجل السوي عند الولد والخجل الشديد الذي يعيق بالفعل الثقة بالذات عنده.

فبعض الأولاد قد لا ترتفع درجة اهتمامهم بسرعة، وقد سبق أن استعملنا تعبير «بطيء التدفئة» لوصفهم، أي ما يعرف بالإنكليزية بـ slow-to-warm-up، فهم لا ينفعلون بسرعة، ويفكرون قبل القيام بشيء ما، ويفضلون المراقبة على المشاركة. هؤلاء الأولاد لا يعانون من أية مشكلة، يجب فقط التعامل معهم حسب إيقاعهم وعدم الضغط عليهم للقيام بمجهود أكبر مما هم قادرين عليه.

إن الخجل هو من خصائص الإنسان الأكثر شيوعاً. ففي دراسة حديثة في جامعة «ستانفورد» الأميركية، قال ثمانون بالمئة من

المشاركين في الدراسة إنهم خجولون أو كانوا خجولين في إحدى مراحل حياتهم، وفي دراسة أخرى، تبين أن الخوف الأهم عند معظم الناس هو التحدث أمام مجموعة.

كما يجب أن نعرف أن وراء الخجل عاملاً وراثياً مهماً جداً كما بينت الدراسات على التوائم، إنما الخجل أيضاً من الخصائص المرنة في شخصية الإنسان، ويتأثر كثيراً بالمحيط الذي ينشأ وترعرع فيه الولد.

وإذا قارنا الخجل عند الولد بالخجل عند الإنسان الراشد، نرى أن هناك العديد من العوامل المشتركة، فمثلاً في كل من الحالتين، يترافق الخجل بالشعور بالقلق والخوف (الذي يمكن أن يكون شديداً جداً مثل «الرهاب»)، و للتخلص من الخجل، يقوم المرء بممارسة المهارات الاجتماعية التي تؤدي إلى جعله أقل إحراجاً في الظروف غير المألوفة. فالفرق الوحيد بين الخجل عند الأولاد والخجل عند الإنسان الراشد هو أن الولد لا يستطيع إخفاء شعوره بالخجل مثلما يستطيع الإنسان الراشد.

بالعودة إلى موضوع الوراثة، فهناك أساس جيني للخجل كما تؤكد الدراسات في هذا المجال، لكن معظم علماء النفس يرون في دور التربية التي يتلقاها الطفل في البيت أهمية بالغة في تطوير شخصيته. ففي دراسة أقيمت على خمس مئة مولود جديد، حيث صنّف 20% من بينهم بأنهم يتميزون بجهاز عصبي حساس جداً (يبكون بحدّة عند سماع صوت غير مألوف أو رؤية شيء جديد، وينفعلون بسرعة حيال أي تغيير مفاجيء في محيطهم...)، تبين أن نصف هؤلاء كانوا بالفعل خجولين عند عمر السنتين، وأما النصف الثاني، فكانوا يتميزون بشخصية اجتماعية منفتحة على الآخرين، ويبدون آراءهم بسهولة، ويأخذون مبادرات بشجاعة. يركّز علماء النفس على هذا الفرق بين النوعين من الأولاد بالقول إنه يعود إلى قدرة الأهل على تدريب أولادهم على تقبّل كل ما هو جديد والتأقلم مع الظروف غير الاعتيادية. كذلك نعلم أن خبرات الحياة الأليمة (مثل إحباط الولد وانتقاده باستمرار، وتراكم خبرات الفشل في المدرسة، وتأثير الطلاق على الحياة العائلية، إلخ...) قد تجعل من ولد شجاع في السابق ولداً خجولاً منزوياً.

نضيف إلى ذلك أن التمييز الجنسي الذي نمارسه يومياً في طريقة تربيتهن يلعب أيضاً دوراً مهماً في تكوين شخصيتهن؛ فنلاحظ مثلاً أن حوالي 65% من الأولاد الخجولين في عمر العشر سنوات هم من البنات، لأننا نشجع بناتنا على التصرف الهادئ، والمتسامح، والالتكالي، وعلى عدم أخذ المبادرات أو إبداء الرأي، بل نشجعهن على الصمت والتصرف الخجول...

## ثانياً - الخجل والثقة بالنفس

إذا أردنا مساعدة ولدنا على التخلص من الخجل، يجب أولاً أن نحدّد ما هي الثقة بالنفس. وهذا التحديد صعب جداً لأن الثقة بالنفس مفهوم شامل ومتشعب، ويتفق علماء النفس على تحديدها بالخصائص التالية:

عندما يشعر الإنسان أن له قيمة.

عندما يحب الإنسان نفسه.

عندما يتقبل الإنسان نفسه مع كل نواقصه.

عندما يكون للإنسان ثقة بالمستقبل.

عندما يشعر الإنسان أنه يستطيع تجربة أشياء جديدة وأنه سوف ينجح.

عندما يشعر الإنسان أنه جزء لا يتجزأ من هذا العالم، وأنه ينتمي إليه.

من الطبيعي أن لا يشعر الإنسان هكذا طوال أيام حياته، وليس كل ما يقوم به الإنسان مكلل بالنجاح، إنما الثقة بالنفس هي المحرك الأساسي الذي يجعله يثابر في المحاولة دون الخوف من الفشل...

فماذا نلاحظ عند الطفل الذي ليس لديه ثقة بالنفس؟ تزداد المشاكل السلوكية، وقد تخف قابليته للطعام أو قد تزداد وتظهر المشاكل الصحية، وتبرز عنده العدوانية، ويجتاحه شعور بالقلق وعدم الأمان، ويتدنّى تحصيله المدرسي.

## ثالثاً - تطوّر الثقة بالنفس

من الولادة حتى انتهاء العام الأول: يتذكر القارئ من حديثنا السابق عن تأثير العامل الوراثي، أن هناك عدداً كبيراً من الأولاد يلدون مع جهاز عصبي حسّاس جداً يستجيب بسرعة وحدة للإثارات المتوفرة في المحيط، فكل إثارة جديدة تحرك مركز الخوف في الدماغ وتجعل العضلات تتشنج والقلب يخفق بسرعة وبالتالي يبدأ المولود بالصراخ والبكاء.

لذلك يجب على الوالدين أن يعوّدوا الرضيع تدريجياً على تقبل المثيرات غير المألوفة، وأن يقبل المخاطرة بجسده في ظروف غير مألوفة. نضيف إلى ذلك ضرورة وجود قوانين صارمة في حياة الطفل ابتداءً من عمر مبكر، فنحن إجمالاً لا نحب فرض القوانين على أولادنا الصغار، بل نكتفي بحذف المثيرات الخطرة من أمامهم لكي لا يتعاطونها. إن العكس هو المطلوب، إذ يجب على الأهل أن يوضحوا



للطفل أهمية القوانين في المنزل، طبعاً من خلال وسيلة محببة وحنونة ومقنعة («لا تستطيع أن تأكل التراب، هذه هي البسكوطة!») تساعد على أن يتعلم كيف يتعامل مع ضغوطات الحياة، تافهة كانت أم شديدة، في محيط آمن ومحمي.

من ناحية أخرى، خلال هذه المرحلة المبكرة جداً من حياة الطفل، تُكتسب الثقة بالذات من خلال ابتسامات واحتضانات الوالدين له، وتحدثهما معه، ولمسهما له بحنان... كل ذلك يعطيه فكرة إيجابية عن العالم حوله، عالم تُنفذ فيه احتياجاته بعاطفة وحنان، عالم آمن يشعر فيه الطفل أن أهله له ويحبونه من دون شروط...

بين العام الأول والعام الثالث: وهي مرحلة مهمة جداً، إذ إن الولد يكتسب فيها الاستقلالية، ولكنها أيضاً تُسمى «بالمرحلة السلبية» إذ نلاحظ أن الطفل في هذا العمر يقول «لا» لكل شيء يطرح عليه، فهو يحاول أن يكتشف هويته وقدراته. لذلك فإن تشجيع الاستقلالية عند الولد هي الركيزة الأساسية للثقة بالنفس وللتخلص من الخجل، فيجب إذن أن ندعم كل خطواته نحو الاستقلالية، أن نشجع كل مبادراته الشخصية للقيام بأشياء معينة، أو أن نذكره دائماً كم نحن نحبه وكم هو جميل وبارع، إلخ... فالولد الذي يشعر أنه مشكلة في البيت، لن يطور الثقة بنفسه.

### إرشادات للتعامل مع الطفل بين العام الأول والعام الثالث

- يجب أن ننتبه للكلمات التي نستعملها معه وأمامه، بالأخص العبارات المحببة («كم أنت بطيء» «أف! كم تتعبني»، «هذا سهل جداً، لماذا لا تستطيع القيام به؟» إلخ...).
- يجب أن نحترم آراءه، وأن نستمع لقصصه ولتطلباته، وأن لا نتجاهله وكأنه غير موجود، أو كأن لا وقت لدينا لنعطيه له.
- إذا قام بشيء مزعج، لا يجب أن نقول له «اهدأ، أنت تزعجني»، بل «اهدأ، هذا الصوت يزعجني».
- لا يجب مقارنة باخوته أو بأي أحد آخر في المحيط.
- يجب أن نكيّف توقعاتنا منه مع قدراته الاستيعابية والسلوكية.
- من المهم جداً أن يكون هناك توافق بين الأب والأم حول أسلوب واحد للتربية في البيت، فالتناقض بين الوالدين يجعل الطفل حائراً وغير قادر على إدراك المرجعية الصالحة، وهذه الحالة من الضياع تؤدي إلى القلق، والقلق يولد الخجل عند الأطفال.

بين السنة الثالثة والسنة الخامسة: وهي مرحلة ما قبل المدرسة. يكتشف الولد حدوده فيقارن نفسه بالأولاد الآخرين، ويكتشف أن فلاناً أسرع منه في الركض، وفلاناً أبرع منه في الرسم ... فمن الطبيعي أن تتزعزع ثقته بنفسه خلال هذه المرحلة بعدما كان هو الأفضل والأسرع والأشطر في عيون أمه في البيت . في هذه المرحلة، يتعرض الطفل لأشخاص جدد غير الأشخاص الذين اعتاد عليهم في عالمه البدائي: هناك الأولاد الجدد في الصف، وهناك أيضاً المعلمة أو المعلمات... وكل واحد من هؤلاء الأشخاص لديه تأثير كبير على شخصية الولد. فالمعلمة التي لا تلتفت إلا نادراً لرسماته الجميلة، أو الولد الذي يدفعه في الملعب ويوقعه على الأرض صارخاً: «إذهب! لا أريد أن ألعب معك»، قد يسببون الكثير من الانزعاج عند هذا الطفل الذي اعتاد في السابق على أن يكون كل شيء جميلاً وشبه كامل في حياته. وهكذا تحدث الصدمة الأولى في حياته. لهذا السبب نرى أن هناك دوراً كبيراً يستطيع الأهل لعبه لمساعدة الطفل على تخطي هذه الصدمة، والصدمة اللاحقة، في حياته اليومية.



## إرشادات للتعامل مع الطفل بين العام الثالث والعام الخامس

- الاستمرار في تشجيع الاستقلالية عند الولد، ومكافأته على كل الأعمال التي ينجزها بمفرده، وتوفير الظروف الجديدة له لكي يختبرها.
- تشجيعه على التعبير عن خيبته من بعض الأمور مثل الفشل، لكي لا تتراكم هذه الخبرات في داخله، فتراكمها قد يساهم في تفاقم القلق عنده.
- الالتفات دائماً للجوانب القوية الإيجابية عنده بدلاً من انتقاد نقاط ضعفه وإبرازها، ودعم مواهبه المميّزة.
- عدم تصنيف الولد أمامه ولا أمام الناس («إنه خجول»)، فهذا من شأنه تعزيز الخجل عنده وازدياد إدراكه لحالته، مما يخفّض ثقته بنفسه.
- توفير الظروف الملائمة للتلاقي مع أولاد آخرين، وتدريبه من خلال اللعب وقراءة القصص على تنمية مهارات اجتماعية إيجابية تساعده على بناء علاقات خارج إطار العائلة.
- على الأهل أن يعدّلوا توقعاتهم بالنسبة لسلوك ابنهم الاجتماعي حسب قدرات الولد وشخصيته. هل تتوقع الأم، مثلاً، أن يدخل ابنها قاعة الاحتفال بعيد ميلاد أحد رفاقه بكل عزم وثقة ويشارك بالمشاركة في الألعاب دون أي تردد؟ هذه هي صورة الولد المثالي الذي تحلم به كل أم، وعندما يفشل الولد في تحقيق هذا الحلم لأمه تشعر بخيبة أمل، والولد يستطيع أن يلمس هذه الخيبة عند أمه، مما يثير قلقه ويجعله يتساءل إذا كان سيفقد حبّها من جرّاء سلوكه الاجتماعي الضعيف، ولعل هذا القلق هو الذي يدمر الثقة بالنفس عند الولد الصغير.
- بعض الأهل لديهم توقعات منخفضة بالنسبة لولدهم، فمثلاً، هل تجعلين الولد يتجنّب الظروف الاجتماعية لأنك تعرفين مسبقاً أنه لن يندمج فيها؟ وهل تسهلين هذا التهرب عنده مع التبرير بأنك تحبينه كثيراً ولا تريدينه أن يتعذب؟

## النشاط المفرط والنقص في الانتباه

# 2



أولاً ماذا نعرف عن فرط النشاط والنقص في الإنتباه؟  
 إذا سألت عشرة أختصاصيين مختلفين في علم النفس والطب النفسي وعلم التربية، ما هو النشاط المفرط والنقص في الانتباه (Attention Deficit Hyperactivity Disorder - (ADHD) سوف تحصل على عشرة أجوبة مختلفة! وهناك سببان مقنعان لذلك، أولهما أننا حتى اليوم، لا نعرف ما هي أسباب هذا العارض بالرغم من تعدد النظريات في هذا المجال (علماً بأن معظم

الدراسات تشير إلى اختلاف في التكوين الكيميائي للدماغ مما يجعل عملية الانتباه عند الولد صعبة وعملية ضبط الانفعالات أصعب)، وثانيهما هو أنه لا يوجد حتى الآن، أداة دقيقة وثابتة لاختبار مخصص لهذا العارض، فالتشخيص يركز على مراقبة تصرفات الولد وجمع المعلومات حول سلوكه، وكلها معطيات قد تختلف من مراقب إلى آخر ومن ظرف مراقبة إلى آخر!

لكن بالتأكيد نعلم اليوم أن الولد يلد مع (ADHD)، وإذا لم تظهر عليه علامات العارض عند بلوغه عمر السبع سنوات فهو لا يعاني منه. نعلم أيضاً أن واحداً من كل 25 طفلاً في المرحلة الابتدائية يعاني من الـ (ADHD)، وأن هناك نسبة أعلى عند الذكور. كذلك نعلم أن ما يقارب الـ 40% من هؤلاء الأولاد يعانون أيضاً من إعاقة تعليمية (صعوبة في الكتابة أو القراءة أو في العمليات الحسابية) وإعاقة اجتماعية (صعوبة في التكيف مع الآخرين وفي إقامة علاقات اجتماعية سليمة نتيجة سرعة انفعالهم وعدم نضوجهم العاطفي).

### ثانياً - الخصائص العامة للنشاط المفرط والنقص في الانتباه

- حماس مفرغ، وعفوية مبالغة في التصرفات التي تبدو اجمالاً غير ناضجة بالنسبة لعمره.
- سهولة الاتصال بالآخرين، حتى الأشخاص غير المألوفين.
- حب المغامرة والمخاطرة (لا يخشى المجهول).
- مزاجية متقلبة، ناتجة عن سرعة انفعاله حيال الظروف المحيطة.
- عشوائية الحركات (غالباً ما يقع أو يوقع الأشياء حوله، ولا يدرك حدود جسده، ولا يملك التحديد المكاني الملائم لشخصه)، وتشتت الانتباه (عدم التركيز، وعدم القدرة على تنظيم الأمور حوله، والالتهاؤ السريع بالمتغيرات حوله، وإعارة الانتباه المبالغ فيه لعدد كبير من الأشياء بنفس الوقت).
- سرعة الانفعال (يتكلم من دون أن يفكر بما يقوله، ويتصرف بشكل تلقائي قد يؤدي به نفسه أو الآخرين، ودون حساب لتصرفاته).
- أنوية التفكير: يتوقع أن يكون محور اهتمام الجميع ويتصرف بشكل يثير انتباه المحيط.
- الاتكالية على الآخرين: إذ إنه يكتشف أنه من خلال سلوكه الطفولي يحصل على المزيد من انتباه المحيط.

أما في المدرسة، فنلاحظ الخصائص التالية:

- إنجاز مدرسي غير مستقر (تأرجح بين العلامات المتفوقة والعلامات المتدنية).
- نقص في مدى الانتباه وعدم التركيز.
- بطيء في عمله، ولا ينهي واجباته ولا يهتم بنوعية عمله.
- طاولته دائماً غير مرتبة.
- يفقد غالباً أشياء في المدرسة أو ينسى أشياء في البيت .
- لا يعرف كيف ينظم وقت الدراسة (لا يملك المهارات اللازمة لتنظيم وتصميم وقته لإنهاء واجباته وفروضه). ولا يعرف كيف ينظم الوقت الحر: إذا أعطيته خيارات عديدة، يشعر بالضياح.
- في معظم الأحيان ، نلاحظ رداءة الخط (مزج الأحرف الكبيرة بالأحرف الصغيرة، وعدم التقيد بالهوامش والأسطر، واستعمال المحاة باستمرار، وبطء في الكتابة، والتعب بسرعة عند الكتابة).

### ثالثاً - أسباب النشاط المفرط والنقص في الانتباه

كما تعريف الـ (ADHD) أمر صعب جداً (لذلك يفضل الاختصاصيون وصفه بدلاً من تعريفه)، كذلك فإن تحديد الأسباب المباشرة له أمر أصعب. هذا ولقد رأى العلماء أن هناك عوامل كثيرة قد تكون مسؤولة عن هذا العارض، أهمها:

خلال فترة الحمل: سوء التغذية عند الأم، النزيف خلال الحمل، التسمم، الأمراض المعدية، تعاطي الكحول أو المخدرات.

خلال عملية الولادة: النقص بالأوكسجين عند المولود، الولادات الخدج، الضغط على الدماغ من جراء عملية سحب الجنين.

### رابعاً - التعامل مع الطفل

هناك مجموعة من العلامات التي تبرز في تصرفات الولد في عمر مبكر قد تساعد الأم في المنزل أو المعلمة في الحضانة على الكشف المبكر للعارض، وبالتالي تحثها على التدخل أو استشارة الاختصاصيين للحد من تفاقم العارض، وهذه العلامات تتلخص كالتالي: الانتهاء وعدم التركيز، النشاط المفرط، سرعة الانفعال، عدم الانتظام، ضعف في نوعية النطق، الثرثرة، عدم النضوج الاجتماعي والإرباك الحركي.

- للتعامل الفعال مع هذا الطفل، يجب أخذ بعض الأمور الأساسية بعين الاعتبار:
- 1 - الاعتماد على وسائل ملموسة ومادية وحسية لتوصيل المعلومات له .
  - 2 - خلال عملية التعليم، يجب توفير الحوافز الفورية وعدم التأجيل في تنفيذ الوعود.
  - 3 - اعتماد محيط واحد للتعليم (غرفة معينة في المنزل، وطاولة واحدة للدرس). وذلك لخلق شعور بالأمان عنده وربط هذا الشعور بعملية الدرس .
  - 4 - التأكد من عدم تواجد مثيرات خارجية في هذا المحيط (عدم تشغيل التلفزيون أو الراديو خلال الدرس، وعدم السماح للإخوة أن يلعبوا في نفس الغرفة).
  - 5 - عدم انتقاده عندما يقوم بأخطاء (فالخطأ بالنسبة له يعني الفشل)، بل تجاهل الأخطاء وحثه بالتشجيع والدعم الكلامي على المثابرة للنجاح، واستعمال وسيلة «التصحيح الذاتي» ليدرك أخطاءه.
  - 6 - استخدام ساعة المنبه خلال حصة الدرس ليدرك مفهوم الزمن بشكل ملموس ولحثه على تنظيم وقته بشكل فعال (مثلاً: إنهاء درس التاريخ أولاً، نسخ القراءة ثانياً، مراجعة المحفوظات ثالثاً، رسم الخريطة لدرس الجغرافيا رابعاً، الخ...). إن إشراف الأم أو أي شخص مسؤول ضروري في المرحلة الأولى لمساعدة الولد على هذا التنظيم، ويمكن تقليص هذا الإشراف تدريجياً على أن يعتاد الولد على العمل المستقل.
  - 7 - تنظيم حياته اليومية باعتماد روتين مريح وواضح يساعد على الحد من التصرفات العشوائية دون أية قيمة وظيفية، ويوجّه نشاطه المفرط ضمن قنوات سلوكية منضبطة.
  - 8 - مساعدته على الوصول الى استقلالية أكبر في حياته، فالاستقلالية تساعده على ضبط حركاته بتسلسل: ارتداء الملابس، يجب اتباع سلسلة معينة من الحركات التي تؤدي الى النتيجة النهائية. من خلال تدريبنا له على الاعتماد على نفسه في مهارات الحياة اليومية، يتعلم الطفل أن لكل حركة يقوم بها وظيفة معينة، فيدرك تدريجياً أهمية ضبط الحركة العشوائية واستبدالها بالحركة الملائمة التي تقع ضمن تسلسل زمني منطقي يتدرج نحو هدف معين.
  - 9 - غالباً ما يعاني هذا الطفل من صعوبة في إدراك الاتجاهات (وراء - أمام - تحت - فوق - يمين - يسار...)، لذلك فمن الضروري إخضاعه لبرنامج مكثف





من التمارين النفسية - الحركية على يد اختصاصي في المجال واستشارة معلماته في هذا الموضوع وحثهن للتركيز على نقاط الضعف عند الولد لتطوير صورة جسدية سليمة عنده، إذ إن هذه الصورة وهذا التحديد المكاني السليم هما الركائز الأساسية التي تمهد لتعلم القراءة والكتابة لاحقاً.

10 - تأمين التواصل المستمر بين المدرسة والبيت على شكل إقامة مراسلة يومية حول إنجازات الطفل الإيجابية داخل الصف وفي البيت لكي يشعر بالمتابعة الوثيقة بين المعلمة وأهله من ناحية الحفز والتشجيع.

11 - التأكد من استخدام أسلوب موحد للتعامل معه في المدرسة، أي أنه يجب على جميع المعلمات المشرفات على الولد أن يدركن حالته ويتعاملن معه بنفس الطريقة.

12 - مساعدة الولد على بناء علاقات سليمة مع الرفاق في الصف.

13 - إعطاء المسؤوليات للولد داخل الصف، وكذلك في البيت.

14 - التأكد من أن مقعد الولد في الصف موجود في موقع خال من المثيرات الخارجية التي قد تلهيه عن التركيز، ومن المفضل إجلاسه قريباً من المعلمة.

## التوعية الجنسية



الهاجس الأكبر عند الأهل فيما يتعلق بتربية أولادهم يتلخّص بالأسئلة التالية: ماذا يجب أن نقول للأولاد بالنسبة للأمور الجنسية وما لا يجب أن نقول؟... ومتى يجب أن نتحدّث معهم عن هذه الأمور؟ وكيف نرشد أولادنا إلى السلوك الجنسي الصحيح دون الخوض في مواضيع محرّجة لهم ولنا على السواء؟ ما هو الأسلوب الصحيح للتحديث عن هذه الأمور؟ ما هي الحدود التي لا يتوجب تخطيها؟...

تبرز الفضولية الجنسية عند الأطفال بين العام الثاني والعام الخامس، فالأولاد في هذا العمر يريدون أن يعرفوا كل شيء وسبب كل شيء، فإذا شاهدوا شخصاً معاقاً، يريدون معرفة ماذا حصل لهذا الشخص ثم يضعون أنفسهم مكانه ويتساءلون بقلق إذا كانوا سيصابون بهذه الإعاقة...

وفي هذا العمر أيضاً، تبرز المخاوف من الفروقات بين الجنسين، فعندما يرى ابن الثلاث سنوات أخته عارية يتعجب لعدم وجود عضو لديها مثله، فيسأل عنه، وإذا لم يحصل على إجابة مقنعة، قد يعتقد أن أذى ما قد أصابها، ويلي ذلك الفكرة المقلقة: «نفس الشيء قد

يحصل لي!». هذه المخاوف عند الذكور والإناث قد تأخذ أشكالاً عديدة، وفيما يلي بعض الأمثلة:

- صبي في الثالثة من عمره، عندما رأى أخته الصغيرة تستحم، قال لأمه «واو»، فلم تفهم أمه لماذا قال هذه العبارة. بعد ذلك، بدأ الطفل يلمس عضوه باستمرار لدرجة أن الأم قلقت عليه واعتقدت أن هذا بدء لعادة سيئة، وأخذت تعاقبه كلما لمس عضوه.

- بنت في الثالثة والنصف من العمر، عندما لاحظت الفرق بينها وبين إختوتها الصبيان، أخذت تحاول نزع ملابس كل الأولاد في الحضانة لتكشف على تكوينهم. هذا السلوك أثار انزعاج المعلمات، إذ إنها كانت تقوم به علناً من دون أي حياء، وأخذ الجميع يلومون الأم على هذا السلوك غير الأخلاقي عند ابنتها... الحقيقة هي أن هذه الطفلة كانت مذعورة بعد اكتشافها للفرق في التكوين بين الذكور والإناث، وكانت تعتقد أن أذى شديداً حلَّ بها، وأخذت تلمس نفسها باستمرار، في الحضانة كما في البيت، وكانت تعاقب لهذا السلوك من قبل المعلمات والوالدين من دون أن يحاول أحد فهم أبعاد هذا السلوك...

- صبي في الثالثة والنصف من عمره، عندما رأى شقيقته الصغرى عارية، أصبح قلقاً جداً، وصار يبدي قلقه حيال أي شيء مكسور، ويسأل متوتراً ومنزعجاً، عن كل شيء مكسور، حتى الأشياء التي كسرها هو!

نلمس من خلال هذه الأمثلة مدى أهمية التوعية الجنسية لتوضيح بعض الأمور الأساسية للأولاد لتفادي ظهور بعض السلوكيات المحرجة عندهم، وتفاقم مشاعر الخوف والقلق الناجمة من عدم تفهمهم لهذه الأمور.

### أولاً - تطور الإدراك الجنسي عند الأولاد

عند الشهر السادس، يكتشف المولود أعضاء التناسلية، وهذا الاكتشاف يقع ضمن الاكتشافات الحسية الحركية العديدة التي تتم خلال هذه المرحلة، مثلما يكتشف يده أو قدمه أو إصبعه...

في عمر سنتين، يصبح لمس العضو نشاطاً بحد ذاته، ويزداد هذا السلوك خلال الاستحمام أو ارتداء الملابس. ويبقى هذا السلوك إجمالاً حتى الأربع سنوات حيث يبدأ بالاختفاء تدريجياً.

في عمر الخمس سنوات، يعود هذا السلوك بحدّة، ونلاحظ عند الطفل في هذا

العمر اهتماماً كبيراً بجسده وبجسد الآخرين، خاصة أمه، فيعانقها بشدة، ويلتصق بها بقوة، ويلمس جسدها باستمرار حتى أنه يريد أن يلمس الأعضاء المخفية تحت الملابس، ويمارحها كثيراً من خلال مداعبات جسدية متنوعة. كذلك في هذا العمر، يستمتع كثيراً بلعب دور الطبيب من خلال لعبه مع الأولاد الآخرين. وتبرز بعض السلوكيات التي توحى بالسلوك الجنسي، عند بعض الأولاد، مثل بعض الحركات المتكررة حيث يلقي الطفل نفسه على السرير ويقوم بحركات إيقاعية بساقيه، أو يضع يده تحت بطنه ويتمايل على السرير بتكرار بعض الحركات...

ابتداءً من عمر الست سنوات حتى ابتداء فترة المراهقة، تخف كل هذه الاهتمامات الجنسية بشكل ملحوظ، إذ إن الولد يدخل هنا في مرحلة «هادئة» حيث يبدو وكأنه يتحكم بغريزته الجنسية، وهذا أمر طبيعي إذ إن الطفل في هذا العمر يفهم بكل وضوح الفرق بين السلوك الصحيح والسلوك الخاطيء، وكل المعاني الأخلاقية المتعلقة بالسلوك المقبول اجتماعياً. كذلك في هذه المرحلة أيضاً، يصبح عند الأولاد اهتمامات أخرى عديدة (اهتمامات مدرسية، صداقات مهمة، نشاطات رياضية متنوعة...)، كما نلاحظ أيضاً انفصلاً اجتماعياً بين الصبيان والبنات، فالصبيان يفضلون اللعب مع الصبيان، والبنات مع البنات، وكأن هناك كراهية للجنس الآخر...

## ثانياً - كيف نتصرف حيال سلوك الطفل الجنسي؟

في السنة الأولى، لا يجوز ضرب الولد عندما يلمس عضوه، هذا يجعله أكثر عزمًا على متابعة التصرف. ومن الأفضل أن نلهمه بأي نشاط آخر فور حدوث هذا السلوك.

بين العام الثاني والعام الثالث، يجب على الأهل أن يفهموا أن السلوك الاستكشافي الجنسي عند ولدهم أمر طبيعي، وأن لمس العضو الجنسي عنده هو فقط تعبير عن خوف معين ينبع من مزيج من القلق والغموض اللذين يرافقان إجمالاً اكتشاف الفروقات الجنسية. لا يجب أن نقول للولد: «سوف تجرح نفسك!» لأن ذلك سوف يؤكد مخاوفه. كذلك، لا يجب أن نزعجه («هذا عمل شرير، لا تقم به!»)، أو أن نهذبه («إذا فعلت هذا، لن أحبك بعد الآن!»)، لأن هذا الأسلوب من شأنه تطوير مخاوف من نوع آخر! وإذا طرح الولد أسئلة حول الفرق بين الجنسين، لا يجب تأنيبه («عيب! لا يجب أن تسأل هكذا أسئلة!!») أو أن ترفض الإجابة عن أسئلته، فهذا يولد عند الطفل شعوراً بأنه يتداول بمواضيع خطيرة، مما يزيد القلق عنده وبنفس الوقت

الفضولية حيال هذه الأمور. كذلك، لا يجوز أن نلقي المحاضرات المهيبة بشكل رسمي وكأننا نلقنه درساً مهماً جداً.

كل ما علينا القيام به هو فقط أن نفسر للولد أن «النساء هكذا والرجال هكذا»، وإعطاء أمثله حياة من أشخاص يعرفهم الولد ويحبهم، من دون أي تفسيرات معمقة حول التفاصيل البيولوجية. يجب إعطاء هذا التفسير فور انتباهنا أن الطفل بالفعل مذعور من اكتشافه هذا. كما لا يجب أن ندخل في ذهن الولد أن لمس الأعضاء أمر شرير وأنه سوف يمرض، أو يصبح مجنوناً أو ضريراً، كما كان أجدادنا يعتقدون... فإنه من الخطأ أن نزرع مخاوف عميقة في ذهن الأولاد، لأن ذلك قد يؤثر سلبياً على تطورهم الجنسي لاحقاً.

### ثالثاً - «من أين أتيت؟»

يجب أن نتذكر أن التوعية الجنسية تبدأ في البيت، فابتداءً من عمر الثلاث سنوات، يطرح الولد هذا السؤال لأمه: «من أين أتيت؟».



الفضولية الجنسية تزداد بين العامين والأربعة أعوام وتكثر الأسئلة عند الأولاد.

ننصح الأهل بأن يكون جوابهم صريحاً، وبسيطاً، ومتلائماً مع بساطة السؤال! مثلاً: «يكون في بطن الأم ويكبر فيه»، ولا داعي أن نعطي تفاصيل أكثر من ذلك. بعد شهرين، ربما يريد الطفل أن يعرف المزيد، وقد يعتقد أحياناً أن الولد يأتي من الفم! يريد أن يعرف كيف دخل إلى بطن الأم وكيف خرج... إن الجواب التالي قد يكون مقنعاً: «هناك بزررة صغيرة موجودة داخل بطن الأم، وهناك وقت تكبر البزررة فيه».

لا داعي في هذا العمر أن نوضح للولد دور الأب في هذه العملية، أو دور العاطفة بين الأبوين، أو دور الجنس... هذا أكثر بكثير مما يطلبه الولد في هذا العمر! للسؤال «من أين يخرج؟»، نرى أنه من الضروري أن نوضح له أن «الولد عندما يصبح كبيراً في بطن الماما، هناك شق يفتح عند الماما ويخرج منه الولد». لا داعي لتحديد موقع هذا الشق أو الدخول في تفاصيل تشريحية علمية، كما أنه يجب أن نوضح للطفل أن الولد لا يأتي من مكان البول...

هذا وإن اللجوء للخرافات أسلوب خاطيء جداً («ذهبنا إلى المستشفى واشترينا طفلاً»، أو «البابا ذهب إلى المتجر وجلب لنا هدية»، أو «كان الولد مخبأ في الملفوفة في حديقة الجيران!»). إن الولد الذي يرى أمه حاملاً لديه شيء من الحقيقة، فعندما نروي له حكاية الملفوفة أو الهدية من المتجر، نكون قد كذبنا عليه، وسوف يعلم الحقيقة لاحقاً ويلومك على ذلك! إن الجواب البسيط والصريح يطمئن الطفل، علماً أنه في معظم الأحيان، حتى ولو قلنا الحقيقة له، تبقى القصص والخرافات تختلط في ذهنه، وهذا أمر طبيعي، إذ إن الولد في عمر الثلاث أو أربع سنوات يتحلى بخيال واسع، ويتأثر بشدة بالعديد من الأشياء التي يشاهدها أو يسمعاها من أفلام على التلفزيون أو قصص جدته... وهو ليس كالإنسان الراشد الذي يبحث عن الجواب الوحيد متخلياً عن الاحتمالات الأخرى، بل يبقى لمدة طويلة يتأرجح بين الواقع والخيال حتى تتركز في ذهنه أخيراً الفكرة الصحيحة، وهذا نتيجة نضوجه الفكري.

#### رابعاً - التربية الجنسية والمراهقون

ابتداءً من عمر العشر سنوات، يجب على الأم أن تحضر ابنتها للتغيرات البيولوجية التي سوف يشهدها جسدها في السنوات المقبلة (ازدياد حجم الصدر، ظهور الشعر في مناطق معينة من الجسد، وكذلك حصول العادة الشهرية). ومن الأفضل أن تتكلم الأم مع ابنتها عن هذه الأمور ببساطة ووضوح وصراحة، وأن تتعد كل البعد عن



قرن هذه الأمور بمعانٍ مخيفة («سوف تتألمين»، «هناك دم كثير سوف يوسخ ملابسك»، «يجب أن تنتبهي من الصبيان وتتجنبهم»...).

لا نحبذ أبداً أن تقوم الأم بتفسير الأمور الجنسية لابنها، فإن ذلك من مسؤوليات الأب، وعلى الأب أن يقوم بهذا الدور تجاه ابنه بكل صراحة وبساطة.

يجب مناقشة السلوك الجنسي السليم من وقت إلى آخر مع الأولاد في مرحلة المراهقة ضمن جلسات عائلية حميمة، مثلاً بعد مشاهدة فيلم معين قد يثير العديد من الأسئلة عند الأولاد، أو بعد سماع خبر حول حادثة معينة أثارت القلق والفضولية عندهم.

يجب اعتماد أسلوب ديمقراطي في الحوار مع الأولاد المراهقين، فإن المحاضرات المليئة بالمواعظ الأخلاقية تبعد الأولاد عن أهلهم، لذلك ننصح دائماً بترك باب التواصل مفتوحاً، وذلك منذ الصغر، فإذا اعتاد الطفل الصغير على التواصل الصريح مع أهله، حيث تؤخذ آراؤه بعين الاعتبار وتحترم مواقفه من مواضيع معينة، قد يستمر هذا التواصل خلال المراهقة ويفتح المجال أمام الولد للتعبير عن مخاوفه وعواطفه ومشاكله مع أهله بغية الوصول معاً إلى تفاهم أكبر قد يساهم في مساعدة المراهق على تخطي الأزمات العديدة التي قد يمر بها خلال هذه المرحلة الدقيقة من التطور.

## اضطرابات النوم عند الأولاد

## 4



إن نمط النوم عند الأولاد يختلف من عمر إلى عمر، فابن السنتين ينام حوالي الثلاث عشرة ساعة باليوم (بما فيه قيلولة النهار) بينما ينام ابن الست سنوات لفترة لا تتجاوز العشر ساعات من دون قيلولة. طبعاً فإن العدد الأقل من ساعات النوم له تأثير عملي على حياة الأم التي قد تستغل نوم طفلها لتنتهي بعض الأعمال المنزلية أو للمطالعة أو حتى لتناول فنجان قهوة بهدوء! هذا وإن العديد من الأطفال



يعانون من بعض المشاكل فيما يتعلق بالنوم، وأهمها رفض الولد للنوم، والكوابيس المزعجة، وحتى التبول اللاإرادي ليلاً.

## أولاً - رفض النوم عند الأولاد

تكثر متطلبات الطفل عند النوم بين الأربع والخمس سنوات: يريد أن يذهب إلى الحمام، يريد ضوءاً في الغرفة، يريد كوباً من الماء، يريد كتاباً للقراءة، يريد أن يسهر مع أهله قليلاً..... وكلها استراتيجيات يستعملها الطفل لتأجيل وقت النوم.

إن أسباب هذه التصرفات متنوعة وكثيرة: منها أن الولد في هذا العمر لا يشعر بالنعاس في الوقت المحدد للنوم (مثل ابن السنتين)، أو أنه أصبح الآن أكثر إدراكاً لكونه منفرداً في الغرفة فيشعر ببعض القلق، خاصة أنه في هذا العمر أصبح قادراً على تخيل العديد من الظروف المرعبة (الوحش خلف النافذة، واللس تحت الفراش، والرجل الأسود في الخزانة!) والعديد من الأطفال يكافحون هذه المخاوف بأنفسهم باستعمال «مسكنات» خاصة بهم (مثل مص الإصبع، أو التمسك بلعبة معينة طوال الليل).

من الأسباب المهمة أيضاً لمقاومة النوم عند الأولاد تلك التي تتعلق بخصائص النمو لهذه المرحلة من عمر الطفل، ففي هذا العمر، يصبح الولد قادراً على التعبير عن احتياجاته ومشاعره بسهولة، كما أنه ينهمك في تثبيت وجوده ككيان مستقل، مما يجعله يرفض القوانين المفروضة عليه من قبل أهله، ومنها طبعاً قوانين النوم. قد تستمر هذه التصرفات لساعة أو أكثر، وتكرر كل ليلة عند وقت النوم. وهذا يعود إلي كون الأهل غير قادرين على وضع حدود لها والمحافظة عليها عند وقت النوم: يقاوم فكرة النوم، ويحاول الأهل إجباره بالقوة على النوم، ثم يستسلمون له عندما تزداد مقاومته، مما يفاقم الأمر من سيء إلى أسوأ.

في حالات أخرى، نلاحظ أنه لا يوجد أصلاً قوانين ثابتة لتحديد وقت النوم عند الأولاد، فلا إشراف ولا نظام ولا مرجعية في الحياة المنزلية، وكل يذهب إلى النوم متى يشاء...

وأخيراً قد تكون مقاومة النوم عند الولد مرتبطة بتغيير مهم حاصل في حياته: مرض أو حادث في العائلة، أو تغيير المنزل، أو تغيير في نمط حياة الأهل الاعتيادي. كل هذه الأمور تولد حالة قلق متزايدة عند الطفل وتجعل خبرة الانفصال عن الأهل عند وقت النوم أصعب عليه مما يجعله يقاومها بشدة.

## إرشادات عملية للوقاية ضد رفض النوم عند الأولاد

- أخذ الولد الى السرير في نفس الوقت كل ليلة.
- اتباع نفس النظام كل ليلة: الاستحمام وتنظيف الأسنان، وارتداء البيجاما، وقراءة القصة، والتقبيل والحنن، وإطفاء الضوء أو تخفيفه إذا كان الطفل يخاف من الظلمة.
- جعل الولد يرتدي لباساً خاصاً للنوم، وعدم السماح له أن ينام بثياب النهار أو بالملابس الداخلية فقط.
- قراءة قصة له كل ليلة (من الأفضل تخصيص مجموعة قصص للقراءة فقط بالليل وعدم مطالعتها خلال النهار).
- بعض الأهل يضعون الموسيقى الناعمة للطفل قبل مغادرتهم الغرفة وعند إطفاء الضوء.
- التأكد من أن «المسكن» موجود قريباً من الطفل إذا ما طلبه (اللعبة، الدبوبي، أو أي شيء آخر) مع العلم بأن العديد من الأطفال لا يحتاجون لمثل هذه الأشياء.
- ترديد نفس الكلمات كل ليلة لتوديع الطفل للنوم (مع التركيز على قدر حبكم له).

## ثانياً - الكوابيس والأحلام المزعجة

وهي شائعة جداً عند الأولاد من كلا الجنسين بين الأربع والخمس سنوات، وتخف ابتداءً من عمر الثماني سنوات، وهي تحصل إجمالاً في النصف الثاني من الليل، أي في الصباح المبكر. هذا ويستيقظ الطفل مرعوباً، باكياً، وينادي أهله بالصراخ. على الأهل أن يستجيبوا فوراً لمناداة الطفل وطمأنته واحتضانه ليشعر بالراحة والأمان، ويفهم أن هذا كابوساً وليس حقيقياً.

يجب على الأهل أن يدركوا أن الكوابيس تحصل بشكل طبيعي عند كل الأولاد، ولا تعني أن هناك مشكلة عاطفية أو نفسية عند الطفل. أما إذا تكررت هذه الأحلام المزعجة بشكل يومي أو أكثر من ثلاثة مرات بالأسبوع لفترة تتجاوز الشهر، فعلى الأهل أن يبحثوا عن السبب لهم يجدون أن هناك ضغطاً شديداً على حياة الطفل اليومية، أو تغييراً مفاجئاً في حياته قد يتطلب طاقة كبيرة للتكيف والطفل غير قادر على ذلك. كما نذكر أخيراً بأن الإرهاق الجسدي عند الطفل خلال النهار قد يؤدي إلى مثل هذه الكوابيس ليلاً.

## ثالثاً - التبول اللاإرادي

يجب على الأهل أن يدركوا أنه إذا نظف الولد كلياً في عمر السنتين أو الثلاث سنوات، لا بد من أن يعود و يتبلل في الليل من وقت إلى آخر، والدراسات تشير إلى أن ربع الأطفال في عمر الأربع سنوات يتبولون أحياناً في الليل، وهذه النسبة تخف تدريجياً حتى عمر السبع سنوات.

معظم أطباء الأطفال لا ينظرون إلى التبول الليلي وكأنه مشكلة حتى إذا استمر ما بعد الست سنوات حيث يعتقدون أنه يصبح مشكلة فقط لأنه يسبب انزعاجاً اجتماعياً لدى الطفل وأسرته، وكل الأولاد الذين عانوا من التبول اللاإرادي شفوا من دون أي تدخل طبي.

إن التبول اللاإرادي شائع أكثر عند الذكور، ويبدو أنه وراثي. وأحد أسبابه هو الحجم الصغير للمثانة. وسبب آخر هو هرموني، حيث أن الهرمون المسؤول عن ضبط عملية التبول لا يفرز بالكمية المطلوبة ليلاً. وهكذا يشعر الولد بالحاجة للتبول مراراً خلال الليل كما في النهار. إن نمط الفرز لهذا الهرمون سوف يتعدل في نهاية الأمر عند الولد ليصبح مثل نمط الفرز عند الولد الطبيعي، إنما عملية التعديل هذه تكون أبطأ عنده، لذلك قد تستمر المشكلة لسنوات عديدة قبل الانتهاء منها كلياً.

في كل الأحوال، ننصح الأهل باستشارة طبيب الأطفال بخصوص التبول الليلي، وذلك للتأكد من عدم وجود التهاب بالمثانة، أو حساسية لطعام معين، أو حتى داء السكري. في غياب كل هذه العوامل، يبقى على الأهل أن يصبروا حتى اكتمال نمو الطفل بشكل طبيعي، وعدم الضغط على الولد أو حثه للبقاء جافاً طوال الليل (لا عقاب، لا تأنيب، لا تهديد)، بل مكافأته ليالي التي لا يبول فيها، ومساعدته بعدم السماح له أن يستهلك السوائل لساعات عديدة قبل وقت النوم. كما نذكر بأهمية الحرص على عدم التحدث عن التبول اللاإرادي عند الولد كمشكلة عائلية وتضخيمها أمام الولد وأخوته. فالإخوة، لسوء الحظ، قد يساهمون في تفاقم المشكلة من خلال ملاحظاتهم الساخرة تجاه أخيهم وانتقاداتهم اللاذنة، أو حتى تهديداتهم له في لحظات المشاجرة بين الأخوة («سوف أقول لأصحابك غداً في المدرسة أنك تتبول في الليل!»).

## ماذا عن التوأم؟

# 5



معظم الأهالي يقلقون عندما يعلمون أنهم ينتظرون توأماً، وبالفعل فإن قلقهم مبرر، إذ إن التوأم يتطلبان مجهوداً مضاعفاً من قبل الأم والأب معاً. لكن معظم أهالي التوائم يؤكدون مع مرور الأسابيع الأولى بعد الولادة ومع توطيد برنامج حياتي يؤمن احتياجات الجميع ضمن الأسرة، أن خبرة التوأم هي من أجمل الخبرات الحياتية للأم كما للأب، وأنها تفوق بإيجابياتها كل التعب والإرهاق المقرون بها...

### أولاً - عالم مزدوج

لا نستطيع أن نفهم أو نحلل تصرفات وتطور التوأم إلا من خلال منظار مزدوج: فنحن أمام ولدين يكتشفان العالم الخارجي سوياً، وهما معاً في كل الظروف: على مائدة الطعام، وفي الحمام، وفي النزهة؛ وهما معاً في نطق الكلمات الأولى، وفي الخطوات الأولى، وفي ابتسامتهما الأولى لوالدتهما!

إن هذه الازدواجية تجعل الولدان متكافلين بشكل حاد، إذ إننا

نلاحظ أنه عندما ننادي أحدهما، يهرول الإثنان إلينا معاً، أو في بعض الأحيان، يخترعان اسماً رمزياً مشتركاً بينهما لينادي أحدهما الآخر به. إن هذه الازدواجية قد تكون هي السبب وراء التأخر النسبي الذي نلمسه عند التوأم في اكتساب الهوية الشخصية، أو «الأنا»، إذ أنهما يعيشان في عالم «النحن» لمدة طويلة قبل أن يستوعبا فرديتهما. وفي الإطار نفسه، نلاحظ أنه، بينما يستطيع ابن الثلاث سنوات أن يتعرف إلى صورته أمام المرآة، يجد التوأم صعوبة في تمييز أحدهما عن الآخر، وكذلك في الصور الفوتوغرافية. إضافة إلى ذلك، نلاحظ في بعض الأحيان، أن التوأم يبتكران لغة سرية بينهما (ما يسميه الخبراء «الكريبتوفازيا»)، وهي غير مفهومة من الآخرين، وقد يحافظان على بعض كلماتها حتى في سن الرشد. إن هذه اللغة السرية غالباً ما تطلق والدي التوأم إذ أنها تؤكد مدى انغلاق التوأم عن العالم الخارجي: فمن خلال لغتهما هذه، يبدو وكأنهما مكتفيان معاً إلى أكمل وجه، ومتكاملان إلى أقصى حد، فلا يبديان أي مجهود للتواصل مع محيطهما... وكلنا نعلم مدى أهمية هذا التواصل في عملية اكتساب النطق عند الأولاد! وقد يؤدي ذلك إلى تأخر في هذا المجال، وبالفعل، غالباً ما نلاحظ أن التوأم يتأخران في اكتساب النطق مقارنة بأقرانها غير التوأم.

### ثانياً - الشخصيتان

يلاحظ الجميع اختلاف الشخصيتين عند التوأم، وذلك حتى منذ الولادة، فالعديد من أهالي التوأم يؤكدون هذا الاختلاف بالملاحظات التالية: «كان سامي شديد البكاء منذ الأيام الأولى، بينما كان فادي هانئاً وهادئاً، ونادراً ما نسمع صوته!» أو «سواء عنيدة وسريعة الانفعال منذ الصغر، عكس أختها تماماً، فندي سهلة المزاج وعذبة المعشر...».

مختلفان نعم، لكن متضامنان إلى حد عميق جداً: يعيش التوأمان إجمالاً في عالم منغلق على ذاته، فهما يكتفيان أحدهما بالآخر ولا يحتاجان لأحد، حتى أنهما أحياناً يستغنيان عن وجود أمهما لدرجة أنها تشعر وكأنها غير مرغوبة منهما...

إن ميزة هذا التضامن هي قدرة التوأم على تنظيم الأمور بينهما بشكل دقيق جداً، فهما يتوزعان المسؤوليات فيما بينهما بمهارة مذهلة، ويستثمران مواهبهما الخاصة بشكل متكامل، فالأول مثلاً يتميز بقوة جسدية تجعله يميل إلى النشاطات الرياضية، بينما يتحلى الثاني بدرجة عالية من الفضول الفكري، مما يجعله يتفوق

على أقرانه بثقافته العامة وتطلعاته العلمية... يهتم الأول ببناء العلاقات مع المحيط الخارجي ويؤمن الصداقات والرفاق، بينما يهتم الثاني في ترتيب الأمور الداخلية للعلاقة، فهو الذي يرتب الألعاب في الغرفة ويتفقددها، وهو الذي يهتم بتقسيم أموال «الخرجية» فيما بينهما، وأيضاً هو الذي يخطط للنشاطات، بينما يتولى الآخر مسؤولية التنفيذ، وفي بعض الأحيان، وقد يصل هذا التضامن إلى درجة تقاسم العقاب!

### ثالثاً - صعوبة الانفصال

إن هذا التضامن التوأمي قد يبدو ظريفاً جداً عند الصغر، ولكن مع مرور الزمن، وخاصة عند مرحلة المراهقة، يثور التوأمان ضد هذه الازدواجية وهذا الانغلاق على العالم الخارجي، ويبحثان من تحرر أحدهما من الآخر، ويعتبر الخبراء أن هذه الانتفاضة علامة تطورية سليمة في حياة التوأم وإشارة إلى البحث عن هوية مستقلة.

إن عدم حصول هذه الانتفاضة قد يسيء لمستقبل التوأم، فقد يجدان صعوبة في بناء صداقات وعلاقات خارج إطار علاقتهما، وقد يتألمان من أية محاولة انفصال بينهما، حتى أنه في بعض الأحيان يبدو الزواج مشروعاً مستحيلاً!

لذلك، نلاحظ اليوم أن طريقة التعامل مع الأولاد التوائم تختلف عما كانت عليه في الماضي، وكأن الأهل أدركوا أهمية التأكيد على فردية واستقلالية كلا من الولدين منذ الصغر، وذلك بغية التحضير لانفصال أحدهما عن الآخر، وتكوين هوية شخصية ومميزة لمواجهة الحياة بشكل فردي وليس من خلال أعين وأفعال وأقوال الآخر!

هذا ولا بد من أن نذكر ببعض الإرشادات للأهالي في هذا الإطار:

- منذ البدء، من الأفضل اختيار أسماء مختلفة جداً للولدين، عكس ما يجري في العادة، وننصح بالأخص بتجنب الأسماء ذات الإيقاع الشبيه جداً، مثل «فادي» و«شادي»، أو «جمال» و«كمال»، وكذلك الأسماء المقرونة ببعض الشخصيات البارزة في التاريخ الأدبي أو السياسي، مثل «طه» و«حسين»، أو «أحمد» و«شوقي»، أو حتى «هتلر» و«موسوليني»!!!
- من الأفضل مناداة التوأم بإسميهما لا «بالتوأم»، مثلما نلاحظ في معظم الأحيان.

- اختيار ملابس مختلفة لكل واحد منهما، مما يساعد على التمييز بينهما.
- لكل واحد ألعابه! منذ الصغر، علينا تشجيع وتعزيز خصوصية الولد، فلا داعي لشراء ألعاب متشابهة للاثنين، ومن الأفضل ترتيب الألعاب في موقعين مختلفين.
- تهيئة التوأم منذ الصغر لانفصال أحدهما عن الآخر، حيث يمضي أحدهما بعض الوقت عند جدته أو خالته ويبقى الآخر في المنزل مع والديه، على أن يبدل الوضع في المرة القادمة، مما يساعد أولاً في الاعتياد على فكرة الانفصال، وثانياً يسمح للوالدين أن يتمتعا بكل من التوأمين على حدة، كما أن ذلك مهم جداً لمساعدة الولد على التعبير الذاتي بعيداً عن أخيه أو أخته...
- على الأهل أن يساعدوا التوأم على بناء صداقات مختلفة، فوضع كل من الولدين في شعبة مختلفة في الصف يسهل عملية اختيار أصدقاء جدد.
- هناك وضع يجب تجنبه، وهو أن يتقاسم الوالدان المسؤوليات بشكل ثابت، فيهتم الأب بأحد الولدين على أن تهتم الأم بالآخر. إن مثل هذه الممارسة خاطئة لأن كل واحد من التوأمين بحاجة ماسة إلى كلا والديه!
- كلمة أخيرة حول تطور النطق عند التوأم: لقد ذكرنا سابقاً أن النطق قد يتأخر عندهما لأنهما لا يمضيان وقتاً وافراً في التواصل مع العالم الخارجي، فهما مكتفيان بنفسهما. لذلك على الأهل أن يلتفتوا لهذا الأمر وتعزيز فردية كل واحد منهما مما يساعد الولد على الانفتاح للمحيط حوله، ويشجعه على التعبير بعيداً عن ظل أخيه أو أخته... هذا وإننا ننصح بتشجيع التوأم على مصادقة أولاد من المدرسة أو خارجها، وعلى الأم أن تسعى لتأمين مثل هذه الصداقات لولديها، وأن توفر الظروف الملائمة لكي يتطور كل من التوأمين باستقلالية عن الآخر بهدف تحقيق تكيف أكبر مع العالم الخارجي.

## الأولاد ذوو الاحتياجات الخاصة

يعتقد الكثيرون أن التعامل مع الولد ذي الاحتياجات الخاصة أمر صعب جداً، ويتطلب مجهوداً جباراً وطاقة فوق الاعتيادية، لأن نسبة النجاح في إنجاز الأهداف المرغوبة قد تكون ضئيلة، وغالب ما تؤدي إلى إحباط عميق عند الذين يتعاملون معه.

في مجتمعاتنا الشرقية، يعتقد كثيرون أيضاً أن التعامل مع هؤلاء الأولاد يتطلب صفات مميزة، كالصبر الطويل والقدرة على العطاء المتواصل وطاقة حب وحنان غير محدودة... لسوء الحظ، فإن مجتمعاتنا هذه لا تزال، بالرغم من كل التطور الحضاري الذي تشهده، تقرن العمل مع ذوي الاحتياجات الخاصة بنوع من البر والإحسان، وتُنظر إليهم نظرة شفقة وعطف.

### أولاً - تغيير النظرة

لقد حان الوقت لتغيير هذه النظرة وتبديلها بوجهة نظر بناءة، وهي أن كل عمل تربوي، سواء كان مع الأولاد الأسوياء أم مع ذوي الاحتياجات الخاصة، يتطلب مجهوداً وطاقة وصبراً ولمسة حب وحنان! وكل مربية، سواء كانت أمّاً في المنزل أو حاذقة أطفال في صفوف الروضات أو منشطة بـ برامج ترفيهية في مخيم صيفي أو معلمة رياضيات في صفوف البكالوريا أو مربية متخصصة في معهد خاص للمعوقين، تتميز بصفات خاصة تجعلها تستحق لقب «مربية» وتحظى بشخصية تكون هي بحد ذاتها سر نجاحها في عملها التربوي. والنجاح هذا لا يعني سوى تطور الولد واكتسابه المفاهيم والوظائف بالتوافق مع مستوى قدراته الفردية، وليس بالمقارنة مع أترابه في الصف أو المجموعة أو العائلة...

إن التغيير المنشود في نظرتنا حيال الأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة يرتكز على تبديل الرأي في صميمه، أي إنه يجب الانتقال من التفكير الشائع بأن التعامل معهم مميّز لأنه يتطلب صبراً طويلاً ومجهوداً غير اعتيادياً من قبلنا، إلى التفكير بأن ميّزة هذا التعامل تكمن في أنه ينميّ عندنا صفات رقيقة وقدرات على العطاء والحب،



نادراً ما نجدها اليوم في حياتنا العصرية المادية.

أما من الناحية العملية، فلقد سعى العالم الغربي إلى ترجمة هذه النقلة النوعية للتفكير باتخاذ إجراءات مهمة في سبيل تأمين كل حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال تطبيق فلسفة «الدمج»، أي شمل الأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة ضمن الصفوف الاعتيادية، ولاحقاً تأمين فرص العمل لهم من أجل اكتساب استقلالية مادية واجتماعية.

### ثانياً - ماذا نعني بالاحتياجات الخاصة؟

برأينا، كل فرد من أفراد المجتمع له احتياجاته الخاصة: فالطفل المصاب بالشلل الدماغي أو بمتلازمة «داون» (المعروف بالطفل المنغولي)، وكذلك الطفل الخجول في الصف، أو الطفل الذي يخاف من الذهاب إلى المدرسة، أو الطفل الكثير الحركة، أو الطفل المتفوق الذكاء، كلهم لديهم احتياجات خاصة...

كذلك، فإن الرجل الناجح في أعماله والفاشل في زواجه، والمرأة التي فقدت سيطرتها على الأمور التربوية في أسرتها، أو الشاب الذي يفشل في كل مقابلة عمل ولا يتمكن من إيجاد وظيفة تلائمها، أو الفتاة المتفوقة في دراستها والتي لم تستطيع بناء علاقة صداقة واحدة طوال فترة الدراسة... كلهم لديهم احتياجات خاصة.

نلاحظ إذن أن تعبير «الاحتياجات الخاصة» هو كناية عن مظلة كبيرة تقع تحتها فئات متنوعة من الناس، وتشمل ما هو ظاهر (الطفل المشلول) وغير الظاهر (الفتل في بناء علاقات إجتماعية). هذا وإن كل فرد في المجتمع يختلف عن الآخر، وإن هذا الاختلاف نلمسه منذ طفولة الإنسان: فهناك الولد النشيط والولد البطيء، الولد الإجتماعي والولد المنزوي، الولد المشارك والولد المشاهد، الولد المتفوق والولد المتخلف، الولد المرح والولد الرصين... إن هذا الاختلاف بحد ذاته هو الذي يجعل مجتمع البشر مجتمعاً مثيراً، كما أنه يكوّن العنصر الأساسي للتعايش بين الفئات المختلفة من الناس، بعيداً عن هواجس العنصرية والفئوية والانعرالية...

في المجتمعات الغربية نشهد اليوم اتجاهاً قوياً نحو العولمة والانفتاح الاقتصادي والاجتماعي والثقافي إلى ما بعد الحدود الجغرافية... فلا عجب إن هذه المجتمعات أصبحت مقنعة كل الاقتناع بفلسفة دمج ذوي الاحتياجات الخاصة ابتداءً من المدرسة، ووصولاً إلى الحياة المهنية الراشدة.

### ثالثاً - تقبل الاختلاف

إن فكرة الدمج مبنية على مبدأ تقبل الاختلاف عن الآخرين، وأنه مبدأ يتوجب علينا

ترسيخه في أذهان أولادنا إذا أردنا فعلاً تأسيس جيل واع، ناضج ومنفتح، جيل لا يتخذ المنافسة والمصلحة الشخصية كمبادئ للتواصل مع الغير، بغية تأمين عالم أفضل لأولادنا.

نعم، فإن تقبل الاختلاف هو بنظرنا من أهم وأسمى القيم الأخلاقية والاجتماعية التي يجب التأكيد عليها في تربية أولادنا، في البيت ضمن الأسرة كما في المدرسة ضمن المجموعة. إن تقبل الاختلاف هو الذي سوف يجعل أولادنا، رجال المستقبل ونساءه، قادرين على إنجاز الهناء النفسي والصفاء الفكري في وجه التحديات المادية والاكتشافات التكنولوجية المتسارعة التي، بالرغم من تسهيلها لحياة الإنسان، أدت إلى تدهور في العلاقات الإنسانية وفي مفهوم السلام العالمي. هذا، ونرى أن نسبة الطلاق قد ازدادت في كل أنحاء العالم، وكذلك نسبة الانتحار والجرائم. كما تبرز أشكال جديدة في التمييز العنصري والطائفي كل يوم مؤدية إلى مجازر جماعية دامية، أو جرائم فردية بشعة... ملايين الأطفال يموتون جوعاً كل يوم، وملايين الشباب ينحرفون في عالم المخدرات أو الدعارة...

واجبنا نحن، أهالي جيل المستقبل، هو تربية أولادنا على مساعدة الآخرين واحترامهم، بعيداً عن الأنانية والإرضاء الذاتي، لأن ذلك سيبعث في نفوسهم الفخر بأن وجودهم في هذا العالم ينفع الآخرين. وللوصول إلى ترسيخ مثل هذه القيم، يجب الابتداء من الأساس، أي تقبل الاختلاف حولنا واحترامه: احترام وتقدير الخادمة في المنزل مثل المعلمة في الصف، احترام وتقدير عامل النظافة الذي ينظف شوارع المدينة منذ الفجر مثل طبيب العائلة، احترام وتقدير ابن حاجب المدرسة مثل ابن رئيس البلاد، احترام وتقدير الطفل المعاق على كرسيه المتنقل مثل الطفل الحائز على ميدالية أفضل لاعب كرة لهذا العام!

هذه هي مهمتنا الأساسية إذا أردنا حقاً صنع جيل قادر على التصدي لكل التحديات المادية، البعيدة كل البعد عن المفاهيم الإنسانية، وبناء عالم آمن، عالم جميل، عالم تنفتح كل قيمه الداخلية (القيم الوجدانية والحضارية والثقافية) بعضها على البعض الآخر. إن تقبل الاختلاف هو المفتاح الأساسي لتأمين هذا الانفتاح العالمي الذي يجعل كل إنسان على وجه الأرض، سويةً كان أو معاق، يشعر بأنه جزء لا يتجزأ من هذا العالم، بأن حقه بالعيش الكريم الآمن محفوظ مثل حق أي شخص آخر، مهما اختلف عنه.

#### رابعاً - الخطوات العملية نحو الدمج

إن ما أنجز حتى اليوم في العالم العربي تجاه مسألة الإعاقة وحقوق المعاق مهم جداً

على الرغم من كل الحواجز والصعوبات، وبالفعل نلاحظ أن عدداً لا بأس به من البلدان العربية أصبحت ناشطة وفعّالة في سبيل دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع، ففي المملكة العربية السعودية والكويت وعمان وقطر والبحرين، كما في الأردن والجزائر وموريتانيا ولبنان ومصر والمغرب، هناك أمثلة عديدة لهذا النشاط، خاصة في مجال التأهيل المهني لذوي الإعاقة العقلية، وتأمين فرص التعلم ضمن المدارس الاعتيادية للأطفال المتخلفين عقلياً، وفي الجامعات لذوي الإعاقات الحسية...

ولكن بالرغم من كل هذه التطورات، يبقى أن العائق الأكبر في وجه تحقيق الدمج هو الجهل والمعتقدات الخاطئة في مجتمعاتنا: يجب علينا مكافحة هذا الجهل بكل ما نملكه من وسائل على جميع الصعد المحلية والوطنية والإقليمية، وحتى الدولية.

فالإنسان المعاق لا يحتاج لشفتتنا، والإعاقة لا تعدي، والإنسان المعاق ليس أقل شأنًا من الإنسان السوي، والمؤسسات التي ترعى المعاقين ليست مؤسسات للعمل الخيري...

إن هذه المكافحة للجهل السائد تبدأ في الأسرة: على والدي الطفل المعاق أن يتغلبا على مشاعر الذنب والخوف التي تجتاحهما، فللتغلب عليها يجب أن يدركا أهمية هذا الطفل تماماً مثل أخوته. إن هذه النظرة تؤثر إيجابياً ليس فقط على الطفل المعاق بل على جميع أعضاء الأسرة. كما يجب على الوالدين أن يشاركا الإخوة في عملية الدمج هذه، وأن يدرك الإخوة أهمية دورهم في تربية أخيه المعاق.

أما دور الأم فهو أساسي لأنها هي، أكثر من أي شخص آخر، التي سوف تقود هذه المسيرة الطويلة بوجه الإهمال العام لمسألة الإعاقة، كما بوجه الإحباط والنفور والعقبات الاجتماعية... إن هذه المسيرة هي التي سوف تحدد مصير ابنها: يجب على الأم أن تضع هذا القناع الحديدي لتواجه اليأس والعدائية، وأن توصل لبقية أعضاء أسرتها تماسكها وعنادها، التزامها وحيويتها في متابعة المسيرة.

إنه من خلال هذه الشبكة العائلية المتضامنة، سوف يتمكن الأخوة من أن يتقبلوا أخاهم المعاق، وأن يتفهموا حالته ويحترموا احتياجاته. هكذا يتأهل الطفل ويتجهز لمواجهة العالم خارج إطار الأسرة، ولتصدي العقبات والحواجز العديدة التي سوف تقف في طريقه.

إن دمج ذوي الاحتياجات الخاصة يبدأ في البيت، ضمن الأسرة، على أسس صلبة، وإذا لم يتم ذلك، فلا نستطيع أن نطمح يوماً بأن الدمج سوف يطال المجتمع ككل...

## المعلمة المعالجة

في ختام هذا الكتاب أردت أن أكرس الصفحات الأخيرة لمعالجة موضوع يهمننا جميعاً، وهو يتعلق بدور المعلمة في المدرسة. هذا وإننا نتطلع إلى المعلمة كعامل أساسي في حياة أولادنا له تأثيره العميق على نمو شخصيتهم، وكذلك على مستقبلهم الدراسي، وحتى المهني. فكم من أشخاص نعرفهم كرهوا مادة الرياضيات بسبب معلمة محبطة وغير متفهمة، وكم من أشخاص نفروا من مادتي التاريخ والجغرافيا لأنهم كانوا دوماً يرسبون فيها مهما درسوا وحفظوا صفحات وصفحات من الأسماء والتواريخ والأماكن... كم من أهل اضطروا إلى تغيير المدارس لأبنائهم بسبب إدارة سيئة داعمة لمعلمة رفضت أن تلمس أي تحسن ولو ضئيل في أدائهم المدرسي أو السلوكي... كم من أولاد متفوقين فقدوا كل اندفاعهم وإبداعهم بسبب معلمة لم تلتفت، ولو للحظة طوال السنة المدرسية، لطاقتهم المميزة، كم من أطفال خجولين عبروا كل مرحلة الدراسة الابتدائية من دون أي صديق، ولم تسع أي معلمة لمساعدتهم على بناء ولو علاقة واحدة مع أحد التلاميذ في الصف...

كم من معلمة صرخت بصوت عال في وجه طفل حساس وغير معتاد على الصراخ، فأرعبته وأصبح يكره الذهاب إلى المدرسة، ويبكي كل صباح ممزقاً قلب أمه... كم من معلمة ضحكت بسخرية على ولد خجول تشقلب فوق حقيبة صديقه وهو عائد إلى مقعده بعدما وقف أمام الجميع على اللوح ونجح في تسميع الاستظهار بكامله دون أي خطأ... كم من معلمة فضلت من دون أي تحفظ ولداً على الآخرين في الصف، لأنها تعرف أهله، وكم من معلمة لجأت إلى معاقبة تلميذ بمنعها الآخرين من التكلم معه أو الاقتراب منه لفترة أسبوع...

إن كل ما ورد أعلاه ليس من نسيج خيالنا، بل هو من صميم واقع مؤلم مبني على شهادات حية لأهل تحطمت قلوبهم لرؤية أولادهم يتخبطون يومياً في مشاكل سلوكية أو تعليمية، ويعجزون عن مساعدتهم، فيلجأون إلى الطبيب النفسي وأهل الاختصاص لمعالجة

هذه المشاكل، وهكذا تبدأ المسيرة المعقدة والطويلة المدى مع الفحوصات الطبية والتحاليل المخبرية والجلسات العلاجية في العيادات، وحتى مع جرعات الدواء صباحاً وليلاً...

إننا مقتنعون أن المعلمة في المدرسة تستطيع أن تساهم بشكل فعال جداً في هذه المسيرة العلاجية، وأن توفر على الأهل وعلى الطفل كل هذه المشقات... فتصبح «المعلمة المعالجة»، أي إنسان يملك في قلبه وعقله وبين يديه القدرة على إحداث تغيير إيجابي في سلوك الطفل، مما يؤدي تلقائياً إلى تحسّن في أدائه المدرسي وتصرفاته تجاه نفسه وتجاه الغير في آن معاً.

فتعالوا نكتشف معاً ما هي أسرار التربية الناجحة، ومن هي «المعلمة المعالجة»؟

1 - غالباً ما نسمع معلمة أطفال تقول عن نفسها: «أنا اخترت هذه المهنة لأنني أحب الأولاد»، إنني أقول لها: لا يكفي أن تحبي الأولاد، فالحب مهم جداً بالطبع، إنما تفهم الأولاد هو الأهم. المعلمة الناجحة هي التي تضع نفسها مكانهم وتعرف احتياجاتهم، وهي التي تصغي إليهم لتحثهم على الكلام، وهي التي تعرف كيف تطرح أسئلتها عليهم لتدفعهم إلى المشاركة...

2 - إن أولاد اليوم يختلفون عن أولاد الأمس. وبالتالي، فإن الأساليب التربوية التي كانت معتمدة بنجاح في الماضي لم تعد صالحة اليوم، نظراً للتغيرات الكبيرة التي نلمسها كل يوم في شخصيات أولادنا. أولاد اليوم لا يخشون التمرد ضد أهلهم أو ضد أي مصدر سلطة آخر، مثلما كنا نحن نخشى في طفولتنا. لذلك فإن الأسلوب التربوي المبني على التخويف والتهديد غير صالح اليوم لأنه يضعف سلطة الأهل أو المعلمة بدلاً من تعزيزها. إن مثل هذا الأسلوب يجعل الولد ينقلب ضد هذه السلطة ويحثه على التمرد. فاللجوء إلى أساليب التأنيب والتحقير والضرب يؤدي إلى جعل الولد أقل استعداداً للاستماع إليك والتجاوب معك. هكذا تحطم خطوط التواصل بين المعلمة والتلميذ، وتصبح المعلمة جزءاً من مشكلة الولد بدلاً من أن تكون حلاً لها!

3 - إن كل ولد مميز وفريد، وعلى المعلمة أن تتعرف إلى فردية كل ولد في مجموعتها، وأن تتصرف بكل مسؤولية تجاه هذه الفردية، فتدعمها بحكمة للوصول إلى إبراز كل مواهب الولد ومواطن قوته. أولادنا لا يحتاجون

للمعلمة لكي تجعلهم «أحسن وأشطر». إنهم يعتمدون على دعمها خلال عملية النمو، فعليها تأمين الأرض الخصبة لهم لكي يفجروا كل مواهبهم المميزة.

4 - إن فردية كل ولد تعني أيضاً أن لكل ولد نمطه الخاص في التعلم، لذلك لا يجوز للمعلمة أن تقارن الأولاد بعضهم ببعض الآخر، بل تقارن كل ولد بنفسه، أي تقيس تطوره في التعلم بالنسبة لإنجازاته السابقة.

هذا وإن لكل ولد طبعه المميز، فهناك الولد الحساس، والولد النشيط، والولد المتجاوب، والولد البطيء، إلخ... ولكل طبع خصائصه: فالولد الحساس يحتاج إلى عطف الآخرين وإلى من يتفهم مشاعره الداخلية بدرجة أعلى من غيره، عكس الولد النشيط الذي يركز أكثر على الأفعال والأعمال والنتائج، ويحب أن يكون محور الانتباه في كل نشاط، كما أنه يحتاج إلى الظروف الملائمة لكي يمارس قيادته. إن هذا الولد يحتاج إلى الكثير من التقدير لنجاحاته والتسامح حيال أخطائه.

أما الولد المتجاوب فهو اجتماعي ومنفتح على الحياة، كما أنه يحتاج إلى درجة عالية من الإثارة، فكل جديد يثيره وهو في عملية اكتشاف واختبار مستمرة، لكنه مثل الفراشة التي تنتقل من نشاط إلى آخر، يحتاج إلى المزيد من الوقت لكي يتعلم التركيز...

5 - المعلمة الناجحة هي التي تستعمل المكافأة أكثر من العقاب في صفها، فبدلاً من أن تدفع تلاميذها إلى الأمام باستخدام العقاب («إذا لم تهادأوا سوف أحرمكم من الخروج إلى الملعب»)، تدفعهم باستخدام المكافأة، فلا شيء يدفع الطفل للتصرف الإيجابي أكثر من رغبته في الحصول على مكافأة ما! إن هذه المكافأة قد تكون ابتسامة أو تربيطة على الكتف أو نجمة على الجبين، فكل الأولاد يحبون المكافآت وتوقعها يعطيهم طاقة داخلية للتجاوب مع متطلبات المحيط، فتراهم متجاوبين حتى أقصى الدرجات....

6 - المعلمة الناجحة لا تخاف من توزيع المكافآت يميناً ويساراً على تلاميذها، وأقول «تخاف» لأن العديد من المربين يساؤون المكافأة بالرشوة... إن

المعلمة الناجحة، بدلاً من أن تقف مستنفرة داخل الصف لالتقاط التلميذ بالجرم المشهود (أي في أوج لحظات المشاغبة)، تستنفر طوال النهار لالتقاط تلاميذها في أعمالهم الإيجابية، وتلتفت برقة وحنان إلى كل مبادرة جيدة وتدعمها بالمكافأة الملائمة: الكلمة المشجعة، أو وسام «التلميذ الشاطر» على الصدر، أو الكتاب الملون في آخر الأسبوع... فكلما التفتنا إلى السلوك الإيجابي ساهمنا في تعزيزه، وكلما عاقبنا (لأن العقاب نوع من الانتباه) السلوك السلبي ساهمنا أيضاً في تقويته!

في نهاية حديثنا، نعود ونذكر المعلمة بمسئوليتها الكبيرة في ظاهرة الرسوب المدرسي، فالمعلمة التي لا تدرك أهمية هذه المسؤولية تساهم إلى حد كبير في زيادة نسبة الرسوب في مدارسنا. إن هذه المسؤولية تتلخص ببعض الصفات الأساسية، نذكر فيما يلي أهمها:

- الكفاءة المهنية والالتزام التام بالمبادئ الإنسانية للعملية التربوية.
- الاهتمام بكل تلميذ ضمن المجموعة ومتابعة تطوره، ليس بمقارنته بمقاييس المجموعة بل حسب طاقته الفردية.
- اعتبار المدرسة مكاناً للعيش بقدر ما هي مكان للتعلم، فلا يكفي أن تشجع المعلمة التلميذ لأنه نجح في حفظ جدول الضرب، بل يجب عليها أن تدعم كل جوانب تطوره: ثقته بنفسه أولاً، وقدرته على التواصل السليم مع الآخرين.

- 1 - إبراهيم (عبد الستار)، الدخيل (عبد العزيز بن عبد الله)، إبراهيم (رضوي). العلاج السلوكي للطفل: أساليبه ونماذج من حالاته. الكويت: عالم المعرفة، 1993.
- 2 - جريصاتي خوري (نجلا)، الكتاب والقصة، سلسلة «أعلم وأتعلم»، منظمة اليونيسف، 1994.
- 3 - الجسماني (عبد العلي) «ترجمة» سايكولوجية الطفولة والمراهقة، بيروت: الدار العربية للعلوم، 1994.
- 4 - الحلبي (محمد خضر)، الطرق الجديدة في الطب النفسي والعصبي للأطفال والمراهقين: الكتاب الأول، بيروت: سيرفي برس، 1999.
- 5 - شرف الدين (موسى)، الكفاءات الإنسانية: إنماء وتطوير بيروت: منشورات مؤسسة الحريري.
- 6 - عز الدين الشّوا (منى)، تطبيق نظرية جان بياجيه: دليل تربوي لرياض الأطفال، بيروت: 2000
- 7 - لوغال (أندريه)، التخلف المدرسي، ترجمة يمنى الأعسر إمام، بيروت: منشورات عويدات، 1989.
- 8 - ورنر (ديفيد)، رعاية الأطفال المعوقين، ترجمة عفيف الرزان، ورشة الموارد العربية، 1992.
- 9 - وقائع مؤتمر الرسوب المدرسي، أسبابه وعلاجه، إعداد وتنسيق الدكتور حسان قبيسي، بيروت، 1995.

1. Ajuriaguerra, J. de., Marcelli, D. **Psychopathologie de l'Enfant**, Masson: Paris 1982.
2. Bergeret, J.et. al., **Psychologie Pathologique: theorie et clinique**, 3e edition, Masson: Paris 1982.
3. Berk, L.E. **Infants, Children and Adolescents**, Allyn and Bacon, Boston 1993.
4. Berndt, T.J., **Child Development**, Second Edition, Time Mirror Higher Education, Inc. Brown and Benchmark, Chicago, 1997.
5. Bettelheim, B. **Psychanalyse des Contes de Fees**, Robert Laffont, 1976.
6. Biehler, R.F and Hudson, L.M. **Developmental Psychology, an Introduction**, Third Edition, Houghton Mifflin Company, Boston 1986.
7. Browne, K. Daves, G. & Stratton, P. (Eds.) **Early Prediction and prevention of child abuse**, John Wiley & Sons, NY, 1994.



8. Cattanach, A. **Play therapy with abused children**, London, Jessica Kingsley Publishers, 1993.
9. Conley, J.C. and Gutlin, T.B **School Consultation: A guide to Practice and Training**, Pergamen: NewYork, 1986.
- 10 Craft, Ann & Michael, **Sex Education and Counseling for Mentally Handicapped People**, Costello, England 1983.
11. Dolto, F. **L'Échec Scolaire, essais sur l'éducation**, Ergo Press, 1989.
12. Faber, A. and Mazlish, E. **How to talk so kids will listen and listen so kids will talk**, Avon Books, New York 1990.
13. Faber, A. and Mazlish, E., **Liberated Parents, Liberated Children**, Avon Books, New York, 1990.
14. Fagan, Thomas K, **School Psychology: Past, Present, and Future**. Longman Group Ltd., London, 1994.
15. Gargiulo, R.M., **Working with Parents of Exceptional Children: A Guide for Professionals**, Houghton Mufflin: Ill, 1985.
16. Glasser, W. **The Quality School: Managing Schools without Coercion**, Harper and Row, New York, 1990.
17. Goleman, D. **Emotional Intelligence** , Bantam Books, New York, 1994.
18. Gray, John, **Children are from heaven**, Harper Perennial, New York. 1999.
19. Jones, N. and Frederickson, N. (Eds.), **Refocusing Educational Psychology**, the Falmer press, New York, 1990.
20. Kaufman, J. "Depressive Disorders in Maltreated Children", **Journal of American Child Adolescent Psychiatry**, 30,257-265, 1991.
21. Leunen, P. **le guide Marabout de la dyslexie**, Marabout, Belgique, 1982.
22. McConkey, R. and McCormack, B. **Breaking Barriers: Educating People about Disability**, The Anchor Press, London: 1983.
23. McCullough, V.E., **Testing and your Child**, Penguin Books, Middlesex, England 1992.
24. Moustakas, C. **Relationship Play Therapy**, Jason Aronson, Inc. London, 1997.
25. National Research Council: **Understanding Child Abuse and Neglect**, Washington, D.C., National Academy Press, 1993.
26. Nelkin, D and Tancredi, L **Dangerous Diagnostics**, Harper Collins Publishers, USA 1989.
27. Pernoud, L. **J'éleve mon enfant**, Pierre Horay Editeur, Paris 1998.
28. Sandoval, Jonathan (Ed.) **Crisis Counselling. Intervention and Prevention in the Schools**, Lawerence Erlbaum Associates, New Jersey, 1988.
29. Sears, W. & Thompson, L. **The A.D.D. Book: New Understandings, New Approaches**, Little, Brown and Company, New York, 1998.
30. Solint, A.J., Nordhaus, B., Lord, R. **When home is no haven**, Yale University Press, CT, 1992.
31. Spock, B. **Baby and Child Care**, Seventh Edition, Pocket Books, 1998.
32. Templesman, C.R. **Child-Wise**, Quill Williams Morrow, New York, 1994.
33. Terr, L.C. "Childhood Traumas: an outline interview", **American Journal of Psychiatry**, 148, 10-20,1991.
34. Warren, P. & Minirth, F. **Things that go bump in the night**, Word Publishing, Australia, 1992.